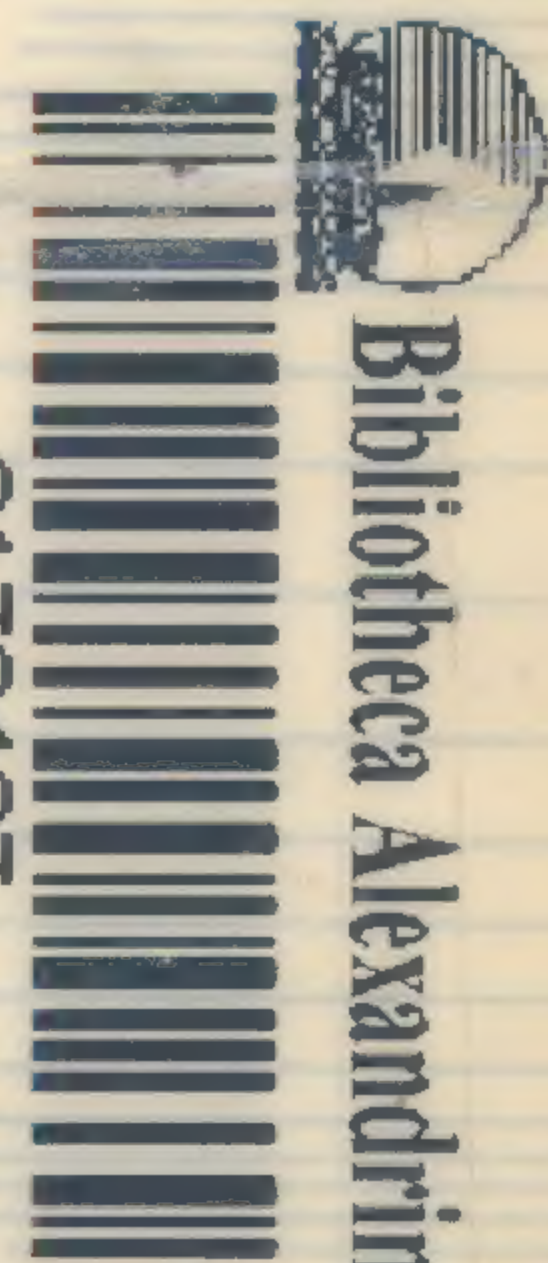
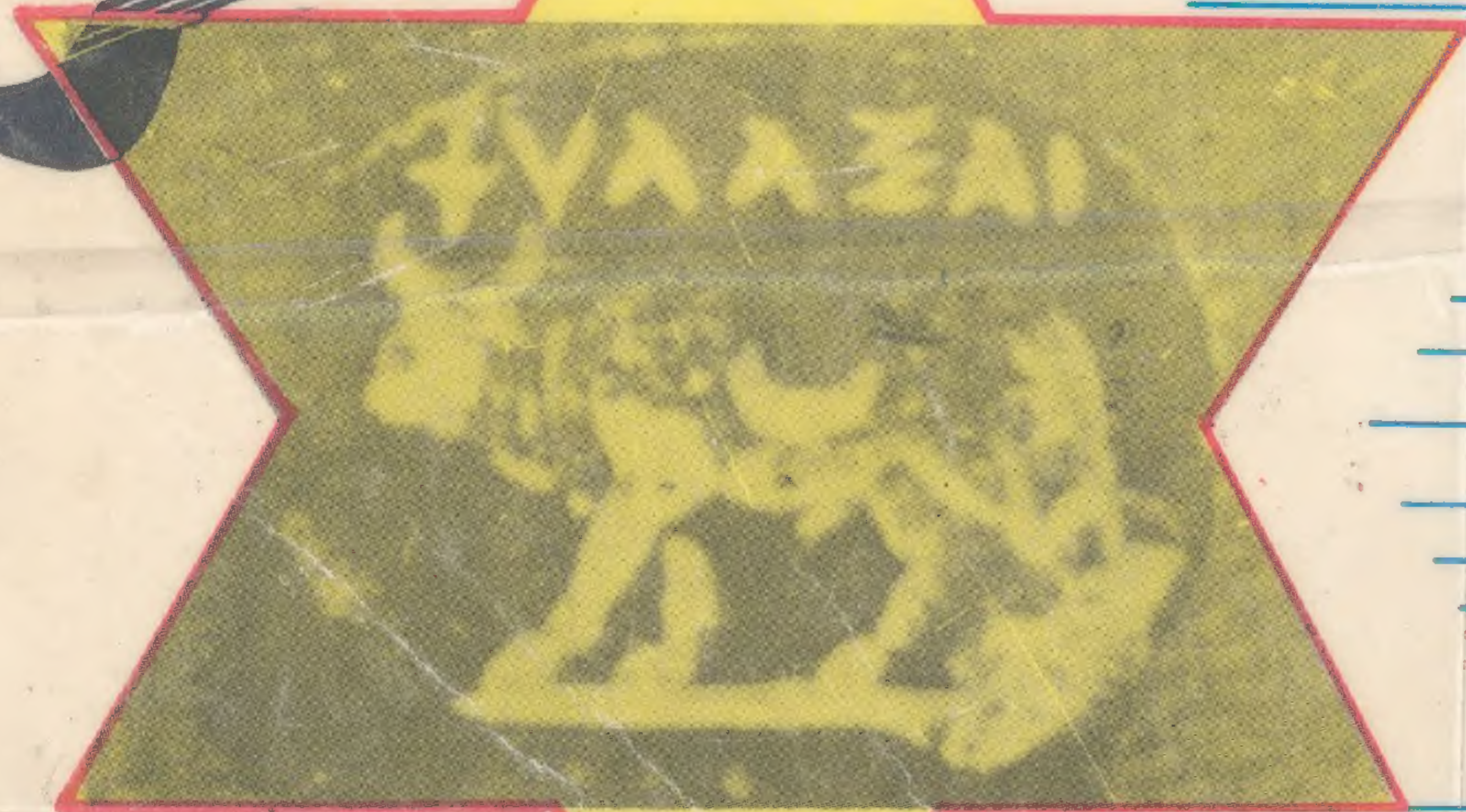


تاريخ اليهود القديم

بمصر



Bibliotheca Alexandrina

0138423

تأليف

د. عبد الحسین الشناب

مكتبة مطبوع

تاريخ اليهود القديم
في مصر

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م

تَارِيخُ الْيَهُودِ الْقَدِيمِ

بمصر

تأليف
د. عبد المحسن الخشاب

مكتبة مدبولي

تبريل

اسماء

إلى

أختى مقبولة رحمها الله

والی

أستاذى الراحلين

P. Graindor

P. Jouguet

المقدمة

« صدق الله العظيم »

« قيام التاريخ الآثار شاهد صدق على ما أتى في الكتب
السموية »

« خروج اليهود من مصر خوفاً على دينهم وعودتهم إليها بيهوديتهم لتسلم
من أعدائها وأعدائهم فتصون مصر اليهودية حتى من اليهود أنفسهم »

« انا الرب إلهك الذى اخرجك من ارض مصر، من بيت العبودية »
(خروج ٢٠/٢)

2. Ἐγώ εἰμι Κύριος ὁ Θεός σου, ὅστις ἐξηγαγόν
σε ἐκ γῆς Αἰγύπτου, ἐξ οἴκου δουλείας.

Exodus XX. 2.



كل إقليم في مصر له حيوان مقدس خاص به دون أن يكون لهذا الحيوان بالضرورة تقديس في إقليم آخر (فقرة ٧٤) وغير سكان هذا الإقليم لا يأبهون بهذا الحيوان ولا يقدسونه مما كان سببا في احتكاك. خطر بين هذه الأقاليم المصرية يرقى أحيانا كثيرة إلى حد الاقتتال . وقد قدر موسى هذه الحساسية تقديراً دقيقاً في خطته الانعزالية وعمل لها حساباً بالغ التقدير والحرص فقد كان مصر يا أولاً ثم كاهناً عظيماً علياً بدقائق الأسرار والطقوس المصرية حتى أنه عندما أمره الله أن يضحى قومه ببقرة ذعر بنو اسرائيل وهم العالمون بمدى خطورة ذبح البقرة لحساسية هذا الموضوع بالذات عند المصريين واهتمامهم الشديد فيما يخص الأضاحى نتيجة لمذهبهم الدينى فيما يخص عبادة أوزوريس وحورس إله الخير وما فى ذلك من خلاف فى عبادة ست أو كما يسميه اليونانيون تيفون إله الشر. صدق الله العظيم ، فعندما أراد موسى أن يتبين أى بقرة يذبحها قومه كانت حكمة الله وعلمه أن يذبحوا تلك البقرة بأوصافها التى سمح للمصريين يذبحها فكان أمره أن يذبحوا بقرة صفراء تسر الناظرين لاشية فيها .

فيخبرنا بلوتارخوس وغيره من الكتاب القدامى المؤرخين أن المصريين أنفسهم كانوا يبيحون ذبح الماشية من العجول والأبقار الصفراء التى لا توجد فيها أية شية أو علامة بيضاء ولا سوداء بل هى صفراء خالصة كلون «ست» إله الشر الأشقر فكانت الشقرة هى اللون المميز له وهى فى نفس الوقت لون اليهود الذين يأتون من الصحراء أى الإله ست وعبدته من مصريين مواطنين ويهود غرباء . وكانت الطقوس الأوزيرية لا تبيح ذبح الأضاحى إلا ذات اللون الأصفر الخالص .

أما لماذا تردد اليهود فى ذبح هذه البقرة وتشددوا فى معرفة أوصافها فشدد الله عليهم فذلك لأنهم كانوا يعيشون فى مصر وشيكون الخروج منها وفى عقولهم ونفوسهم وثنية يعلمها الله فدارت فى أفكارهم وذاكرتهم أفكار التقاليد المصرية وشروط ذبح بقر الأضاحى وخطورة الخروج عن أحكام التقاليد الدينية فليس لذبح بقرة يشوب لونها شية — كما يخبرنا ديودوروس وغيره يمنع ويحرم ذبحها — إلا عقوبة الاعدام فكان خوفهم هو سبب ترددهم وتشددهم ورعهم من العقوبة وخوفهم من التعرض للغضب المصرين ملأ قلوبهم رعباً وتغلب على مشاعرهم وتملك الذعر أخاسيسهم من خطورة وحساسية هذا الأمر فما أن قال الله أنها بقرة صفراء فاقع لونها لاشية فيها قالوا لموسى الآن حيث بالحق وأطمأنوا أن الله ينجيهم بذلك مما كانوا يخافون قد يذبحوها (١) .

فانظر حكمة موسى عليه السلام وعلمه بالأسرار المصرية وما يتعلق بأمر الحيوانات وتقديسها فى مصر وإحاطته بأهمية ذلك وحساسيته الخطرة عند المصريين . فانظر ما يرويه مونتيه (ملاحظة ٣٣/ ١٠١) ثم ملاحظة (٣٣/ ٢١-٢٢) من أن قبيلز عندما أتى إلى مصر كان ضمن جيشه فرقة من اليهود ولما وصل إلى أسوان وكان بها جالية يهودية كبيرة لها مذبحها ومعبد لها الخاصان بها

وعند حلول عيد الفصح وهو عيد خروج اليهود من مصر احتفل اليهود الجنود بهذا العيد فذبحوا الخراف وشووها على أفران في مجموعات خاصة بكل عائلة وقبيلة فهاج شعب أسوان وثار غاضبا عليهم وعلى الجالية اليهودية في أسوان من غير الجنود وكانت مذبحه هدم فيها المعبد والمذبح إذ أن إله أسوان المقدس هناك في تلك المنطقة هو خنوم أى آمون برأس كبش وكان الحامى الطبيعى لجنس الغنم

لم يدرك اليهود في جيش قبيز أن الخروف حيوان مقدس في أسوان وهو رمز الاله خنوم الخالق كما سيأتى ذكره وكان ذلك سبب نكبتهم في عيدهم ولو كانوا قد تذكروا أو فطنوا لما فعله موسى ووعاه من قبلهم أو كانوا على علم بما أنزل عليه وما طلبه من فرعون في أن يكون على بعد مسيرة ثلاثة أيام من العاصمة تجنباً لما قد يتعارض مع طقوس المصريين (الخروج ٨ : ٢٧ - ٢٨) إذا ذبحوا ما لا يرضون عنه من ضحايا اتقاء لهذه النتيجة التى حاق خطرها بيهود أسوان في عهد قبيز الفارسي فيما بعد بقرون من الزمان عديدة ولكنهم كانوا لا يعرن (ملاحظة ٢٢/٣٣ - ٣٣) ثم (ملاحظة ١٠١/٣٣) .

في مصر بل في كل مجتمع قديم يحذر حكماؤه وأخلاقه وهم الكهنة والحكام ويعظون الناس ويحذرونهم من عدم التمسك بالفضيلة وبحضونهم على الخير والتقوى وتجنب الزيف واتباع الشيطان ومعصية الآلهة والبعد عن تعاليم الدين والتشبث بالمراسم والطقوس ولذا فقد جرت على ألسنة الحكماء والأخلاقين حكمهم وأمثال ومراعى ونقشت هذه الحكم والأمثال على جدران المعابد واللوحات والبرديات والجعارين وفي كتاب الموتى ونصوص الأهرام والتوابيت . وينطق بها الناس إذا ما ادلهمت الأمور واستشرى الفساد والشر فيعرفون طريقهم إلى سواء السبيل . وقد كانت هذه الموعظ والحكم والأمثال معروفة لموسى وبنى إسرائيل في مصر فما أن خرجوا من مصر إلى سيناء حتى فرضت عليهم في دين اليهودية هذه الأخلاقيات في كتابهم المقدس فرضاً ألزموا باتباعها وأنذرهم الله في دينه بالعقاب والردع والعذاب الشديد إذا حادوا عن تعاليمها وخرجوا عن قانونها وعصوها واتبعوا هواهم ، فكانت هذه الوصايا العشر كما يرى الأستاذ فؤاد حسنين في كتابه (٧٥ / ٢٠) ثم بترى (٣١) أن كتاب العهد والوصايا كما يقول الأستاذ فؤاد حسنين (يتفقان تماماً مع ما جاء في شريعة كل من مصر وبابل أى كتاب الموتى وشريعة حامورابى بتعاليمها وأخلاقياتها التى فرضت على اليهود في سيناء وقد نركوا هذه التعاليم التى أخذوها عن الشعبين الساميين العريقين ثم مع مضمي الزمن حوروها بعض التحوير) .

وهكذا يتفق العلماء قدامى ومحدثون على أن فكرة التوحيد الحاسمة القاطعة التى نادى بها موسى كانت نداءه بعبادة الله في المعبد بدون أى صورة أو أى شكل أى بدون تجسيد وثنى كما

يحدثنا الجغرافى المؤرخ سترابون كما سنرى فيما بعد . وهكذا اختار موسى وبنو إسرائيل الله وهو سبحانه لم يختارهم ، فإن اصطفى موسى فذلك لا يعنى أنه اختار بنى إسرائيل .

فالأخلاقىون فى كل زمان وقبل الكتب السماوية كانوا يبشرون ويحذرون و يعظون كل فى مجتمعه بما يهدى أقوامهم ، ففى المجتمع المصرى الذى عاش فيه بنو إسرائيل والساميرين قبلهم من هكسوس وأهل يوسف النبى فى أفاريس وشمال الوادى وشرقه فى جوشن كان الحكماء من قديم الزمن يجأرون بالشكوى من سوء الأخلاق وينادون بالاصلاح الخلقى والأدبى مما نجده فى أمثالهم وعلى جدران المعابد كما قدم لنا بلوتارخوس احدى هذه الحكم حفرت على جدران معبد أثينا بمدينة « سايس » الآن (السنطة) فى الدلتا وهى حكمة مصرية صميمة كما سنرى وقد ظل الأمر قاصراً على النصيح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى فى العصور المتأخرة أفلم يغضب الأخلاقىون من سوء حال الحمام العام فى العصر الرومانى وما كان يحدث فيه من انحرافات مخزية صارخة فسادوا بالألا يدخل الرجل الحمام العام ومعه غلام إلا إذا كان ابنه ولا امرأة إلا زوجته ، ونصحوا الناس والحكام المترددين على الحمام ألا يسرفوا من التسكع وإطالة المكث بالحمام يضيعون الوقت فى العبث بدون طائل حول موائد الميسر ومعاقرة الخمر ومجالسة النساء مما كان سبباً من أسباب انحلال الامبراطورية الرومانية ، فقد كان الامبراطور على رأس هؤلاء المسرفين من الهواة للحمام العام الذى فاق فى ذلك الوقت أكثر القصور أناقة وفخامة وترفا .

ثم نجد أن فكرة ضياع الوقت هذه قد استولت على عقول الرومان والقائمين منهم على أمر (التياترو) المسرح الرومانى فى أول عهد الرومان به . ففى هذا العهد كان المسرح يبدأ العمل — كما كان عند اليونان منشئيه وأصحابه — مع خيوط الشمس الأولى فى الصباح حتى الغروب فما كان من القائمين على هذا المسرح إلا أن أدخلوا صالة المشاهدة من المقاعد إلا صفوفاً قليلة من المقاعد القريبة من الأوركسترا أمام المسرح للممتازين من أعضاء السناتوأ والحكام وأما بقية الصالة وراءهم فلا مقاعد للشعب بها على الإطلاق وكان على مريدى الاستمتاع بالعرض المسرحى من الشعب ممن يعرفون اللغة اليونانية وهى لغة المسرح الرومانى فى أولى مراحلها ، كان على هؤلاء أن يحضروا مقاعدهم معهم وقد كان ذلك لسبب ألا يضع الشعب وقته سدى طوال اليوم إذا ما وجد مقعداً يستقر فيه .

ورغم ذلك لم يأبه أحد بحكم ومواعظ وارشادات هؤلاء الأخلاقين المصلحين الناصحين ولم يفكر أحد فيما يسدونه من نصيح وقول ثم تنتصر المسيحية وتسيطر فإذا هى تردع الناس عن غيهم كدين له قوة الردع ويخاف المؤمنون من غضب الله عليهم وعذابه لهم فيستقيم الحمام العام ولكن إلى حين ، فحتى الأديان يأتى عليها وقت يفتقر التقيد بها عند الناس و يغيب عنهم وغيب الدينى فيرتدون إلى سابق عهدهم وسلوكهم المعوج بل ويرتد بعضهم وينافق فلا يبقى عنده للدين أثر فعال إلا من رقابة القوانين ورجال الدين و يصبح الحرام محبباً إلى الناس يتهافون عليه

و يستحيون على التوصل إليه و يفتعلون البدع الخارجة على الدين و ينغمسون في المنكر رغم ما ينتظرهم من عذاب وعقاب شديدين . وهكذا قام الوعاظ وعلماء الدين في المعابد والكنائس والمساجد يذكرون و يرشدون و يرفعون المعنويات كما فعل الأنبياء والدميورج قديما وهذا ما نراه في أمر بنى إسرائيل فمن بعد موسى مباشرة سلكوا مسلك التقوى والورع ثم يفتروا تمسكهم بدينهم فيسبغون في دروب العقيدة والإيمان بالخرافات حتى ينسوا الدين وشريعته واتجهوا إلى طريق الباطل وانخطوا إلى درجة الطغاة واللصوص كما يقول الأستاذ سترابون في ملاحظة (١ - ٢) ..

وهكذا فمن قديم الزمن وقبل الأديان يقوم الحكماء من أهل التقوى والعلم بواجب التنبيه ، فنجد تلك الحكمة التي أوردها بلوتارخوس كما نقشت على جدران معبد أثينا في سايس في الدلتا « أيها الناس جميعا كبيرا وصغيرا ، إن الله لا يحب الفسوق » .

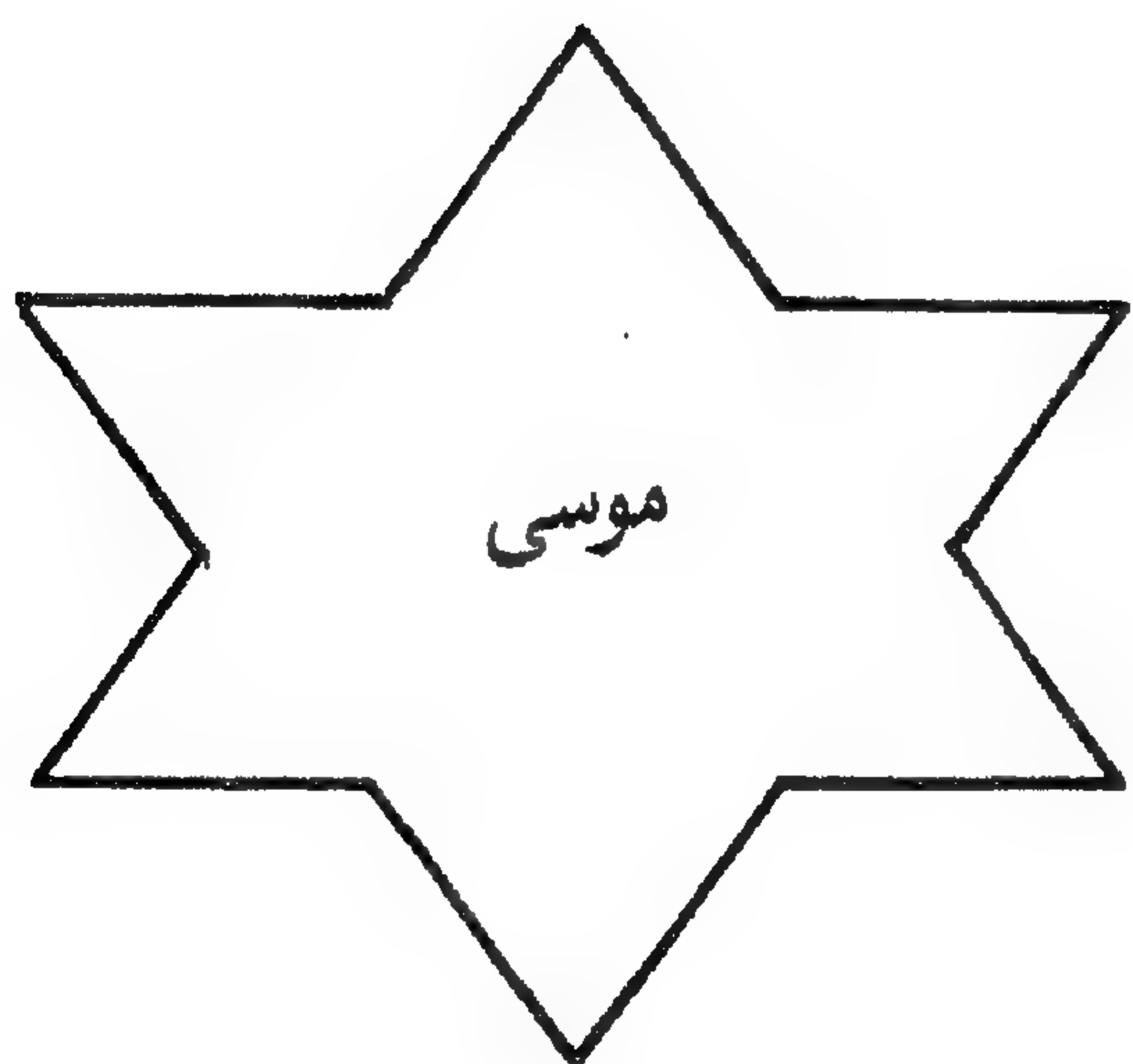
هكذا كان حال اليهود وبشهادة التاريخ الثابتة ، فبعد أن استقروا واغتصبوا أرضاً ليست لهم على حساب قبائل من جنسهم سامية في كنعان وفلسطين لم يبشروا بدينهم الجديد ، بل جعلوه ديناً عنصرياً غير عالمي وقد أحس بذلك أنبياءهم بعد موسى فأرادوا لليهودية انتشاراً ولكن كانت عنصرية القوم غالبية حتى أعرض الكثير عنها أي اليهودية وظلت وحدتهم العنصرية مرتبطة باليهودية وحتى الله أرادوا له أن يكون عنصرياً بغير ما أراد موسى الذي اختار عبادة الله الواحد المطلق فادعوا أن الله اختارهم عنصرياً ممتازاً مميّزاً عن الخليقة جمعاء ، زعم باطل وادعاء كاذب وتفكير عنصري كافر فلم يكن الدين لهم رباطاً لوحدة دينية بقدر ما كان رابطة عنصرية معتدية ، فبعد موت موسى — كما يقول سترابون عنهم — ، وقبل أن تفتقر جذوة وشدة الإيمان في قلوبهم « أن خلفاء موسى قد استمروا لبعض الوقت يتصرفون تصرفاً مستقيماً وكانوا فعلاً أتقياء » ثم « بعد ذلك أولاً تولى من بينهم من يؤمن بالخرافات » ثم من بعدهم أتى رجال من الطغاة « (١) » ثم هو يذكر أشياء نشأت عن هذه الخرافات كعبادة الطهارة للنساء والرجال وتحريم اللحوم كما نعلمه عنهم اليوم و يثبت صحة ما كتبه سترابون عنهم ولكن المهم فيما يرويه عنهم أن « من الرجال الطغاة نشأت شرذمة من اللصوص » (٢) وهذا تطور يعرف العالم كله أمره ثم انه هو ما نقاسى منه في شرقنا اليوم .

كان موسى يطلب الابتعاد بقومه وأن يعزلهم بأن ينأى بهم أو بدينه الجديد فيبعدهم عما يفعله المصريون وما يعتقدون تخلصاً مما كان عليه قومه قبل رسالته من مشاركة المصريين عقائدهم وتقاليدهم وما سيجدونه من عبادات عند الكنعانيين وكانوا في طريقهم إليهم وهم أيضاً من عبدة الشور ثم يقدر الامكان تخفيفاً عنهم مما يقاسون في عملهم الشاق وسخرتهم في مشاريع فرعون وما يقتضيه ذلك من صناعة ضرب الطوب وغير ذلك مما كانوا منه يعانون ثم

سياسة ترويضهم على الاستقرار بدل بدواتهم وترحالهم في جوشن وخوف الحاكم من انضمامهم مع من يغزو مصر من هذه الناحية .

ولكن ماذا وراء موسى في تدبيره وماذا يخيفه من مشكلة الاضاحي عند المصريين وعنده ثم من هو موسى قبل أن تنزل عليه الرسالة السماوية الأولى وماذا يعنى اسمه وكيف سمي بهذا الاسم .





من الأسماء المصرية المركبة التي كان يتسمى بها المصريون مثل تحتمس Thutmes ورع موزاً Ramosa. تقطع هذه الأسماء الأول هو اسم لإله يكون المولود قد ولد في ذكرى ولادته . ولكن هل ممكن حقاً معرفة ذكرى مولد أى إله تلك التي صادفت مولد موسى وقد وجدته السيدة ملقى في اليم ولم تلده ؟

إن العادة كما افترض الأستاذ مونتيه أن يترك اسم الإله في هذه الأسماء مستترا في المقطع الأول ولكن ذلك بعيد الاحتمال إذ أن مونتيه قد تناول اسم موسى كمقطع واحد كما ذكر بالعبرية واعتبره مقطعا واحدا بمعنى mes (مس) بمعنى وليد أو طفل و يظل الاسم بذلك حسب افتراضه مبتورا إذ أنه يتساءل : هل نسيت السيدة في ذكرى أى إله كان مولد موسى ؟ هذا رأى احتماله بعيد .

فن الطبيعى اذن أن يكون هذا الحدث باعثا للبحث عن اسم يتلاءم معه ومع ملابساته ، وقد كان أقدم من نحى هذا النحو الكاتب اليهودى فيلو الذى ولد في (٤٠ م) إذ يقول « اختارت السيدة اسم موسى لأنها انتشلتته من الماء — ثم لأن المصريين يسمون الماء موى (moy) . (٤) »

وهنا تجد أن الأستاذ فيلو يبرز أصل الاسم الهيروغليفى في المقطع الأول فعلا من اسم موسى كما لاحظ ذلك الأستاذ تشيرنى .

أما الكاتب اليهودى جوزيفوس فيشير أولاً إلى تلك الظروف التي « لابست العثور على موسى ووقعه في النهر ثم تسميته باسمه » . (٥)

ثم يحلل شطرى الاسم فالمصريون يسمون الماء mo أو moy موى وهذا هو اشتقاق الشطر الأول كما قال ذلك أيضا فيلو أما عن الجزء الثانى الذى لم يتعرض له فيلو وهو مقطع ouses أوسيس فيقول جوزيفوس ان اوسيس « هم الذين انقذوا من الماء » وعلى ذلك فقد أطلقوا عليه هذا الاسم بعد ان كونه من كلا « المقطعين » .

هذا هو الرأى الذى يتفق وطبيعة الأشياء ففعلا لا بد وان هذه المناسبة كانت شاغلا للأميرة وحاشيتها وأثارت اهتمامهن حتى طبقوا شطرى هذا الاسم على الطفل الذى يدل دلالة واضحة على طبيعة الموقف .

التمزم اذن الكتاب اليونانيون يهود أو مسيحيون وعلى رأسهم جوزيفوس باشتقاق الاسم من أصل هيروغليفى ولم يشذ من ذلك أحد حتى المؤرخين المحدثين فذكر الماء وأورد في الجزء الأول من الاسم مو — أو — موى وقد أكدّه جوزيفوس مرة أخرى في كلامه عن ابون Apion قائلا « ان اسم موسى هذا يدل حقاً على انه أنقذ من الماء » . (٦)

فالاسم اذن مصرى ولم يكن مطلقا عبرانياً مبنياً من كلمة واحدة (موسى) العبرية بل هو مركب من مقطعين moy و Yeses أى موى واوسيس وليس مقنعاً كما ذكرنا من قبل أن يرجع بعض المحدثين الاسم موسى العبرانى ذى المقطع الواحد إلى mes و(ميس) أى وليد الهيروغليفى وقد قامت محاولات حتى قيل حل رموز اللغة الهيروغليفية كما يذكر تشيرنى بالرجوع إلى اللغة القبطية فوى (moy) أى الماء فى الجزء الأول ثم أوسى بمعنى فى صحة جيدة أو سليم للمقطع الثانى وهكذا يتطابق المعنى فى اللغتين القبطية والهيروغليفية فاكتمل اسم موسى المصرى الصميم لا العبرانى الذى أخذ مقتضبا من اسم موسى ذى المعنى الواقعى مصداقا لما نزلت به الكتب السماوية .

وأما القول بأن أوسيس تعنى حسى الهيروغليفية بمعنى المكرمون لأنهم ماتوا غرقاً فى النيل وأخرجت أجسادهم لتدفن و ينعمون بالأبدية فهذا الاستعمال (أو المعنى كان بداية) من الأسرة الثلاثين وما بعدها أى بعد موسى بقرون عدة .

ثم يورد الأستاذ تشيرنى أيضاً ما ذهب إليه الأستاذ المؤرخ كلمنت السكندرى الذى عاش ٢٠٠ م فى تحليله اسم موسى بأنه يعنى ان « موسى » أخذ من الماء الذى كان معرضاً للموت فيه . (٧)

وهكذا يجمع القدامى من الكتاب اليهود اليونانيين والمسيحيين على أصل اسم موسى وصلته بالماء بمعنى الذى أنقذ من الماء أو أنجى ، كما ورد فى الخروج و (٢ : ١٠) « ولما كبر جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً ودعت اسمه موسى وقالت انى انتشلتته من الماء » .

ثم قوله تعالى وهو أصدق الصادقين « ولقد مننا عليك مرة أخرى ، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ، أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فاليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له . . . » طه (٣٧ : ٣٩) .

هذه نشأة اسم موسى الطفل كما تؤكد الكتب السماوية والكتاب اليهود والمسيحيون وقد أجمعت هذه المصادر كلها على أنه أنقذ من الماء ، وقد كان تبنى بنت فرعون له — والتبنى عُرف فى مصر القديمة مأخوذ به قانوناً — سببا ان يأخذ موسى بقسط كبير من التعليم والثقيف كواحد من أبناء الأسرة المالكة حتى أصبح كغيره « أحد الكهنة وقائماً على جزء كبير من مصر السفلى أو الأرض السفلى كما يسميها المصريون » فيما ذكره المؤرخ الجغرافى والفيلسوف الرواقى سترابون الذى عاش فى القرن الأول الميلادى فى كتابه الجغرافيا . (٨)

هذا ما يرويه سترابون عن وجود موسى بمصر فى صدر حياته ثم يجمل فى ايجاز خروجه من مصر فيقول « ولكنه ذهب من هناك إلى بلاد يهودا إذ أنه لم يكن راضياً عن الأحوال فى مصر وصحبه ناس كثيرون ممن كانوا يعبدون الله » . (٩)

وهكذا يذكر سترابون خروج موسى مع قومه ، من مصر ، ويحمل عدم موافقة موسى على مسلك فرعون مصر بسبب ديني واضطهاد المصريين قومه من اليهود وتسخيرهم في الأشغال العامة ، وهذه هي الأحوال التي لم يرض عنها موسى في مصر وكانت سببا في محاولة الخروج رغم عدم موافقة فرعون على ذلك ومنعه اليهود من الخروج .

أما الأحوال الدينية فقد كانت هي الأهم وموسى في تأمله في سيناء قبل الرسالة وفي وجوده بمصر قبل سيناء كان لديه وقت عظيم وطيب للتأمل والتفكير والتفلسف فقد ألم بأطراف الديانة المصرية وتعارف على أسرارها وما وجد فيها من شذوذ وخروج عن منطق العقل وخالفها فيما بينه وبين نفسه حتى أرسله الله رسولا ، وكان هذا الجانب هو الأهم والأكثر بروزا لعيان الباحثين دون غيره من جوانب الوجود الأخرى لليهود في مصر ، ولذا فقد خصها سترابون بالذكر وهي لب الديانة اليهودية وأساسها . مما يدل على أن مصادر سترابون كانت صحيحة ثابتة بل ودقيقة فقد أبرز وهو الفيلسوف الوثني الذي يهتم بتلك النقاط الأساسية والتركيز عليها ، فهي أس ما قامت عليه فلسفة موسى ومنطقه الديني أي التوحيد الذي غمضت معالمه في الوثنية التي سبقت موسى يقول سترابون (١٠) « كان موسى يقول ويعلم كيف أن المصريين كانوا على خطأ فيما كانوا يمثلون به الإله أو الكائن المقدس في صور حيوانات وسائمة كما كان يفعل الليبيون أيضا » .

ولما كان التجسيد في العالم الوثني القديم كله بصور الإله بصور مختلفة ، وكان موسى لا يرضى ولا يوافق على ذلك فأتت رسالته محرمة أي تجسيد بأية صورة فقال مشيراً إلى اليونانيين وما « أتوه من خطأ كما فعل الوثنيون الآخرون فشكّلوا الإله بصورة آدمي » .

وكان يعتقد و يبشر بأن الله واحد أحد « ان الله هو هذا الذي وحده يحيط بنا جميعا ويحيط بالأرض وبالبحر وبطبيعة الكائنات وبما نسميه بالسما والكون » ، « فأى إنسان أذن أن يكون له عقل فيجرؤ أن يرسم صورة للإله تشبه أى مخلوق . بيننا » ، « كلا يجب أن يقلع الناس جميعا عن عمل أية صورة للإله وأن يقيموا رحابا مقدسا منفصلا ومعيدا عظيما يعبدون الإله فيه بدون صورة » . (١١)

هذا هو منطق موسى ورأيه فبعيدا عن التجسيد يمكن بالعقل وحده ادراك الله ويمكن أن يفهمه من لم يكن من الأنبياء واضحا شاملا لاشك فيه ولا مرء وقد كانت معرفة الله محددة بمعرفة قوانين شريعة موسى وفي هذا المعبد الذي يعبد فيه الله بدون صورة ينال المؤمنون من صادقى الرؤيا ويحلمون ، كما كان يفعل الوثنيون المصريون في معابد آلهتهم الممثلة بصور شتى من حيواناتهم المقدسة يأتون إلى تلك المعابد طلباً للاستشارة والتنبؤ عن طريق الأحلام فيما يخص أشخاصهم في الصحة وفيما يخص حياتهم الفردية وما ينوون القيام به من مشروعات وأغلب وأهم

ما يلتصمون في المعبد من الآلهة أولاً وآخرها العافية والشفاء من أمراضهم وما يألمون منه ، وكانت وسيلةهم الوحيدة في ذلك النوم والأحلام أى ما يعرف بالتنويم أى (incubation) وسيلة الاتصال بالقوى الروحانية العليا عن طريق روى بالتنويم في المعبد وظهور الإله نفسه للمريض ووصفه لهم الدواء وكانت أحلامهم هذه عبارة عن تشخيص للمرض وكان المفسرون لهذه الأحلام — من الكهنة الرسميين في المعبد ، وغيرهم من مفسرى الأحلام من غير سلك الكهنة — أطباء لهم خبرة وتجارب كبيرة من كثرة ما شاهدوا من مرضى يشكون أمراضاً كثيرة متباينة وما يراه هؤلاء المرضى في أحلامهم وما سمعوه من الآلهة التى تظهر لهم من وصفات علاجية وأدوية وإحياء بما يجب أن يفعل ليتم لهم الشفاء ، فكانت نشأة الطب في المعابد وكان يدرس في مصر القديمة في أقسام خاصة منها تسمى « بيوت الحياة » وكان الكهنة أطباء مختصين ، وكان ذلك أيضاً في المعابد اليونانية وقد ظهر من بين هؤلاء الكهنة اليونانيين أو ما يسمون بالاسكليبيادس Asklepios . أى أبناء إله الشفاء اليونانى اسكليبيوس «Asklepios» — الطبيب العظيم أبو الطب هيبوكراتس Hippocrates الذى كون من هذه الجماعة من الكهنة الأطباء أول جماعة أو نقابة للأطباء لها قانون والتزامات أخلاقية للعمل في فن الطب ثم قسم ترتبط به هذه الجماعة من الكهنة ويلزمهم باتباع تقاليدهم المهنية وأصولها والتزام الشرف المهني الأخلاقى (ويمكن الرجوع في ذلك إلى كتاب د . عبد المحسن الخشاب : الحمامات الشفائية القديمة) (١٢) فكان هيبوكراتس العظيم كما سماه سقراط واسمه الذائع بالعربية « أبوقراط » أول من حدد للأطباء طريقهم وسلوكهم .

كان هؤلاء الأطباء من الكهنة يشخصون المرض عن طريق أحلام المرضى أو من ينوب عنهم أى من يحلم بدلاً عنهم في المعبد إذا استعصى على المريض المجئ إلى المعبد أو من امتنع عنهم النوم مثل مرضى الأعصاب ، وكان هؤلاء « الحالمون » يتطوعون أحياناً لأن ينوموا ويحلموا لمن يعرفونه حباً وكرامة للخير ، ومنهم المحترفون الذين يحلمون للناس ولأنفسهم طبعاً وتلك كانت مهنة شائعة في معابد اليونان وغيرها قديماً وكما كانت وإلى وقت قريب تعمل شبيخة الزار أو كاشف الغيب بينما يأخذون (الاثر) من الزبون ويحلمون له ويصفون له وسيلة العلاج على أساس ما رأوه له في المنام (الخشاب الحمامات الشفائية (١٢) ثم التياترو القديم) (١٣) .

كان هؤلاء الكهنة الأطباء من مفسرى أحلام المرضى يشخصون الأمراض عن طريق الأحلام ثم يضعون للمرضى العلاج والدواء ولهذا ذكر كبير في تاريخ الطب القديم (أنظر ملاحظة ١٢) وكان من بين تلك الأدوية ووسائل العلاج الحمام وقد وجد منه الكثير في مصر وهى أنواع خاصة من الحمامات العلاجية قام على أساسها الحمام العربى العام ، ثم في البيوت القديمة ويسمى الحمام العربى ثم عند العامة حمام السوق وكان الحمام قديماً يوصف حسب ما يشير به الطبيب ساخناً أو بارداً وقد قيد استعماله طبياً في الأول هيبوكراتس .

وقد كان من المفسرين الخصوصيين للأحلام خارج نطاق المعبد من غير رجال الكهنوت الرسميين من — من لهم وسائلهم الاعلامية الخاصة بهم كما سترى عند الحديث عن الاله ابيس «Apis» كما ذكر الكتاب الأقدمون من اليونانيين كان المرضى يلجأون إلى معبد اريس ثم اوزيريس (يتاح في منفيس) حيث يوجد عجل ابيس ، و يتوسلون ان تتجلى عليهم الألهة في منامهم ، وخاصة اريس لتصف لهم الدواء بنفسها وتهبهم الشفاء من أمراضهم الجسمية والروحية ، وان تفرج كرههم وتلهمهم الصواب فيما ينوون القيام بعمله ، وكانت اريس كما يقول المؤرخ اليوناني ديودوروس آلهة الشفاء والدواء وصانعته أيضاً فارماكوبيوس «pharmacopios» فتتجلى عليهم بصورتها كاملة في منامهم بالمعبد ، وتشفى حتى من استعصى شفاؤهم على يد الأطباء ، وكانت تسمى بازيس الشافية Hygieia وكان ذلك يحدث أيضاً في المعابد الكبيرة مثل معبد سراپيس إله الشفاء المصري وزوج اريس هيگيا Hygieia وهو الند أو الشبيه بالاله اليوناني اسكليبيوس Asklepios . الاله اليوناني المعالج «Deus - clinicus» وهو إله الطب وأبو الأطباء وكان أشهر معابد العلاج في مصر معبد سراپيس في كانوبوس Canobos في الأسكندرية (أبوقر الآن) ينام فيه الناس كما يروى سترابون لنا وصفا مفصلاً ممتعا (كتاب ١٧ فقرة ١٧ / ١) للرحلة المرحلة التي يقوم بها الناس من الاسكندرية حتى كانوبوس واحتفال الناس في تعبدهم في معبد سراپيس ، ثم نومهم وأحلامهم وأحلام من ينوبون عنهم عند العامة ، والخاصة من الحكام والعظماء والمثقفين ، وما يحدث بعد ذلك من معجزات وشفاء ، وكان من ذلك ان بعض مفسري الأحلام Onirocritai كما ذكرنا يعلنون عن أنفسهم وهبة الله لهم بموهبة تفسير الأحلام ، كيوسف النبي قبلهم فيلجأ إليهم الحجاج إلى المعبد لتفسير أحلامهم ومنهم طائفة من المفسرين اشتهروا في هذا التخصص من أهالي جزيرة كريت قديماً كما سيأتى ذكره .

هذا هو التقليد المصري الوثني وغير المصري من بعد في العالم القديم كله وليس هناك طريقة للشفاء من أمراض النفس والجسد إلا طريقة التنويم هذه أي incubation ، والأحلام كما أنها أيضاً كانت طريقة للاستشارات في كل الأغراض سياسية وتجارية إلى غير ذلك إلا أنه بعد رسالة موسى يستمر هذا الوضع التقليدي ، في المعبد اليهودي فيسمح موسى لليهود أولئك الذين تصدق أحلامهم أن يناموا في معبدهم وان يحلموا لأنفسهم ولغيرهم على الطريقة الأولى ، كما نخبرنا بذلك سترابون (١٤) فيوحى إليهم في منامهم بكل ما يستشيرون فيه ، ومن هنا كان كل ما يؤمر به أنبياء اليهود وحى يأتيهم في رؤياهم ، وطبعاً بهذه الطريقة المصرية القديمة واليهودية فيما بعد كانت تأتي الناس في منامهم بالمعبد طرق شفائهم وحلول مشاكلهم كل حسب شكواه وموضوع استشارته ، فكان المعبد اليهودي الذي أخلى من الأوثان ويعبد فيه الله مجرداً من أية صورة أو أى تمثيل يوحى فيه للمتقين الصالحين بالعلامات والرموز بالشفاء مما يشكون منه صحياً

ويحل مشاكل حياتهم ولكن في هذه الحالة لا يرون في منامهم الله بل وحي يأتيهم من أنبيائهم وكهنتهم دون رؤية الله فهم لا يرون الله إلا بإدراكهم العقلى .

هذا هو المناخ الذى نشأ فيه موسى في مصر ، وكان سائداً في العالم القديم خارجها ، وكما يقول سترابون أن موسى لم يرض عن هذه الأحوال فأمر أتباعه تجنب كل ذلك وأن يتجهوا إلى الله الأحـد الذى يحيط بكل شىء والذى اختاره موسى فعبده بدون صورة ولا وسيلة ، فوجد أن موسى قد تمثل نفس الطريقة التقليدية القديمة للاتصال الروحى بالله عن طريق الأحلام الشائعة آنذاك « إن الذين تتحقق أحلامهم أى الذين تصدق أحلامهم عليهم أن يناموا في المعبد (معبد موسى) يحلمون لأنفسهم ويحلمون أحلاماً أخرى لغيرهم » (١٤) .

إذن فهذه العادة المصرية قد استمرت عند اليهود بأمر موسى من مصر القديمة الوثنية إلا أن من يسأل في هذا المعبد ومن يرجى منه الشفاء و يطلب منه العون هو الله إله موسى ، فكان النوم والأحلام في معبد موسى اتصالاً أيضاً روحياً مباشراً بالله الذى لا صورة له على عادات المصريين في أحلامهم الشفائية وغير الشفائية ، واتصالهم المباشر بالقوى العليا فإن رأى الوثنيون الإله فيما يمثله من حيوان أو إنسان فإن موسى رآه روحياً لا صورة له ولا قرين كما كان يعرف المصريون أمون الخفى فهم لا يرونه ولا يسمعونهم وهو ملء سمائه وأرضه فلا يدركونه بالحس بل العقل ، كما أدرك موسى الله بإدراكه العقلى فوصل إلى معرفته . ثم يبشر قومه بأن من صلحت حياته فعاش عيشة صالحة ينتظرون من الله (سيكون جزاؤهم عند الله) خيراً وعطاءً حسناً أو علامة من الله (تنفعهم) وأما غير هؤلاء فلا ينتظرون شيئاً (١٥) .

هذه هى الحكمة المصرية والأمثال السارية من حكماء مصر تماماً كما سنرى ، وقد أصاب سترابون هذا الفيلسوف المؤرخ وأوجز في سرد تعاليم اليهودية وما كان قائماً قبل أن يبعث موسى وما صار بعد أن أرسل نبيا وتأييده في روايته المراجع السماوية والآثار وتاريخ تصرفات بنى إسرائيل بعد موسى ونكوصهم عن تعاليمه وشريعته فيقول سترابون ان موسى « بمثل هذه الأقوال (الحكيمة) قد أغرى رجالاً كثيرين من أصحاب الرأى من قومه (طبعاً) باتباعه » ثم يروى لنا ما ي مطابق الخروج وذلك دون أن يذكر شيئاً عن تفاصيل خروج اليهود من مصر كما فعل الكتاب اليهود الذين تتبعوا العهد القديم فيما ذكروه ومشوا في خطه الدينى فيقول ان « موسى قاد هؤلاء الرجال ، « إلى ذلك المكان حيث يقوم القدس في اورشليم » أى كما وجد ذلك في وقته هو ، وقد استولى على هذا المكان بسهولة إذ أن هذا الموقع لم يكن بالمكان الذى يحسد عليه ولا يستحق أن يحارب الانسان من أجله فهو مكان صخرى رغم أن ماءه كثير ، وما يحيط به من أرض كان قحلا وصخريا أيضاً ولم يستعمل موسى سلاحاً للدفاع عن المكان بل في نفس الوقت بدلاً من ذلك تحصن بتقديم الأضاحى واحتفى بربه إذ اعتزم أن يقيم مكانا لعبادته (١٦) و وعد قومه أن « يعد لهم عبادة ومراسم غير مرهقة لمن اتبعها ولا تقيده بحرمان روحى ولا أية متاعب

غريبة ، وعلى ذلك ذاعت شهرة موسى « وبسمته الطيبة بين هؤلاء الناس » فهو « لم يقيم حكومة من أى نوع » (١٦) .

صدق سترابون فلم يقيم موسى حكومة فهو لا يزال شريداً مطارداً في أرض مصرية ولكنه وجد في سيناء مجالاً يمكنه فيه ممارسة رياضية روحية حرة بعيداً عن يد المصريين الذين ظنوا أنه سيفنى مع قومه في رمال سيناء ، فقام ينشر دعوته بين الرحل من قبائل سيناء واتسع مناخ التأمل والتفكير فعزم على بناء معبد يهودى على شريعته . صدق سترابون فقد أصاب في تعقل فيما رواه من معلومات يعرفها من مصادر بيئة الصحة دون أن يعلق عليها بشيء أو يقارنها بوجهة نظر أخرى فلم ينحاز أو يتباعد لشيء في نفسه ولم يتأثر بعاطفة دينية ، لم يغال في تحمس دينى فيجاوز الحقيقة كما فعل غيره من الكتاب اليهود فيما سنذكر فيها رواه ترى موسى أقرب ما يكون إلى رأى الصائب بعيداً عن أى مؤثر دينى وقد أجمل سترابون تاريخ موسى كفيلسوف كما نكاد نعرفه من السكتب المقدسة ثم هو يكمل قصة اليهود من بنى إسرائيل بعد موسى وبعد بناء المعبد في القدس فيقول فيما سبق ذكره (أنظر ملاحظة ١ - ٢) فن طبقة الأتقياء الذين قادوا بنى إسرائيل في أول الأمر بعد موسى مباشرة إلى أن يفتت الحماس الدينى عندهم تبرز طبقة المؤمنين بالخرافات (ملاحظة ١) فيما سبق) ثم لما انتهى الأمر بهم إلى أن يصير الدين عندهم كتاب في مكتبة فقط بعيداً عن صدورهم ينسأه الناس في دنياهم أو يتناسونه في باطلهم وزيف شرفهم وعملهم ، ظهرت فيهم طبقة الطغاة ومنها تبرز طبقة اللصوص (أنظر ملاحظة ٢) الذين حتى لو ذكروا إنجيلهم وعهدهم تحايّلوا فيتخذون منه سيفاً يقتلون به الآخرين طعماً في أرضهم وأموالهم وما يملكون بل تحايّلوا فاتخذوا منه دافعاً لسفك الدماء والسلب والنهب تعصباً مقيتاً واشباعاً لعاطفة عنصريتهم ولبغى المعتدين .

فما يشبت صحة رواية سترابون هذا المحقق الفيلسوف انه ذكر ضمن عاداتهم « الطهارة عندهم للرجال والنساء » (١٧) .

ورغم ذكره ذلك ضمن خرافاتهم إلا أن هذا يشبت من جهة أخرى أن كل ما كان عند اليهود في ذلك الوقت حتى الوصايا العشر أصله مصرى فليس لليهود حضارة خاصة بهم فما كان لديهم من عادات وحكمة وأقوال صارت مبادئ يدين بها العالم كله ليس إلا من أصل الحضارة المصرية ولما ان أرادوا لتلك الحضارة ألا تكون مصرية ظهر زيفهم وكذب ادعائهم فمن عاش من بنى إسرائيل خارج مصر لم يكونوا إلا رحلاً رعاة لا ذكر لهم أو مستضعفين تذكرهم لوحة منفتحاً بأن قضى عليهم الملك وأصبح لا وجود لهم ولم يعد لهم قبح ولا عيش . وأما موسى فنشأ في مصر وكان حكماً بحكمته .

أما طغيان المنحرفين فيكون نتيجة الأنانية الجامحة الجشعة الشرسة والطموح الضال والطمع الأثيم والاستيلاء بغير حق واستباحة السرقة والسلب والقتل وبث الرعب في الآخرين وإطلاق يد غير الأمناء المسعورين فينهبون ويستحوزون على كل ما تمتد إليهم أيديهم ثم يستولى عليهم الخوف فيبدأون بالهجوم والاعتداء و يسرفون في أنانيتهم وذاتيتهم فتستعرق نفوسهم نشوة الامتلاك والتملك للأرض والمال والرجال يستذلونهم عبيداً أرقاء مما يتيح الفرصة لانطلاق اللصوص ذوى الضمائر الخربة والنفوس الوضيعة لخدمة الطغاة وارضاء أطماعهم وشهواتهم « فقال سترابون فثار بعض اليهود وخربوا أرضهم ثم الأرض المجاورة لهم » بينما « تعاون البعض الآخر مع الحاكمين واستولوا على ممتلكات الغير واجتاحوا جانباً كبيراً من سوريا وفينيقيا » أما قلعتهم القدس فكانوا يكون لها احتراماً لم يعافها اليهود كمقر للطغاة لكنهم كانوا يحترمونها ويقدسونها كمكان مقدس » (١٨) .

هذه .. هى شهادة التاريخ على لسان الجغرافى المؤرخ الفيلسوف سترابون ذهب إليهم وسمع عنهم ومنهم وخبرهم ورآهم وسجل وروى للأجيال غير منحاز ولا متجنى وأخذ من مصادر لا شك صحيحة تكاد تتطابق ما لدينا من نصوص دينية وكتب سماوية رغم بعده كوثنى عن اليهود واليهودية ثم نكوصهم وما أصدق من القرآن الكريم شاهداً على ردتهم ورجوعهم إلى عبادة العجل وعرفهم التاريخ مشعوذين أفاقين مغامرين لصوص وهم فى كل ذلك يهودا يطرحون دينهم وتعاليمهم خلف ظهورهم فلا يرون إلا ما كانوا عليه قبل موسى من سوء سجية وعبادة وثنية وكأنما ما بشر به موسى فيهم لم يصل إلى قلوبهم وكان كساء رقيقاً لم يخف وجوههم القبيحة عن الناس ، فهم لا يأبهون بالقيم ولا يأنفون من ضلال رغم دين اتخذوا منه اسماً وصفة لهم وطرحوا أخلاقياته وقيمه وفضائله وروحانياته فلا يتذكرونها إلا إذا رجعوا إلى القدس والمعبد ولكنهم لا ينجلون من خطاياهم فانظر قول سترابون (ملاحظة ١٦) أنهم لا يأنفون أن تكون مدينة القدس قلعتهم مقر طاغية ولكنهم فى نفس الوقت يكون لها احتراماً وتقديساً كمكان مقدس فيه معبدهم .

انهم اختاروا الأرض والدين من غير خلق فتناسوا السماء وازدوجت الأمور فى عقولهم فلا فرق بين الضلال والعدوان والقسوة وتحللهم من دينهم هذا الذى يحترمون من أجله القدس وهذا هو الكفر بعينه والضلال المبين ، ولا شك أن ما وصلت إليه السيدة فيولت ماكدورمت (١٩) من أن اليهودية أو ما تسميه بالموسيزم بمقارنتها بالديانة المصرية التى كما نرى بحق أنها تتمثل فى الأعمال الانسانية اليومية للمصريين الذين بديانتهم يشعرون بوحدتهم وارتباطهم بعالم البشر أحياء وأموات فيستزيدون ويطيلون فترة سعادتهم أطول مدة ممكنة فالديانة المصرية كما تقول السيدة ماكدورمت صلة ربط المصريين بموتاهم وبالناس جميعاً .

وأما رأيها في اليهودية أو الموسايزم أو السيودايزم .. فهي ديانة أو وسيلة بها ينفصل شعب وينعزل بنفسه و يصبح حياً متحركاً للوصول إلى هدفه من التطور في وحدة دينية عنصرية قوية خاصة فمن عهد ابراهيم إلى عهد موسى بنيت اليهودية أساساً على طاعة الشريعة التي تحوى العهد وفى الابتداء كان عمل هذه الطاعة هو خلق فريق أو جماعة عنصرية يرتبط بعضها ببعض بصلة الدم لمناهضة الشرك والتمسك بالوحدانية ولم يكن مباحاً لأعضاء هذه الجماعة أن يتزوجوا مع جيرانهم ، وعند اليهود ، وهذا هو المهم ، الإله كان تعبيراً عن القومية أكثر منه صورة بشر أو رمزا للكون الشامل . (١٩)

وسنرى فيما بعد .. أن ذلك كان واضحاً وملموساً تماماً في عهد هونيا منشئ القدس المصرى فى العصر البطلمى .

وهكذا حرص موسى على قوميته واهتم بتخليص ناسه من بنى إسرائيل من المصريين ومن مصر رغم ما وصل إليه هوفيه من مركز سام خطير يشهد بذلك كل النصوص الدينية والشواهد التاريخية . فالله الذى اختاره لهم كان قد اجتمع اليهود عليه واتحدوا منه مجمعا لليهود ومن بعد خروجهم من مصر إلى سيناء والأرض التى وعدهم الله موطناً يتجمعون فيه وباستيلائهم كما ذكرنا من قول سترابون على المقدس فى فلسطين كما فعل ذلك فيما بعد هونيا الرابع الكاهن الأعظم سابقا فى قدس أرض هونيا أى مدينة الشمس فى مصر والذى كان يعتبر نفسه خليفة لموسى فى مصر بعد أن ساءت أحوال اليهود فى مقدس فلسطين فجمعهم فى مصر فى عهد البطالمة بأن أنشأ لهم معبداً ومذبحاً يلتفون حوله على غرار ما كان فى القدس الفلسطينية حسب نبوءة النبى اشعيا — ثم انتشارهم مع موسى تسلا فى أرض كنعان أو فلسطين فاينما ساروا كان الله معهم وبأمره رعاة وحضر ، ان كان فيهم حضر ، يتحركون ولكن فى حصار من أنفسهم بين الناس وعزلة وكان الله من اختيارهم واعتبروه رمزا عنصريا لهم فاليهود على خلاف المسيحيين والمسلمين لم يعتبروا دينهم دينا عالميا للبشر عامة وان كل من يدينون به يكون أخا لهم فى الدين بل قصروه عليهم قبائلا وجنسا ولم يحاولوا التبشير به خارج مجتمعهم العنصرى بل كانوا فى حدود جنسيتهم فقط يهودا بينما انتشرت المسيحية المنبثقة من اليهودية وانتشر الاسلام بعد ذلك ودان بهما العالم أجمع وكان الاسلام خاصة دينا عالميا فقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وليظهر الدين « على الدين كله » وقد كان المسلمون يبشرون بالاسلام عن طريق نقودهم التى انتشرت فى العالم الرومانى والفارسى وكانت كلها ذهبا وفضة وبرونزا تحمل مثل هذه الآيات وغيرها من القرآن بين أيدي المتعاملين بها ممن سيطروا سياسيا عليهم بالفتوحات كخلفاء للإمبراطورية الفارسية والرومانية .

وكذلك كان يفعل المسيحيون فى العصر المسيحى قبل الاسلام أو البيزنطى أو الرومانى المتأخر فى امبراطوريتهم الواسعة التى ورثها المسلمون فكانت النقود البيزنطية تحمل صور المسيح

وبيده الانجيل تبشيراً بالمسيحية بين الخلق . وهذا واضح حتى الآن من عدد المسلمين والمسيحيين وسعة رقعة انتشارهم في العالم بأسره ثم عدد اليهود الذين كانوا بنى إسرائيل وأصبحوا الآن في إسرائيل إسرائيليين .

ورغم ان الاسلام نزل في جزيرة العرب أول ما نزل إلا أن العرب قاموا بالدعوة له بين العالم أجمع عن طريق دعوتهم سلماً ولكن اليهود كانوا قلة مبعثرة مستضعفة من البدو ولم يمكن أن يناهض دينهم الإله الأكبر ابن آمون أى فرعون الذى يؤمن به المصريون جميعاً وهم في ضعفهم وتأخرهم وصغر شأنهم لم يكن أمامهم إلا الهرب بدينهم من أكبر وأقدم دولة في العالم القديم حضارة ورسوخا وعدداً وكان ذلك بالنسبة لهم عيد الخلاص وذكره عندهم عيد الفصح فلما ذهبوا إلى سيناء وجدوا عدداً من البدو من جنسهم قليلون من عبدة الثور أيضاً فلم يبشروا بالدين إلا في بنى جنسهم من أسباط بنى إسرائيل ولما انتشروا تسلاً إلى البلاد الأكثر حضارة منهم كنعان وفلسطين وسوريا كانت عزلتهم بين هؤلاء المتحضرين سبباً في عدم تأثيرهم فيمن حولهم وكان انطواؤهم هذا سبباً في أن يكونوا مشغولين بأنفسهم غرباء عمن حولهم فلم تقم لهم حضارة يتأثر بها أحد ، حتى الله اختاروه هم رباً لأنفسهم وكان موسى كما يقول الأستاذ در يوتون في حديثه مع فرعون يقول « رب العبرانيين » (أنظر ملاحظة ٢٤) .

ثم هم الآن في عصرنا يحتكرون السامية كما احتكروا اليهودية لأنفسهم وأخذوها هي الأخرى رمزاً عنصرياً لهم فمن عاداها وناهضا يكون في نظرهم معادياً ومناهضاً لإسرائيل واليهود وهم يعرفون أن العرب ساميون وأن قدماء المصريين والاشوريين والبابليون ساميون وأقدم حضارة في العالم حضارة الساميين ممثلة في مصر الفرعونية وآشور (٢٠) كما يذكر ذلك الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين أما هم فيعرفون أنهم وجه السامية القبيح .

ان تقيدهم بتلك العنصرية البغيضة ظاهر فيما لم يصلوا إليه بعد من تحديد تعريفهم من هو اليهودى .. ؟ فليس لأى انسان أن يكون يهودياً كما يكون أى فرد مسلماً أو مسيحياً دون قيد أو شرط وحتى لما ضربوا نقودهم كان تبادلها محدوداً بينهم في حيز مدتهم ولم يكن لها انتشار ففى عملة خاصة لا قيمة لها خارج نطاق مدتهم بل محلية ضيقة الاستعمال لا سوق تجارى لها في الخارج فكانت غير معروفة ولكنها كانت تحمل أهم معالم معبدتهم وبعض رموزها دينية كعصا موسى التى صارت حية تسعى وهى التى تشكلت بها النجمة السداسة اليهودية كما سنرى فيما بعد .

فإذا ما رجعنا إلى الكتاب اليهود من اليونانيين الذين يتحدثون عن موسى واليهودية فعلينا أن نأخذ بحذر شديد وترو كبير أقوال المؤرخ جوزيفوس فالتعصب والتحيز الذى أبداهما ليس إلا خلفية لكل ما يقوله هذا المؤرخ اليهودى في كلامه عن موسى وقومه في مصر فأخطاؤه المتعمدة

ومغالطاته ومخالفته حتى للتوراة وتعتمد تناسيه له إنما يدل على تعصبه وعنصريته الجاحمة والواقع أن مغالطته في سرد تاريخ مصر في ذلك الوقت قبيل الخروج كان أساسها هذا التعصب وشدة تحيزه لخلق ولزعم دور لليهود وخاصة لموسى في حرب افتعل وقوعها بين مصر والأحباش (النوبة) آنذاك .

فبعيداً عن الخلافات الدينية بين فرعون مصر وموسى وقومه من العبرانيين لم تقم في تلك الفترة أية حرب بين مصر وبين غيرها أياً كانت والعجيب أن جوز يفوس في كتابه « الآثار اليهودية » فيما سنذكر في العهدين المحتمل فيها الخروج عهد امنيوفيس الثاني وعهد رمسيس الثاني إن صبح ما ذهب إليه القائلون بذلك كانت مصر في أوج قوتها سياسياً وعسكرياً ثم إن عدم ذكر هذه الحروب واتجاه رمسيس الثاني للشرق كل ذلك يدحض قول جوز يفوس ويقوم دليلاً على عدم توقع فرعون لحرب أخرى وفي هذه الحرب التي لم تقم إلا في خيال جوز يفوس تولى موسى أمرها وصال وجال ورد العدو والغازي بعد أن وصل إلى تخوم منفيس ودحره في عقر داره فأعجبت به ابنة الملك العدو وأرسلت تطلب الزواج منه فساوم بقبوله طلبها على أن تستسلم المدينة التي كان يحاصرها ، وهذه مساومة لا تأتي من رجل مثل موسى أخرجته هذا المؤرخ عن خطه الديني وفلسفته الانسانية الصادقة السامية وهو الذي تزوج في سيناء كما نعرف ذلك من الكتب المقدسة وهو المنتصر الذي لا حاجة له لمثل هذه القصة الخيالية التي اخترعها جوز يفوس له كأنه صحفي من إسرائيل ينفخ في بوق دعاية فيدعى له صفة الرجل الذي لا يهزم فيصوغ تلك القصة تعصباً ويشيد بقومه ويخلق له دوراً غير صحيح فحاد بموسى كذبا عن طريق أوحى به الله إليه ليؤمله أن يكون له نبياً وسنورد ذلك تفصيلاً فيما بعد .

أما جوز يفوس فلم يسعفه خياله أن يخبرنا عما تم في أمر هذه الزيجة الوهمية وهو يناقض نفسه في ذلك فكانت رواية سترابون لقصة موسى أقرب ما تكون إلى الاقتناع وسط هذا الخصم من ادعاءات جوز يفوس الذي يكاد يكون معاصراً لاسترابون فيطلق العنان لميوله ونزعاته الدينية والعنصرية وتعصبه فيختلق قصة لموسى وهمية لا أساس لها من الصحة ومخالفة للتوراة والقرآن مستذكراً فقط ما عاناه قومه من الأقدمين في مصر فكره ذلك وأراد أن يعلى شأن قومه بفضل ادعاه لهم ولم يكونوا أهلاً له . وزج بموسى في كذب قوله فافتري عليه دعاية سافرة تجاوز بها الحقيقة وخلط التاريخ .

إلا أنه ذكر حقيقة معترف بها وهي أن موسى « حظى بقسط وافر من التعليم والثقافة بكل عناية » (٢١) وهذا قول منطقي فبعد أن تبنته ابنة فرعون يصبح من الضروري كأحد أفراد الأسرة المالكة أن يتعلم ولكن جوز يفوس يحرف التاريخ وما أنزل في التوراة ويبعد عن المنطق بعكس ما يقوله فيلوفيا سنرى مما يوجب اعتبار موسى فيلسوفاً دينياً في تأمله وتفكيره لا أن يكون رجل حرب حسب رغبة الملك ورغم معارضة أمه بنت فرعون التي تبنته وما أتاه من ضروب

الشجاعة التي أثارت إعجاب بنت ملك الحبش ثم يزعم أن فرعون من ناحيته كان يريد أن يتخلص من موسى وقومه وموسى كان على علم بذلك . وهذا يخالف تماماً حقيقة التاريخ وما ورد في الكتب المقدسة فموسى هو وقومه كانوا يريدون الخروج فخرجوا هرباً رغم ارادة فرعون وهو الذي كان يخشى ان ينضم العنصر المستذل المعذب في جوشن إلى عدو و يأتيه غازي فكيف اذن يكون تسليم رجل من بنى اسرائيل أمرة الجيش دفاعاً عن مصر ، بل ذهب جوزيفوس إلى أن موسى وقومه قد أتوا بنصر لمصر عظيم رغم اجماع المؤرخين جميعاً ان بنى اسرائيل كانوا رعاة في أرض جوشن أو أرض المراعى التي كانوا يرعون فيها ماشيتهم وكما يقول الأستاذ مايام (٢٢) ان كلمة جوشن تعنى المراعى أو المواشى فجوشن وجوشا وجوسانى وجوسان وجوسن وجاشنوب كل هذه الألفاظ تدور حول المكان الذي تحفظ فيه الماشية أى حظيرة ويمكن أن يكون مرعى ولفظة جشنو تعنى الحيوان الصغير اذن فهم رعاة في أرض المراعى شرقى الدلتا انهم لم يأتوا بنصر ما بل المفروض انهم كانوا عقبة في سبيل النصر فقد كانت ثقة مصر فيهم ضئيلة تدعو لعدم الاطمئنان إليهم والخوف من أن ينضموا لعدو يأتى من الشرق فقد كانوا في ذلك الوقت بالذات قلة مستضعفة مطحونة في سخرتها منعزلة في بداوتها رعاة وعمال في مصانع الطوب وبناء المدن مسخرين معذبين كما ورد في التوراة ولم يكونوا جنوداً ولا محاربين يعتمد عليهم في قوة ولا في اخلاصهم لمصر بل على العكس تواقين للخلاص من حياتهم هذه شاكين في غير ثورة متذمرين في صمت خاصة بعد ان أراد لهم فرعون استقراراً بدل الترحال .

ترعرع موسى في القصر الفرعونى وتعلم وحصل على ثقافة وعلم ولا بد ان يكون بحكم ميوله وعقليته قد ألم بالأسرار والطقوس فكان ما ذهب إليه سترابون بالنسبة إلى موسى أقرب إلى طبيعة الأشياء من أن يكون قائداً حربياً عند جوزيفوس اليهودى يزود عن مصر وينصرها على الغزاة الأحباش فيحسده البلاط و يغار منه ويخشاه فرعون ويخاف بطشه ويخافه أعداؤه وتعجب به النساء وينهرن بذكائه وشجاعته ويقعن في غرامه فكان محسوداً مكروهاً لصفاته وكرم شيمه وشجاعته وانتصاراته وكان موضع تقدير الجميع وكرههم بل فات جوزيفوس ان يقول انه كان البطل الذى لا ينهزم كما تقول أبواب الدعاية الآن من بعده بأربعين قرناً دعاية ظاهرة وتعصب عنصري وتزييف للحقيقة واختلاق وكذب على الله والتاريخ فانظر كيف يفتعل فضلاً لإسرائيل شهدت به الآلهة المصرية إذ يقول « فلما وصل الغزاة الاثيوبيون إلى أبواب منفيس لجأ المصريون لاستشارة الآلهة طلباً لنبوة باستلهام الوحي وإذا النصيحة تأتى من الاله » ان اتخذوا من اليهودى حليفاً » (٢٣) .

ومن يكون هذا اليهودى ؟ انه يقصد اليهود وعلى رأسهم موسى فكيف يمكن لهذا المتعصب اليهودى أن يجعلنا نصدق أن نبياً يرضى أن يقوم على رأس جيش محارب و يقتل و يتزوج من بنت ملك لا دفاعاً عن دين أراد الله أن يظهر به ولا تبشيراً لهذا الدين بين الناس حتى التبشير

بالحرب ليس مباحاً وكيف يريد هذا الكافر بموسى أن يجعلنا نصدق بعد كل الكتب السماوية واتفاقها على وضع الخروج من مصر ان نقبل أن موسى عندما كلف بقيادة الجيش كان يضمّر هو ورؤساء عبشيرته أن يهربوا من هناك أى من الحبشة « النوبة » إلى سيناء أى منطق هذا الذى يجعل الانسان يتصور نبياً يخادع مع أنه أمر بأمر من الله أن يخرج ناسه وأن تعرض للمهالك كما روى الكتّاب اليهودى فيللو الذى اتخذ دليله فى التاريخ لموسى كونه نبياً ومشى على هذه السيرة يؤرخ للحوادث وقد كان أقرب فى عدم تعصبه لليهودية من جوز يفوس فى عرضه للمسألة اليهودية الى سترابون ، ان جوز يفوس قد جعل من الخروج من مصر بأمر الله محاولة للهرب وخدعة كما يفعل المارقون وجعل من نبى جليل يأتمر بأمر الله امرأ سئى النية طويته غامضة ، لا يمكن أن يكون موسى عليه السلام ، ثم هو يجعل من العبرانيين « بنى اسرائيل » عنصراً له شأن وكيان قوى وقدر يساوى مصر بأكملها وعونا يساند مصر فى حربها وصد الغزاة وهم الذين عاشوا كما قدمنا رعاة منعزلين مبعثرين فى صحراء مصر الشرقية أى أرض جوشن وتذكرهم النصوص المصرية كما يذكر الأستاذ دريوتون « عابيرو أو خابيرو » Aperou أو Khaperou (وعابيرو وهو اسمهم الجنسى أى العبرانيين بمعنى الرعاة طيلة وجودهم فى مصر وخرجوا من مصر يهودا) أى بعد قيام اليهودية برسالة موسى عليه السلام « وكان موسى يتكلم إلى فرعون بلغة يفهمها المصريون وقال عن يهو إله اليهود (إله العبرانيين) (الخروج ٥ - ٣ (١٤) .

ثم ان فيلوزميل ومعاصر جوز يفوس وهو كاتب يونانى يهودى مشى على هدى القصص الدينى وذلك ما فات جوز يفوس الذى عاش على الأرض ونسى السماء يروى لنا فيلوعن موسى فضائله وفضله فى اتصاله بقومه وهو فى مكان الصدارة والملك فى مصر ناصحاً إياهم طالباً من رؤسائهم من المصريين فى الأعمال المسخرين فيها الترفق بهم والشفقة عليهم والرحمة بهم وكان يشجع قومه بالكلمة الطيبة على « تحمل ما هم فيه من ظروف بشجاعة » ثم يواسيهم بما ينعش آمالهم ويحيى فى نفوسهم الأمل فى المستقبل والقوة على التحمل متمثلاً بالحكمة المصرية البالغة التى درسها وتعلمها بحكم تربيته الخاصة لما كان له من انتماء إلى البيت المالك بالتبنى كما أشرنا فيما سبق ، وقد أورد فيللو كثيراً مما جرى به لسان موسى من تلك الحكم فى مواساته للعاملين المسخرين المعذبين من بنى إسرائيل فى مصر فينصحهم « ألا يجعلوا أرواحهم تشقى بشقاء أجسادهم » وان « يتوقعوا الخير يأتى من الشر » ثم يتكلم اليهم بمنطق الصابرين مهونا عليهم هوانهم و يصبرهم على شقائهم فيقول « ان كل الأشياء فى هذا العالم تتغير إلى أضدادها السحب إلى سماء صحو ، ورياح هو جاء عاتية عاصفة إلى هواء هادئ رقيق ثم بحار صاخبة هائجة إلى هدوء وأمان كذلك فإن الطبيعة البشرية ربما تكون أشد تغيراً » (٢٥) .

إن هذه العبارات المشجعة لا يمكن أن توجه إلى قوم يعيشون فى سعادة ورخاء ولكنها تصدر عن رجل دينى نبى ملهم عالم فهذا هو موسى رجل سلم ودين مسالم متمسك فى تواضع وقوة بقومه

حريص عليهم رغم أنه وصل إلى أوج العظمة التي يصبو إليها كل إنسان فكان ينظر إليه الجميع على أنه « سيكون خليفة جده في الملك وكان لذلك يسمى الملك الجديد » (٢٦) .

ولم يكن في امكانه ان يرفع عن قومه ظلماً أو يردع الظالمين وهذا البؤس الذي خيم على قومه والظلم الذي حاق بهم قد أثار موسى وأثقل قلبه إلا أن رجلاً واحداً كان أقسى رجل بين رؤساء العمال من قومه أثار غضب موسى أكثر من أى إنسان آخر في قسوته وشدته عليهم وظلمه لهم فقتله موسى .

وقيد اعتبر موسى قتل هذا الرجل عدلاً « وكان ذلك عدلاً فالإنسان الذي يعيش لقتل الآخرين يجب أن يقتل » (٢٧) .

هذا ما فعله موسى حسب ما يرويه لنا فيلوكما يحلله منطقياً وقد كان بنو إسرائيل يعملون تحت رقابة رؤساء قساة في عمل « ضرب الطوب من الطين وبعضهم يجمع القش من كل مكان فالطوب يتماسك بالقش ثم ان منهم من يبنون بيوتاً وأسواراً ومدناً و يشقون ترعاً وكلهم مسخرون في ذلك تحت أمرة هؤلاء الرؤساء وكلهم غلاظ القلوب وهذا ما وجد موسى قومه عليه منذ نشأته وإن هذا تصور فيلوك لصدر حياة موسى ولكن دون أن يشير إلى عمل موسى ككاهن كما أخبرنا سترابون فقد أغفل ذلك لشدة تمسكه بخطه الدينى اليهودى وربما كره لموسى أن يكون كاهناً .





صدق الله العظيم إذ يقول لهم السيد المسيح (يوحنا ٨ — ٤٤) « أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى يتكلم الكذب فإنما يتكلم بما له لأنه كذاب وأبوالكذابين » .

هكذا كان ست « تيفون » أى الشيطان عند المصريين وكان العبرانيون الاسرائيليون من عبدته المتعصبين فقد اختاروه إلهاً وجدوا فيه ، على خلاف غالبية المصريين ، مثلهم الأعلى ثم أنهم بسبب ما رآه وعرفه المصريون فيهم من خلق وطباع اختاروه أباً للعبرانيين منذ وجودهم بمصر وظل هؤلاء العبرانيون ثم اليهود بعدهم في مصر وأبنائهم وأحفادهم أجيالاً تلو أجيال نزلهم كما عرفهم المصريون على خلقهم هذه ماضون وعلى طبعهم محافظون وعلى تقاليد عنصريتهم قائمون وشهدت بذلك الكتب السماوية .

أدخل المصريون هؤلاء العبرانيين واليهود في التقاليد المصرية في ذرية ست وجعلوه أباً لهم في خرافاتهم الدينية وهو الإله الذى يرمز إلى الجذب والقفل والصحراء والرمال ، الحارقة والبحر الذى يبتلع ماء النيل و يفسد الأرض وهو الذى قتل أخاه أوزوريس رمز المياه المخصصة للأرض فكان كما ورد في كلام السيد المسيح « قتالاً للناس » وبعد أن هزمه حورس ابن أوزوريس والمنتقم لأبيه « هرب ست من المعركة راكباً حماراً واستغرقت رحلة هربه سبعة أيام على ظهر الحمار كما يقول بلوتارخوس (٢٩) فكان لاستعمال ست للحمار ولغباء الحمير ولونهم أن انتسب الحمير إلى تيفون ، وكان ذلك سبباً في كره المصريين لها في عقيدتهم ولذا فقد لقبوا أوخوس أقسى ملوك الفرس وشرهم « ارتكسر كسيس الثالث » لتعسفه وشدة ظلمه لقبوه بالحمار فكان رده على المصريين « ان هذا الحمار سيحتفل بأكل عجلكم » (٣٠) أما القائلون بأن رحلة ست

في هربه كانت سبعة أيام على ظهر الحمار ونجاته أصبح أباً لهيوسوليموس Hierosolymos ويودايون Judaeos فهو هؤلاء كانوا يريدون أن يدخلوا التقاليد الاسرائيلية في الخرافة المصرية كما يخبرنا بلوتارخوس (٣٣) فالواقع اذن أن المصريين بعد أن عرفوا بنى اسرائيل (العبرانيين) في معاملتهم معهم تمام المعرفة وخبروا أخلاقهم وشذوذ طباعهم وعنصريتهم التى انطوت عليهم نفوسهم الحقوهم بأبناء من أب هو ست إله الشر والشيطان أى الاله العدو في عقيدتهم تماماً كما قال لهم السيد المسيح بعد أكثر من عشرين قرناً « أنتم من أب هو إبليس » ثم يضيف إلى إبليس هذا قوله « ذاك كان قتالاً للناس وانه لا يعرف الحق وكذاب وأب الكذابين » فمن وجهة النظر المصرية العامة يعتبر انتساب العبرانيين (بنى اسرائيل) وعبادتهم هذا الاله ست في مصر قبل موسى كاعلان لوجود حركة متقدمة جداً للصهيونية المعاصرة الآن واعلان المصريين انهم أى العبرانيين ينتسبون إلى تيفون أوست أبناء ينحدرون منه في خرافاتهم الدينية كان ذلك اعلاناً من جانبهم ضد العنصرية ومقاومتهم لها وأصبح بنو اسرائيل في مصر أولاداً لست الذى يسميه اليونانيون تيفون أى انهم ينحدرون من أصل شرير فهم كذابون ليسوا

على حق أنانيون منظوون بطبعهم عنصر يون في حياتهم المنعزلة لا يحبون خيراً لغيرهم كأبيهم . أو لم يكن النزاع القائم في مصر بين الماء المخصب والحياة وبين الصحراء ورمالها الحارقة وجدبها وجفافها والقحل المدمر الذى يقضى على الحرث والنسل ويأتى بالعقم وينشر العدم والعسر والضنك هونزاع بين أوزوريس وست في عقيدة مصر بطبيعة أرضها ونيلها بواديهما بين صحرائها .. ؟

هذا هو ست .. الذى جعل منه المصريون كما نخبرنا بلوتارخوس رمزا لكل الحيوانات والنباتات الضارة والبحر المالح والحوادث المفجعة وكانت كل تلك الشرور أيضا ترمز إليه وكانت تجسيدا له ومنسوبة إلى أعماله (٣١) .

هذا هو ست في عقيدتهم أبو العبرانيين وأما الحياة والرغد فرمزها اوزيريس رمز النيل الذى قتله أخوه تيفون رمز الجذب وريح الجنوب المهلكة والبحر المالح الضار بالأرض وظل الصراع بينهما محتدما حتى بلغ ذروته ببناء السد العالى ولا يزال النزاع قائما كذلك كان كره المصريين في ذلك الوقت السحيق للعبرانيين قائما بلا هوادة فإن انحدر اليهود أصلا من ست إله الشر المصرى فما ذاك إلا لما رآه المصريون فيهم ومنهم قديماً من جحود وعنصرية حاقدة ونكران للجميل و باطل وكلها صفات توجب مقاومتهم فبسيبها كانوا يقاومون ست اوتيفون كما سنرى فهؤلاء اللاجئى الرحل الذين لم يرتبطوا بوطن كان يطاردهم الفقر ويسلب كرامتهم العوز ويعضهم الجوع ويفقدهم اطمئنانهم الاضطهاد ولما ان آمنوا كل ذلك أنقلبوا على مصر وخرجوا منها حاقدين ثم رجعوا إليها مستغيثين ثم هم اليوم حاسدون كارهون فاذا قال بلوتارخوس ان القائلين بهروب ست على ظهر الحمار من معركة مع حورس المنتقم لأبيه مدة سبعة أيام وولد له بعد نجاته ابنان هما هورسوليمون وياهو دايس وهما آباء العبرانيين واليهود فما ذاك إلا ربط بين شرست وشرور خلفه الذين تركهم في مصر بعد ذهابه عنها ربط أراداه الكهنة المصريون وهم الفلاسفة والفلكيون كما يصفهم سترابون (١٧ - ٤٦) فربطوا العبرانيين بهذه المناسبة بست بعدما فهموا وأدركوا على طول الزمن تلك العنصرية الطاغية الخطرة وصدر قرارهم هذا لينبها الشعب المصرى في أساطيرهم المقدسة إلى خطر هؤلاء الغرباء المستضعفين من العبرانيين في شرق بلادهم فكان هذا أول اعلان لمقاومة العنصرية المهددة المعتدية وجه السامية القبيح والشرذمة المنبوذة وأم الصهيونية التى يقاسى منها العالم العربى الآن فهذا الوجود الطفيلى ذو الأطماع العنصرية المنعزلة عن مصر وعن الشعوب كلها قديما لا ينتمى إلا إلى نرعات أنانية كما يرى الأستاذ فؤاد حسين (٢٠ - ٥٥) حتى دين الله أرادوا أن يستغلوه عنصر يا فقصروه على عشائرتهم الذين لا حضارة لها ولا جذور ثقافية ولا وطن بل تطفلوا على مصر وأخذوا عنها العلم والفلسفة والحضارة وهاجروا حيث أرادوا أن يكون لهم كيان بالدين الجديد كما لا يزالون يتطفلون على العرب ويدعون أنهم عربيون فتاها قديما ، وفي العصر الحديث حتى أقام لهم الغرب دولة اسرائيل

تخلصاً منهم ومن تطفلهم وسرطان تدخلهم ولكن هيات أن يستقروا وان يخلصوا النية و يؤمنوا
ويكون ذلك هو تجمعهم الرابع في اسرائيل بعيداً عن مصر بل هونبذ عالمى سياسى واستبعاد
وتخلص من صدام دائم وبلاء مستحكم وبالسلاام فى تلك المنطقة سينكمش هذا الكيان
السطحى وسيدوب فى شعوب الشرق الأوسط بعد حين بالصبر والعمل المكين انها أى اسرائيل
وطن قوم بدون تاريخ وناس بدون رابطة ومستقر سطحى لا جذور لهم فيه ولا أساس يجمعهم
ولا خلفية له توحد من يقيم على أرضه إلا الدين رباط واهى لا إيمان به فى قلوبهم ، ظاهرى دون
تعمق والله بالنسبة لهم تعبير عن القومية أكثر منه عالم شامل وكان انعزالهم وتجمعهم بالانطواء
على أنفسهم وغربتهم عن أى مجتمع يعيشون فيه سببا لانعدام أى حضارة لهم .

كانت عزلتهم الدينية الأولى فى عهد ابراهام ثم عزلتهم الدينية الثانية فى عهد موسى وقد
اختار لهم سيناء « لأنها أنسب مكان للرياضة الروحية » (٢٠ - ٥٧) كما يرى الأستاذ فؤاد
حسنين وخاصة حيث مدينة قادش « المقدسة » المركز الدينى للعقيدة المعينية السائدة فى شمال
الجزيرة (٢٠ - ٥٨) وفى طريق القوافل شرقاً إلى بابل وآشور وغرباً إلى سيناء ومصر وكانت
كما سنرى مركزاً لعبادة الثور قبل اليهودية وتحديثاً للتوراة بأن بنى إسرائيل أقاموا هناك أربعين
عاماً وتكاثروا بالزواج وانضمت إليهم قبائل أخرى وظلوا يتنقلون بين قادس وإيلات وكانت
الوسيلة التى تطورها الوعى القومى هى نزول الوحي المستمر الذى يعرف الشعب الاسرائيلى
بارادة الله وأوامره وكان الأنبياء هم القنوات التى من خلالها يعرف الشعب طريقة وطبيعة
وارادة الله أى الأقوال التى صدرت عن الأنبياء التى ابتدأها موسى واستمرت بعده حتى عصر
التفرق اليهودى المتأخر، وكانت أقوال الأنبياء طوال هذا العصر واحدة وكان لفظ النبى عندهم
مرادفاً للفظ متنبئ أو عراف وكان يوحى إليهم عن طريق الرؤيا فالنبى أو المتنبئ يأتيه الوحي
تحت ظروف غير عادية من الوعى فى حالة التجلى أما بالغيوبه كما نخبرنا فيلو الكاتب اليهودى
عن موسى عليه السلام فيقول انه كان يتكلم فى هدوء فى ارشاده وبعد برهة تستولى عليه
وتسيطر روح تمثله كانت مستعودة أن تأتيه وتتردد عليه فإذا به ينطق و يتفوه بكلمات
النبؤات (٣٢) فكان اذن يتكلم بروح يهوا ثم الطريقة الأخرى كانت الرؤيا للأنبياء فلما أدرك
موسى كما يقول فؤاد حسنين انه قد خان وقت الاستيطان طلب منهم غزو كنعان تحت شعار
كنعان هى أرض الميعاد وهى التى لم يروها من قبل ورغم ذلك يدعون أنها وطنهم (٢٠ - ٥٨)
وبوعده الله يتحقق استيطان اسرائيل لكنعان وكانت كما سيأتى أرضاً لعبادة الثور « فالأرض
عندهم ممزوجة بالعقيدة ولا تنفصل واحدة عن الأخرى » والوطن بلاد لم يروها ولم ينشأوا فيها
ولم يتوارثوها أبناء وأحفاد ككل وطن آخر « هنا نجد أن شعباً يظهر أولاً إلى الوجود ثم يتجه
روحاً إلى اقليم معين كوطن ثانياً ، « أى الفكرة القومية أولاً ثم الوطنية ثانياً فانظر كيف كانت
عنصر يتهم معترفاً بها بين الجميع بخلاف التطور الاجتماعى فى حياة الشعوب فى العالم

والقوميات المختلفة» ولذا فالأقليم والطقس تلعبان دوراً ثانوياً جداً في حياة الاسرائيليين الذين نجدهم يعيشون في أى بلد وتحت كل سماء دون أن يفقدوا شخصيتهم أو يغيرونها فهم لا يفنون في البلد الذى يعيشون فيه» (٢٠ — ٢٨) .

وهكذا تجمعوا الآن من كل بلد في العالم في اسرائيل وهم ليسوا منها ولا هي أرضهم ولكن خيل إليهم أنها أرض ميعاد وسيفنون فيها .

استغلوا السامية وظلموها ولعنصريتهم كانوا وجه السامية القبيح وهم الآن في إسرائيل أجناس شتى لا تجمعهم غير اليهودية دين الله للناس أجمعين ولكنهم ظلموها هي الأخرى لارتباطهم بها عنصرياً وجعلوا منها ديناً قومياً عنصرياً وحبسوها عليهم فانبثقت عنها المسيحية لتطلل على العالم أجمع وأصبحت اليهودية بعنصريتهم دين أقلية منبوذة منعزلة عن الناس والناس عنها منعزلون .





قبيل عبورهم البحر إلى سيناء « ان طريقة الله في الدفاع ليست كما يفعل البشر » ثم قوله « ان المستحيل بالنسبة للبشر عند الله ممكن وفي مقدور يده » « الله بقدرته يجد مخرجا حيث لا مخرج » (٣٤) .

وكذلك كانت تحتوى حكم أمونيموبى على كثير من أمثال هذه الحكم وهو حكيم عاش حسب تأريخ جاردنرين الأسرة ٢١ إلى العصر الصائى وقد كان فضل هذه الأمثال والفلسفة كسيرا فقد أخذ عنها اليهود في كتاب الأمثال الذى ألفه سالومون وسار فيه على هدى أمثالها وتشقف بها اليهود وحكماؤهم فوجود اليهود بمصر كان له الفضل الأكبر في تفقههم هذه الحكم والأخذ بها فقد تشابه كتاب الأمثال اليهودى تماما في معظم ما جاء فيه مع أمثال وحكم امونيموبى المصرى حتى ظن الأستاذ دريوتون ان كتاب سالمون في الأمثال اليهودية هو الأصل وأن امونيموبى — كما يقول — كان « يتكلم العبرية باللغة الهيروغليفية » .

أما الأستاذ مونتيه فيعارض ذلك الرأى ويدلل على أصالة الأمثال المصرية وأنها مصدر للأمثال اليهودية وان البيئة المصرية ظاهرة الأثر في تلك الأمثال فانظر قول امونيموبى « ان الانسان خلق من طين وقش (والله) صانعه منها » (ملاحظة ٣٣) و يعلق الأستاذ مونتيه على ذلك بقوله اننا نرى في هذا أرض وادى النيل حيث يعمل الطوب النئى من الطمى والقش وهذا دليل قاطع على ان هذا عمل مصرى أصيل .

والحق ان بلوتارخوس المؤرخ اليونانى يذكر ما يؤيد هذه الإصالة و يؤكد رأى الأستاذ مونتيه في مصرية هذه الأمثال والحكم التى كانت سائدة في كل العصور المصرية كما نرى وقد دعاها المصريون وحفظوها تعاليم دينية ونقشوها على جدران معابدهم وقد أفاد منها أيضا موسى عليه السلام فهى دستور الحياة الفاضلة عند المصريين القدماء فنحن لاننتظر الموعظة الحسنة والحكمة من كتبنا المقدسة فقط وجدت هذه الحكم وسادت من قبل ولكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد لها نشورا حض عليها وأيدها في كتبه السماوية المختلفة بعد أن يدعمها بقوة الايمان وحساب الناس على اتباعها أو مخالفتها في الآخرة ثوابا أو عقابا فيجعلها ذات فاعلية وأثر لم يكن لها من قبل وقانونا ملزما جزاؤه خيرا لمن اهتدى وهكذا كانت أدياننا السماوية شريعة وقانونا لحياتنا الدنيا الصالحة .

فبلوتارخوس يذكر لنا حكمة مصرية وجدت محفورة على جدران معبد أثينا في سايس وقد ذكر بلوتارخوس هذه الحكمة برموزها الهيروغليفية وحلل هذه الرموز وفسرها وقد كشفت لنا هذه الحكمة عن مقدار ما كان لهذه الحكم من تأثير واضح في انتشارها من المعابد المصرية واليونانية الرومانية فيما بعد على طول تاريخ مصر وكانت تلك الحكم مقيدة أيضا للعظة والتأمل على جدران كل معابد العالم القديم فثلها من حكم وأقوال سائرة معروفة لنا جميعا وجدت محفورة في

معبد دلفى كجملته — اعرف نفسك — ومنها فى نفس المعبد حكمة — لا إفراط فى شىء — متناقلة بين الأجيال ومقدار ما تأثر بها اليهود خاصة إذ انها كانت حجر الأساس فى فلسفة موسى الدينية فى تأملاته قبل الوحي مدة طويلة ، فالمؤرخون يقولون بأن الوحي نزل على موسى فى الثمانين من عمره وكان عمره هذا حجة قوية تؤيد وجود موسى تحت حكم رمسيس الثانى الذى مات فى التسعين من عمره واستمر كذلك فى عهد ابنه منفتح أيضاً من بعده كما سنرى (ملاحظة ٢٩ مونتيه ص ١١١) فوسى طوال وجوده بمصر كان تفكيره وكلامه مصرى ، كما تعلم بها فلم تكن له لغة أو علم إلا بما تعلمه كالمصريين ولم يكن لقومه حضارة ولا دين ولا صناعة إلا ما أخذوه عن المصريين أيضاً لم يكن موسى يحاول حتى بعد رسالته أن يتكلم باللغة التى يفهمها المصريون كما ذكرنا عن الأستاذ دريوتون قوله لفرعون (إله العبرانيين) يقصد «يهوا» وهو مصرى أيضاً فما نطق به من حكمة مصرية عند مواساته لمن كان يعانى من قومه عذاب وعناء وظلم السخرة فى الأعمال العامة مشجعاً إياهم بمنهم بقرب الخلاص وتغيير الحال كما يتغير كل شئ وينقلب إلى ضده حتى النفس الانسانية أكثر تغيراً من كل مظاهر الطبيعة الأخرى فلا دوام لعذاب ولا ضعف بل سيأتى من الشر خير ومن الضعف قوة ومن العذاب خلاص ورحمة إن كل ذلك من حكمة مصر فما كان لليهود حضارة ولا أدب إلا حضارة مصر ولا حكمة إلا حكمة مصر ولا دين دانوا به قبل اليهودية إلا دين مصر نقلوه معهم وارتدوا إليه بعد أن دانوا باليهودية ثم توهموا أن كل هذه الخلفية التى نشأوا عليها كانت لهم وهل كان موسى إلا مصرى تربي فى مصر وعلى أرضها وتشقف وتعلم بحكمها وعلومها وعمل كاهناً فى إقليم مصرى وقارن ووازن فى تأملاته وخلواته أخلاقيات المصريين فأخذ منها ما فتح الله عليه بهديه ونبذ ما وجدته مخالفاً لفكره وتصوره مما ورد فى أمثال اليهود عند سالومون بعد ذلك فى القرن الثانى والأول ق . م .

والحق أن المقارنة بين أمثال أمونيموبى وأمثال سالومون ليست مقارنة بالمعنى الصحيح فالواقع أنها أمثال مصرية واحدة تشكلت بالبيئة المصرية التى ظهرت فيها وعرفها اليهود فى مصر فى الديانة المصرية التى كانوا يعتنقونها هم أنفسهم قبل ظهور اليهودية وفى التقاليد والأخلاقيات المصرية حتى ليقول الاستامونتيه بحق إن طابع أمثال أمونيموبى فى حكمه طابع مصرى خالص لا تشوبه شائبة وإن أمثال سالومون فى أسسها أمثال مصرية وحسب قواعد الحكم المصرية التى وضعها الأخلاقيون المصريون القدماء وأن الناشرين لهذه النصوص المصرية واليهودية قد ركزوا على التشابه السام بين هذه الأقوال خاصة فى القسم الثالث من كتاب أمثال سالومون حتى «ليتصور المرء أحياناً أن أحد النصين ترجمة للآخر» (ملاحظة ٣٣ ص ١١٤) .

إن هذا يعنى أن الأصل مصرى فعراقة مصر وحكمة ديانتها القديمة منذ فجر التاريخ وتجربتها وفلسفتها كانت منها لا غيرها من الأمم واستمد منها اليهود حكمتهم بل وأخذوا من مصر كل شئ لحياتهم الروحية والدينية ثم هربوا منها بدينهم الجديد ثم عادوا إليها فيما بعد فى تجمعهم الثالث

الدينى حرصاً على دينهم الذى خافوا عليهم المصريين فى هجرتهم الأولى ورجعوا إليها تحت قيادة أونياس الرابع الرابع حرصاً على يهوديتهم وحماية لها فى مصر من الوثنية اليونانية فى المقدس الفلسطينى وقد كانت أمثال مصر قانوناً للحياة العامة وهادياً لروحانيات المصريين متجددة فى كل عصر فى عقول العلماء والأخلاقىين فى كل وقت وكل حقبة من التاريخ يتكلمون بها ويفكرون ويتأملون مغازرها فانظر حكمة بناح حوتيب من الأسرة السادسة « انها ليست خطة البشر ومشيتهم هى النافذة ولكنها ارادة الله ومشيته هى التى تنفذ » وكيف كان تسلسل هذه الحكمة فى العصور المتأخرة فى قول امونيموبى (الأسرة ٢١) « ان مايقوله الانسان شئ ومايريد الله شئ آخر » (ملاحظة ٣٣ ص ١١٥) وهكذا تظل الحكمة المصرية خلفية للاخلاقيات والروحانيات حتى العصور المتأخرة جداً وكانت نافذة المفعول ذات تأثير بين فى كتاب سالومون للأمثال وكما يحدد الأستاذ بترى Petrie أيضاً تاريخه بين القرن الثانى والأول قبل الميلاد ثم يقول « انه من الواضح ان هذا الكتاب للأمثال والحكم كان أساساً معروفاً لأفكار القديس بولوس الدينية وان الحكمة كانت باليونانية ومن عرفها (أى اللغة اليونانية) يمكنه الافادة منه » ثم يقول « وكم كان تطور الأفكار والتعاير الدينية كبيراً قبل أن تتبناها المسيحية كامتداد لأسلوب الفكر الوريث وكشكل طبيعى للتعبير عن أسلوب للتبشير بعقائد دينية تأتى بعد ذلك . ويعتبر بترى ان حوالى عام ٢٠٠ ق . م . كان ابتداء وجود أو قيام عصر آداب الحكمة الذى أتى بعد عصر الكتب الهيرومية أى عصر العلوم .

كل تلك الحكم المصرية صميمة نبتت فى بيئة مصرية وظهرت فى خلفيتها وكلماتها حقيقة مصريتها وما كان يجاربه الأخلاقىون من الحكماء والكهنة والملوك عندما يجار الناس بالشكوى وطلب الإصلاح كما فعل المصلحون والأخلاقىون فيما بعد فى العصر الرومانى فنادوا بإصلاح الحمام العام وتخليصه من شوائب خلقية مشينة وفجور مكشوف مع أن تلك الحمامات قامت أولاً على أساس التطهر الدينى ثم ساءت الأخلاق وعم الفساد فى العهد الامبراطورى وكان من مظاهر هذا الفساد ودلائله الواضحة ما كان يحدث فى الحمامات العامة من صور لا تمت للفضيلة بسبب فساد الأخلاقىون بالإصلاح وشكوا محاولين ايقاف هذه الرذائل فلم يسمع لهم أحد ولا استقامت الأخلاق إلى أن ظهرت المسيحية وهددت بالوعيد والردع بالعقاب فى الآخرة فكان هذا الدين ردعاً للآثمين ومصلحاً للاعوجاج ولكن إلى حين ارتد بعده الناس إلى سوثهم حتى فى الإسلام .

وهكذا يذكر بلوتارخوس (٣٦) تلك الحكمة التى نقشت بالهيروغليفية فى معبد أثينا بمدينة سايس على جدران البيلون ونصها أولاً (طفل) ثم رحل عجوز ثم بعده (صقر) ثم يليه (سمكة) ثم بعد كل ذلك (فرس البحر) ويفسر المؤرخ معنى هذه الرموز فيقول أنها تعنى « أيها الناس كباراً ومحدثين » « ان الله يكره الفسوق » فى النص « الطفل رمز الولادة » « والعجوز رمز لفارقة

الحياة» «الصقير يرمز للاله» (وبالسمة يرمز إلى الكراهية وذلك بسبب البحر) ثم بفرس البحر يرمز إلى الفسوق أو عدم الحياء — إذ يقولون ان فرس البحر يقتل أباه ويجبر أمه على معاشرته» (٣٦).

وأما عن البحر وكره المصريين له فيقول بلوتارخوس «ان الاله أوزيريس عند المصريين هو النيل يتزوج اريس الأرض وان البحر عندهم اله الشر (ست) ، ففيه يصب النيل ماءه و يبده و يضيع سدى» ومن أجل هذا «لا يتعاطف الكهنة مع البحر دينيا ويسمون الملح — زيد الشيطان — بل وحرّموا وجوده على موائد طعامهم» فكان احدى المنوعات عندهم ان يضعوا الملح على مائدة الطعام» وليس ذلك فحسب بل انظر إلى أى حد تمسكوا بخصامهم للبحر حتى انهم كانوا «لا يتكلمون مع البحارة لأنهم يستعملون البحر و يكسبون عيشهم منه» (ملاحظة ٣٢).

فالبحر عندهم صورة من صور ست إله الشر الذى كان معبود الساميين فى هذه المنطقة التى يعيشون فيها شرق مصر وقد كان ملك الهكسوس يكن له من التقديس قدرا عظيما وكان حلمه ان يفرض عبادته على مصر جمعاء (ملاحظة ٢٩ ص ١٠١ — ١٠٤) وهذا الاله هو أب اليهود الذى نسبهم المصريون إليه فبعد معاشيتهم لليهود قرونا طويلة تبين للمصريين ان صفات اليهود من صفات ست إله الشر الذى أسماه اليونانيون تبفونا فكانت خلقهم تطابق خلقه فدخلت التقاليد اليهودية فى الخرافات الدينية المصرية وتمت نسبة اليهود لست . وكان ذلك بمثابة أول اعلان من جانبهم ضد العنصرية .

فإذا ما أمعنا النظر فى تلك الحكمة التى أوردها بلوتارخوس (ملاحظة ٣٢) وجدناها مصرية خالصة مائة فى المائة فبلغتها الهيروغليفية ورموزها المصرية التى ساروا عليها فى تقاليدهم الدينية وكيف كانوا ينظرون إلى البحر البعيد عنهم والذى يمتص قدرا كبيرا من ماء نبلهم العزيزة عليهم فيذهب كل عام هباء لا تستفيد منه أرضهم قاطعوه مقاطعة دينية كممثل لست إله الشر الذى قتل أوزيريس أى هذا النيل الذى يسلبهم البحر ماءه كل عام فيقل رصيد اريس من مصدر خصوبتها ثم هم يقاطعون أيضا ماينتج عن البحر من سمك وملح وينظرون إلى كل ذلك نظرة كره وعدم رضاء لاتهم كفلاحين البحر بأنه يضيع عليهم جانبا من ماء نبلهم النافع لهم . «فيا عدا الجزء الذى تأخذه الأرض وتمتصه فيخصبها» (تلاحظ ٣٢) .

عز عليهم هذا فخاصموا البحر وكرهوه وجعلوه فى عقيدتهم شرا ينتمى إلى إله الشر كاليهود وحتى من يعمل فيه من بحارة ومايأتى منه من سمك وملح وجعلوا من سمكه علامة وتعبيراً عن الكره وحظر الكهنة وضع الملح على موائد أكلهم وأسموه «زيد ست» فانظر كيف كان أسلافنا يفكرون فى شر البحر واعتدائه الآثم فيحرّمهم بابتلاعه جانبا من ماء نبلهم ونحن

الأصليين على هذه الأرض تحفزنا نفس فكرتهم القديمة فنبني السد العالي ضنا منا بماء النيل على البحر وما هذا إلا استمرار للصراع بين النيل (أوزيريس) والفلاحين ضد الصحراء والبحر (ست) المفسد منذ الأزل .

هؤلاء هم الفلاحون فانظر قوماً آخر كالإيونانيين من بيئة غربيّة مصر وما يعتقدونه في البحر والملح ففيما رواه الأستاذ ديوجين لايرتيوس (٣٧) من تعاليم الفيلسوف بيثاجوراس (فيثاغورث) (٥٨٢ - ٥٠٠ ق) عن الملح « يجب أن يوضع الملح على مائدة الطعام حتى نتذكر ما هو صواب » « فالملح عندهم يحفظ كل شيء يجده » أو كل شيء معه .

فانظر كيف اختلفت النظرة بين قومين من بيئتين مختلفين فلاحون يضمنون بماء النيل حياة أرضهم واصل خصوبتها على البحر الذي يأخذ منها جانباً فيكرهون البحر وما ينتج عنه حتى من له صلة به ثم ناس يعيشون بالبحر وعلى البحر فيصفونه بالطهر كالشمس وهما عنصرا وجود الملح المصلح وحافظ كل شيء معه .

لا شك اذن ان هذه الحكمة مصرية أصيلة كسابقاتها فإذا ظهر في القرن الأول أو الثاني ق . م كتاب الأمثال لسالومون ابن داود فإنما قامت أمثاله أساساً على الحكمة المصرية وان أضيف عليها جديداً فذلك أساسه مصرى قديم صيغ باليونانية بعد ان تطور في مسيرة التطور الفلسفى الدينى بعد اليهودية وأثرها وتغير البيئة وقد كانت هذه الأمثال كما سبق ان ذكرنا كقول الأستاذ بترى أساساً لأفكار القديس بولس (ملاحظة ٣١ ص ١٢٢) وحده لأنها أى هذه الحكم كانت قد كتبت باليونانية . وعلى كل حال إذا كانت المسيحية قد امتدت على الدرب الجديد بعد اليهودية كفرقة يهودية في الأصل كانت تدرس في المعبد وكان ذلك طريقاً حتمياً للوصول في طورها الجديد إلى العالم بعد تجمد اليهودية (ملاحظة ٣٥ ص ١٣٠ ملاحظة) فكما يقول بترى (ص ١١٢ ملاحظة) (٣٥) ان تيار الفكر والتغير كان هو أساس ابتداء وفهم طبيعة ومعنى استئناف أية حركة دينية جديدة كذلك قامت اليهودية ، فاليهود في محاولتهم عدم تقليد المصريين الذين اضطهدوهم إلا أن ذكريات مصر في نفوسهم لم يمكنهم اخفاءها أو تناسيها فرغم كل شيء ظلت هذه الذكريات باقية لديهم كما سنرى فيما بعد وحتى لما ان أرادوا قطع علاقاتهم مع مصر لم يكن ممكناً كما يقول مونتيه (ملاحظة ٣٣ ص ١٣١) ان يغمضوا أعينهم عن حياة التدين والورع المصرى أى الوجه الروحى لمصر والفضائل المصرية فكانت الوصايا دليل على تراجعهم عن مقاطعة مصر أو كما يقول الأستاذ مونتيه فإن الوصايا كانت اعترافاً سلبياً وقد قبلتها التوراة معترفة بأن موسى تعلم حكمة المصريين (٣٣/١٣١) وفي كتاب الدكتور فؤاد حسين (٢٠/٦٧/٦٨) تحليلاً قيماً لذلك .

وقد أبرزت اليهودية التوحيد بأن أبطلت التجسيد أو صور للأله مما طمس معالم الوحدانية في الديانة المصرية القديمة فاختر موسى عبادة الله بدون صورة بدلاً من عبادة إله أكبر وعدد كبير من الآله المساعدة التى تمثل الآله الأكبر بقدراته المتعددة المتداخلة أى الهينوثيزم (henotheisme) المهيمن على الكون جميعه فقد جعل موسى عبادة هذا الآله الواحد بدون أية صورة فلا تجسيد مصرى ولا تجسيد يونانى فكان ذلك منه اختياراً لله الأحد بأسمائه الحسنى التى تبين لنا قدرته الهائلة وان بيده كل الأمر والمصير وكان ذلك رمزاً ظاهر المعنى للوحدانية وواضح الدلالة لا يشوبه غموض أو التباس وكان ذلك العمل الدينى الجليل يقوم على أساس دينى مصرى فالوحدانية كانت قائمة فى مصر الوثنية وفى اليونان أيضاً ولكنها غامضة الوجود بسبب التجسيد المرنى للإله ذلك التجسيد الذى منع الرؤيا الصحيحة والادراك العقلى الصافى لها مما كان شاغل موسى لتجنبه تجنباً تاماً ففى مصر واليونان بعدها كانت الشمس هى الآله المهيمن وأبوالآلهة جميعاً تحت اسم رع ثم آمون بمصر ثم باسم ز يوس عند اليونان فانظر إلى ز يوس الذى كان أبنا لجميع الآلهة اليونانية التى تمثل جميعها قوى وقدرات من قدرته وقوته الشاملة وكذلك آمون فى مصر وإذا أمعنا النظر أكثر وجدنا أن الآلهة فى التمثيل اليونانى تشابه فى خير أعمالها قدماء المصريين فكانت آلهة الخير جميعها متحدة فى صفاتها مع إله الشمس بن الخير فالماء وقوة الانتاج والخلق وانبات الأرض كل ذلك متجسد فى أوزيريس وهو قوة من قوى إله الشمس ثم نجد تجسيد أوزيريس بالشور وازيس بالبقرة ناشئ من أن هذه الأنعام انما ترمز إلى الخلق والحياة الدائمة التجدد المرتبطة بالدورة الشمسية والغذاء مصدر الحياة فهذه رموز لا تدل إلا على تصور ريفى للخلق و يذكر بلوتارخوس حيوانات أخرى يرى فيها الانسان صورة أخرى غير نفسه يتبين فيها قدرة الله وخصائصه فقدسها المصريون لما تجلى لهم فيها من سر الخالق فالتمساح مثلاً قدسه الناس فى مدينة التمساح أى الفيوم الحالية كما يقول ويشهد بلوتارخوس وسترابون وغيرهما من المؤرخين اليونان ويشهد بلوتارخوس ان هذا التقديس لا يخلو من سبب معقول وذلك لأنه الوحيد بين الحيوانات الشبيهة بالآله « اذ ليس له لسان » وان « كلمات الله لا تحتاج إلى كلام » ثم انه الوحيد الذى يعيش فى الماء وله غشاء شفاف ممتد من جبهته يغطى عينيه « فىرى ولا يرى » (٣٨) « وهذه ميزة يختص بها الآله الأول أى الأعظم ، وبذلك يعترف بلوتارخوس أن المصريين يعترفون بوجود إله أعظم عن طريق تبنيهم ميزة التمساح فى أن يرى ولا يرى ويسمع ولا يسمع وهذا ماينفرد به الآله الأعظم كما يسميه المصريون بالخفى أى آمون الذى لا يروونه وهو ملء السماوات والأرض كما سنرى فى ذكر بلوتارخوس فالتمساح إذن ليس إلا رمزاً يرون فيه صفات الخالق وقدرته وهذا دليل على وجود إله عظيم يجمع فى وحدانيته الجميع الذين لهم بعض صفاته وخصائصه يرونها ممثلة ملموسة فيعبدون هذا الآله الأعظم فى رموزه .

أما أنشئ التمساح ففى أى مكان تضع بيضها يعرف جيداً مسبقاً ان هذه الأرض هى حد

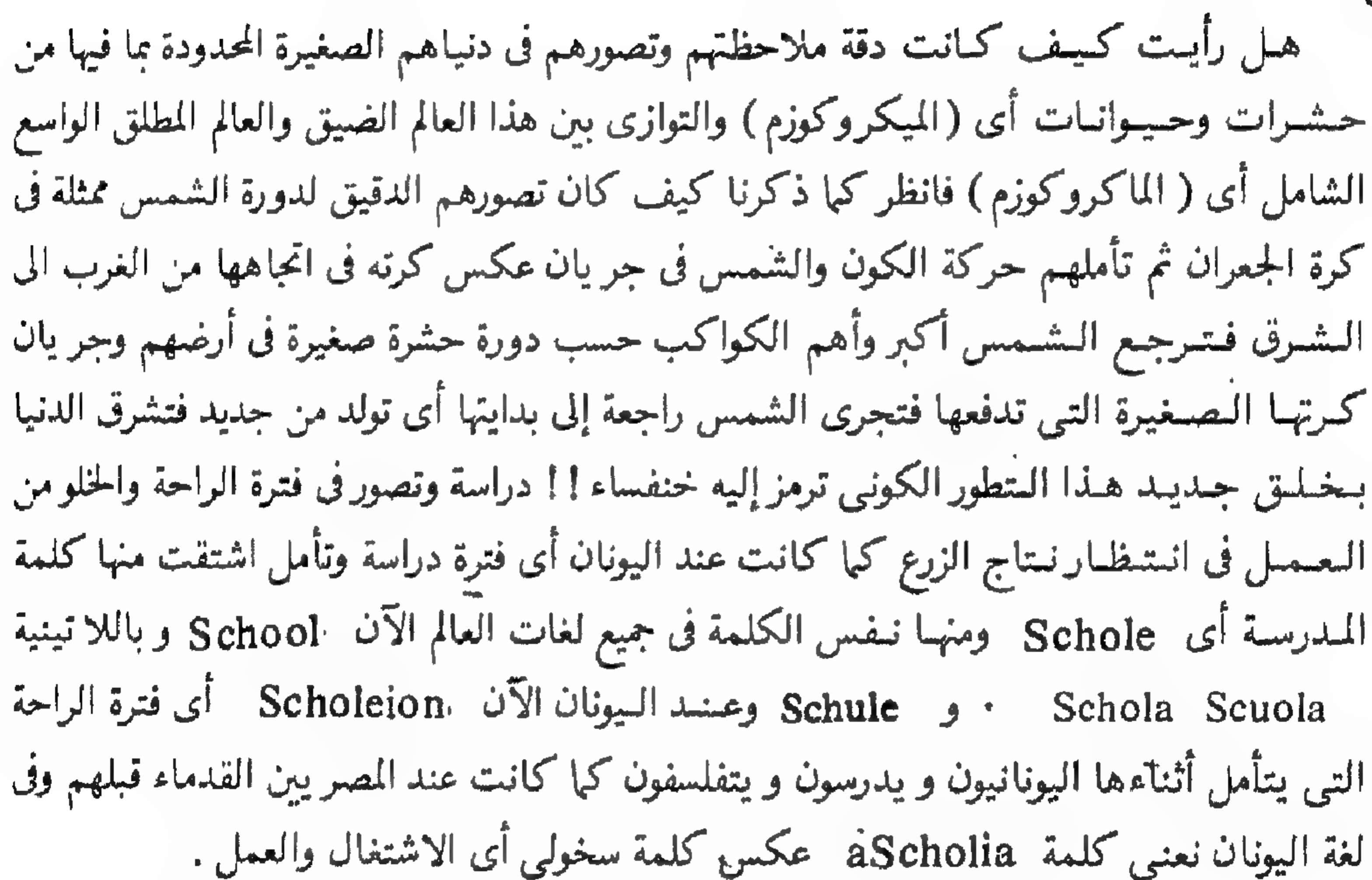
ارتفاع النيل في أقصى ارتفاعه وامتداد فيضانه في تلك السنة فهي لا تستطيع وضع بيضها في الماء ثم هي تخشى ان تضعه بعيداً عن الماء أيضا (وهذا إدراك دقيق للمستقبل) وفي ذلك يقول بليني في تاريخه الطبيعي (٣٩) ان أنثى القمح تضع دائماً بيضها خارج الخط الذي يرتفع إليه أقصى فيضان في تلك السنة وذلك عن طريق « غريزة التنبؤ » فغريزتها هذه التي تكشف لها المستقبل وتضع بيضها في مكان خارج الخط الذي يرتفع إليه فيضان النيل في تلك السنة التي تضع فيها بيضها لا تكون إلا رمزاً للاله الذي يعلم وحده المستقبل .

ثم يأتي إلينا بلوتارخوس بمثل آخر فيه كثير من مميزات قدرها الفلاحون المصريون في تفكيرهم وتأملهم في الألوهية وتصورهم لها فحشرة الخنفساء أو الجعلان (الجعران) أو الكانثاروس أولاً هي حشرة لا أنثى لها بل الكل ذكور (٤٠) وهذا شئ يعنى أنها لا تلد وعندهم انه يخلق نفسه بنفسه ثم هو يحمل بيضه في كرة صغيرة يصنعها هو ثم انظر كيف كان تصورهم لحركة الشمس التي تأتي من الشرق فإذا البعث أو الحياة يدب في الانسان والحيوان والنبات وكل المخلوقات هكذا رأوا في الجعران أو الخنفساء الذي يضع نتاجه في كرة يصنعها من الطين كما ذكرنا ثم يدفع هذه الكرة في اتجاه مضاد لسيره « كما لو أن الشمس أدارت السماء عكس اتجاهها عندما تجرى هي من الغرب إلى الشرق » (٤٠ فقرة ٧٤) أى ان الجعران يدفع المادة الكروية التي فيها نتاجه فتدور عكس دوران الشمس وهذا هو الرجوع إلى الشرق أى البداية والولادة والتجدد والخلق .

وهكذا يعدد بلوتارخوس الحيوانات التي قدست في مصر وكان لكل مديرية وبلدة حيوان مقدس خاص بها ثم يذكر أسباب هذا التقديس وما وجدته فيها المصريون من صفات تدخل على قدرة الإله الأعظم حتى لو كان هذا التشابه غامضاً فقد أبدع بلوتارخوس في تمثيلة تشابه تلك القوى الالهية الغامض في هذه الحيوانات فصوره « بصورة الشمس في قطرات المطر » (٤١) كما ستري فيما بعد بخصوص الحيوانات الأخرى المقدسة في كل مديرية مثل ايبيس والكلب . وغيرها .

هكذا كان تصورهم في تقييم الحيوانات المقدسة بمشابهتها للاله لما فيها من أسرار وصفات اعتبروها من صفات الاله الأعظم فهي أكبر مما عندهم من مميزات تتفوق عليها صفات الحيوانات التي قدسوها وتكبر قواهم ثم قدرات وذكاء غريزي يعلو على قدرتهم وذكائهم وما عليه الحيوانات من خصب جنسى لا يرون عندهم لقوته مثيلاً ثم فائدة في الحيوان لهم يقدرون كفلاحين أنها ترمز إلى سر الهى ورحمة لقوى أعظم من طاقتهم فكان هذا مدعاة للاعجاب وفهم أوضح في تأمل هذه الأشياء عند الفلاسفة من الكهنة العلماء ولكن من جهة أخرى قد أوقع هذا التقدير ناساً كثيرين في حماة الخرافات فضلوا الفكر والتصور فعبدوا الحيوان نفسه بدلاً من عبادة الإله في الحيوان كما قال بلوتارخوس فيما سئري .





53

الفراغ للتفرغ أيضا فرصة خلالها انبعث من العقل الانساني أرقى وأسمى وأروع فلسفة وشعر وأدب وديموقراطية وحضارة روحية خالدة بمدارسها التي كان أبرزها قيام التياترو (المسرح) والوديون والجمنازيون (أى ثالث النور) (أنظر ملاحظة ١٣) ومنهل ومبعث الثقافة عقلانية وروحانية وحضارية وتخرج فيها أساتذة العالم ورواد الفكر الانساني وقامت بها وعنها منائر الحضارة الشائعة وقصور الثقافة العالية بمدارسها التياترو والجمنازيون وجامعاتها الأوديون لكل العالم القديم وأصبحت أصلاً وأساساً لحضارة العالم الحديث تلك المدائن الخالدة أثينا والاسكندرية وروما .

وهكذا كانت هذه الفترة سبباً في خلق خلفية دينية للديانات السماوية فيما بعد .

فالمصريون في فترة فراغهم هذه بعد ان يبذروا الحب ينتظرون الثمار من الرب يتفرغون للتأمل في كل ما حولهم من شئ في السماء وفي الأرض وماء ونبات وحشرات وحيوان بما لها من نفع وضرر وما تمثل من معان معنوية أو رمزية و يتفلسفون ويرصدون حركات الشمس وتوقيتها وربط تلك الحركات بفصول الزراعة ثم يفكرون في كل ما ترمز إليه هذه الظواهر وتلك المخلوقات .

فانظر مثلاً ظاهر الدلالة على كل هذه التأملات أفلم يجسدوا الحكم المطلق فجعلوا رمزاً له إله الشمس المهيمن أى الكوزموقراطى واقفاً على عربة يجرها جياذ أربعة تمثل العناصر الأربعة المكونة للكون وهى أشهر الإضداد ومن هيمن عليها جعلها تتسق مع بعضها البعض فيسود العالم الأمان والاعتدال والتوازن والهارمونية الكونية . ومن هنا نشأت نظرية حكم الفرد الصالح .

وهكذا يتضح لنا أيضاً مقدار أثر تأملهم في هذه الفترة من الفراغ وملاحظتهم للحيوانات على أرضهم فقد سنوها أولاً وقبل كل شئ لنفعها الذى جاء في القرآن «والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون» النحل / ٤ ثم «نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة» المؤمنون / ٢٠ . صدق الله العظيم .

وفعللاً كان الأولون من المصريين يقدسون هذه الحيوانات « لنفعها ثم لرمزيتها » وكلا الصفتين « موجود فى كثير منها » (ملاحظة ٣٧ / ٧٤) ثم أيضاً لما فيها من مميزات تدل على قدرة الخالق وتبينوا ذلك منها من غرائز تدل على حول وعظمة الاله الواحد كما يتمثلونه فى أذهانهم كما يخبرنا بلوتارخوس وخلاصة تفكيره فى هذا الشأن « أننا يجب ألا نكرم هذه الحيوانات لذاتها » بل نعبد الله من خلالها فهى مرآة صافية أوجدتها الطبيعة (٤٢) . ترى فيها قدرة الله وذلك « لأن هذه الحيوانات يجب أن تعتبر بوضوح « أداة أو فن الإله الذى ينظم كل شئ » (٤٢) .

وهكذا كانت الرمزية في الحيوانات حسب تفكيرهم وتأملاتهم تعبيراً عما يريدون الإفصاح عنه من أفكارهم وكان تعبيراً صادقاً يستند على أساس من فهم وتقدير عقائدي سليم مما يوضح ان الحكمة التي قدمها لنا بلوتارخوس مصرية أصيلة . وهي في نفس الوقت سنداً لما ذهب إليه الأستاذ مونتيه من أن حكمة أمونيموبي المصرية الخالصة كانت أساساً ارتكز عليه سالومون في كتابه الأمثال وقد قامت الحكمة في مصر على أساس ديني فالزيف وعدم طاعة الاله هي سبب الكوارث والويلات الدنيوية وكذلك الأمر عند اليهود ولذا فالوصايا والنصائح منصبة على طاعة الآلهة والاستقامة وحب الخير وعمله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وكان ذلك في مصر وفيما بعد عند اليهود واضحاً فاستمدوا أمثالهم ووصاياهم من هذه الحكم الأخلاقية وكان العصيان للآلهة وعدم القيام بالطقوس والمراسم وعدم موالاة المعابد بالاضاحي والعناية بها وتعميرها أثر في تهديد الحاكم بالعقاب الشامل والبلاء بانخفاض النيل وما يترب عليه من مجاعة في كل البلاد ثم بالغزو الأجنبي والأمراض وطغيان الصحراء والرمال على الأرض التي يخصبها ماء النيل إلى كل هذه الأشياء التي كان يخاف المصري عواقبها ويضحى من أجل أن يردّها الاله عنه ويتمنى على الآلهة ان تقيه شرها وعواقبها وكان ذلك يخيف الانسان المصري وكان تذكيره بها له أثر فعال في استقامته وعمله الصالح وهذه الطاعة من جهة أخرى تتمثل في قراءة الكتب الدينية والاحتفاظ بكلام رجال الدين من الحكماء والاسلاف الصالحين ففسير الناس في الطريق المستقيم وتسلك سبيل الخير والآلهة (ملاحظة ٢٩/١٠٨) وكان ذلك تحصناً منهم ضد ما قد يصيبهم من كوارث ورزايا وفي العصور المتأخرة نجد هذه الوصايا والحكم المصرية مأخوذة أو مستنبطة تماماً في حكم سالومون حتى في الشكل ومخاطبتها الأبناء إذ كان يتوجه الحكيم بأمثاله إلى ابنه سواء كان حقيقياً أو متوهماً ففي ذلك روح انسانية دينية يقصد بها الرحمة الأبوية والخير الصادق بمن توجه له كالعبادة المصرية تماماً والقصد من احترام الآباء والمسنين والأخذ بنصائحهم . والأهم من ذلك وحدة موضوعات هذه الوصايا في كل من الأمثال المصرية واليهودية نتيجة حياة العبرانيين قبل ان يكونوا يهوداً مع المصريين ومشاركتهم تقاليد المجتمع المصري ودياناته وأحواله وحياته الدنيوية والروحانية معاً رغم الفارق الاجتماعي بين الحضرة والبدو فانظر وصايا المصريين بالبر بالوالدين واحترامهما والرحمة بالأم خاصة كما يذكر الأستاذ إيرمان Erman (٤٣) إذ يقول « قدم لها الخير بكثرة كما قدمته إليك فقد كنت عبثاً ثقيلاً عليها بعد ان ولدتك بعد الشهور الطويلة حاملة اياك على رقبتها ثم ثلاث سنوات وهي ترصعك ثم أرسلتك إلى المدرسة ثم كل يوم تعد لك العيش والجمعة في المنزل » . فواجب رعاية الأم المصرية من أبنائها أمر أوصوا به ونصحوا بالقيام به ومراعاته . وقد أوصى آني Ani (الدولة الوسطى) باحترام الوالدين بينما أمونيموبي كما يقول مونتيه لم يجد ضرورة الى ذلك إذ أنه كان يخاطب ابنه ويوجه إليه حكمه وأمثاله (ص ١١٨) وفي أمثال سالومون يجمع الاثنين معاً ويقول اسمع كلام أبك سبب وجودك ولا تهمل أمك إذا كبرت (أمثال ٢٣/٢٢ مونييه ملاحظة ٣٣ ، ١١٨) .

ثم انظر وصايا الأمانة في التجارة والتعامل الشريف الأمين بين الناس وكله وارد في الحكم المصرية وخاصة موضوع الكيل والميزان فانظر كيف ان الميت يعترف (مونتيه ملاحظة ٣٣ ، ١٢٢) مرتين الأولى بأنه لم يخسر الميزان والثانية بأنه لم ينقص الكيل ثم ان من يتولى الضرائب العينية على الأرض ومحصولاتها كان يقوم بقياس الجزر والأراضي ويحدد مساحتها تحديدا دقيقا بعد انحسار فيضان النيل عنها وقد كانت الفيضانات الغامرة تغير حدود هذه الحقول باستمرار وهكذا كانت نشأة علم الهندسة في مصر وإليك هذه الوصايا وما اقتبسها سالومون في أمثاله منها : فيقول امونيموبى (١٨ ، ٢٢ ، ثم ٢٤ ص ٣٣ / ١٢٢) « ان القرد (رمز الاله توت) كان دائما ممثلا قرب الميزان وجسمه هو عمود أو قائم الميزان فأى إله مثل توت الاله الأكبر الذى أوجد هذه الأشياء لتطبيقها الصحيح فلا تستغلها في أعمالك فتخسر الميزان » .

وقد أثبتت الآثار أن الميزان يمثل دائما والقرد يعلو قائمته وأحيانا تعلوه ريشة أى علامة (معت) أى الحقيقة أو الحق . ثم ان الجزء الثامن عشر من أمثال الحكيم امونيموبى خاص ، كله تقريبا بمكيال الحبوب فانظر في هذه الوصية :

« حذار أن تغش الوادج (مكيال للحبوب) أو أن تغش في أجزائها فلا تكيل بمكيالين » (١٨ ، ١٩ - ١٦ في ملاحظة ٣٣ ص ١٢٢) .

أما مكيال الوادج فهو (عين رع) كما كان (القرد رمز توت) ، ومقت رع ينصب على رأس من ينقص الكيل فعين (الوادج) أى عين رع تكون دائما شاهدا على اتهام من يكيل غشا » : مونيموبى ١٨ ، ١٩ + ١٩ ، ٣ أنظر ٣٣ / ١٢٣ .

و يفسر الأستاذ مونتيه الوادج بأنها مكيال للحبوب غير (عين حورس) التى تحطمت إلى جزئيات على يد إله الشرست في حربه ضد حورس وقد التأمت وعادت إلى ما كانت عليه سليمة على يد الإله توت . وهذا المكيال له أجزاء صغرى . (٤٤)

ثم ان تغيير الحدود في الحقول جرم يعتبره المصريون عظيما مما استدعى وجود المساحين علاوة على ان فيضان النيل كل عام يغير هذه الحدود ويطمسها مما زاد الحاجة إلى هؤلاء المساحين الدائمين لاعادة الحقول إلى سابق حدودها وفي هذا يوصى امونيموبى « لا تغير الحدود على حافة الحقل ولا تغير موضع خطوطها ولا تطمع في قدم واحدة من الأرض ، ولا تقطع شيئا من أرض الأرامل » .

وكما يقول الأستاذ مونتيه فأمانة الميزان والكيل ومقاييس الأرض لها صدى كبيرا مطابقا لوصايا المصريين في ذلك تماما في أمثال سالومون اليهودى فانظر قوله الذى يكاد يكون مصرى تماما في مطابقته لوصايا امونيموبى .

« ان ميزانين ومكيالين كليهما يغصب يهوا » (سالومون ٢٠ ، ١٠ ملاحظة ٣٣ / ١٢٤) .

ثم مثل آنجر:

« الميزان بكفتيه وكيس الصنج بين يدي يهوا » (١٦ ، ١١ — ٣٣ / ص ١٢٥) .
« ان يهوا ليفزع و يغصب من ميزانين فالغش في الميزان لا يجوز (حرام) (٢٠ ، ٢٣ ملاحظة ٣٣ ص ١٢٥) .

و يتطابق المثل المصرى والمثل اليهودى فى قول سالومون « لا تغير وضع حدود الحقول التى ثبتها أبائك » (أمثال ٢٣ ، ٢٨ ملاحظة ٣٣ / ١٢٥) .

ثم قوله :

« لا تغير وضع الحدود القديمة ولا تعتدى على حقل الأيتام لأن المنتقم لهم قادر قوى فهو الذى يتولى حمايتهم منك ثم ان الاثم يكون أخطر لو كانت الضحية أرملة أو طفل » .
(ملاحظة ٣٣ / ٢٣ ، ١٠ — ١١) .

وهكذا يتغير الأسلوب والفكرة واحدة فانظر إلى ارشادات تربية الطفل فى مصر من الحكيم بتاح حوتب وعند امونيموبى والظاهر ان العصا كان لها دورا كبيرا فى تأديب الطفل وان الزوج أيضا يمكنه ضرب زوجته بدون غلظة اما الوالدين فرحمتهم بأبنائهم لا تغنى عن عدم استعمال العصا حتى لقد قال أحد الكتبة وهو يصير على اسنانه « أن إذن الولد فوق ظهره » .

(ملاحظة ٣٣ / ١١٩) .

أما فى أمثال سالومون فيقول :

« لا تكف عن ارشاد الطفل إلى الصواب فلن يموت حتى لو ضربته بالعصا » (أمثال ١٨ ، ٣) .
ثم انظر هذا التطابق البين فيما يذكره أمونيموبى (ملاحظة ٣٣ / ١١٧) من وصايا إذ يقول :
« لا تشتهى مال الفقير ولا تجعله يجوع بحرمانه من خبزه فأكل مال الفقراء يسد الحلق (يقف فى الزور) وتتشنج له الرقبة .

(مونيموبى ١٤ ، ٥ — ٨) .

ثم انظر مثل سالومون فى ذلك :

لا تشتهى زاد الفقير القليل فهو يعصف بالرقبة ويخرج من فمك فور لحظة التهامك له » .

ثم قول آخر لأمونيموبى « لا تجمع مالا حراماً فلن يظل عندك حتى يمضى الليل ولن تجده فى البيت ولا فى مكانه الذى وضعته فيه وستكون له أجنحة مثل الطيور ويطير إلى الفضاء » (٩ + ١٠ ، ٤ ملاحظة ٣٣) .

بينما يقول المثل اليهودي « لا تجهد نفسك لتصير غنياً وأترك المال غير الشريف ضيع نظرك عليه فلن تجده هناك فهو يجعل لنفسه جناحين مثل النسر يطير إلى السماء » . (٢٣ ، ٤ - ٥ ملاحظة ٣٣) .

والفارق هنا كما يقول مونتيه بين المثليين رغم ان الفكرة واحدة تماماً في سرعة زوال المال الحرام وضياعه هباء في الهواء ففي المثل المصري انه طائر فليس لدى المصريين نسوراً بل كان عندهم الصقر أما اليهودي فقال نسرا .

لم يكن الأمر كما رأينا في تلك الوصايا فيما يتعلق بالكيل والميزان هزلاً أو تراخياً لمجرد النصح بل كانت هذه المكاييل والموازين والمقاييس كلها أدوات الآلهة لنشر العدل والأمانة بين الناس وكانت في حفظ الآلهة ورعايتها فمن عبث بها تعرض لغضب منها شديد فانظر كيف كانت الموازين والمكاييل تحمل كلها رموز وعلامات الآلهة فقرد (توت) وريشة (معت) رمز الحق والحقيقة على الميزان ثم (الوادج) عين رع للمكاييل كما كانت حيال مقاييس المساحات والحقول تلف على ما يمثل به آمون برمزه الكبش كل ذلك يشير إلى فرض اتباع الأمانة والصدق والعدل في معاملات الناس بعضهم مع بعض وان الاله شاهد على ذلك ثم يتغير ذلك في أمثال سالومون ولم يعد الأمر يخص الآلهة الوثنية الفرعونية فقد آلت كلها ليد يهوا إله العبرانيين (ملاحظة ٢٩/١٢٩) .

فما ذكرته المصادر من الوصايا والأمثال لامونيموبى تبين ان حكمته كانت خلاصة تطورات وتوارث الوصايا المصرية من العصور والأجيال القديمة منذ الدولة الأولى فهذا الحكيم المصري يتكلم مع المصريين وإليهم ويذكرهم بما يجب أن يعوه من حكم وأمثال أسلافهم مشيراً إلى من آمنوا به من آلهتهم الأول وما شبوا عليه في وادي النيل وقد شابهتها في وضوح كبير أمثال سالومون ولم يكن توافقا عفويا ما رأينا فقد عاش اليهود قرابة أربعة قرون أو يزيد (التكوين ١٠ ، ١٣ ثم الخروج ١٢ ، ٤) وكانوا على صلة بالمصريين فقبل أن يوطن يوسف إخوانه في أرض جوشن أتى ابراهيم ودخل في علاقة مع الفرعون في أرض مصر إلا أن الأستاذ ليفيفر قد أوضح ان اليهود لم يخرجوا من هذه الأمثال التي اقتبسوها بنفس ما وصل إليه المصريون من نتائج روحية وعقلية فخضوع اليهود وامتثالهم للأوامر والوصايا كانوا ينتظرون نتيجة له حياة طويلة وشيخوخة سعيدة بين أولادهم وأحفادهم بينما المصري يرى ان جزاؤه حياة أبدية في رحاب الله الذي أطاعه طوال حياته .

ولكن ظلت العلاقات مستمرة بين اليهود ومصر وحتى قيام دولة يهوذا لم يوضع حد لعلاقتهم بمصر فالواقع ان هؤلاء الرحل البدو كانوا دائماً يعبرون الحدود إلى مصر كلما أرغمهم الجوع على هذه المخاطرة أو كلما أتوا فارين مخافة القتل والمذابح كما ظهر ذلك واضحاً برجوعهم مع كاهنهم

الأعظم المنتظر أونيا الرابع إلى نفس منطقة جوشن في عهد بطليموس السادس وتأسيسهم قدسا جديدا في مصر فيما بعد ذلك بقرون طويلة ثم كان التأثير الذي ظهر واضحا جليا هو ذلك الذي كان من تأثير وصايا وحكم امونيموبى عليهم الذي كان كتاب أمثال سالومون نسخة منقحة منه ومما يحتويه من حكم مصرية .

كان المصريون يرمزون بالحيوان حسب ما يفكرون فيه ويتأملونه من جهة صفاته ومميزاته التي يمكن أن تشابه أو تدل على بعض الشبه بصفات الآلهة فتصير لها رمزا ثم يعبرون بتلك الرمزية تعبيراً صادقا يستند على فهم عميق وتمثيل عقائدى سليم فيما يريدون الافصاح عنه من أفكار وترجمة ما عندهم من تصورات فكانت القطعة تمثل كما يرون في عينها آمون أى الشمس فقبل طلوع الشمس تتسع حدقة عينها ثم كلما اشتدت الشمس ضمرت حدقة عين القطعة وصغرت حتى تصبح عند الصهيرة خطأ رفيعاً ثم تأخذ ثانية في الاتساع كلما اقتربت الشمس من الغروب حتى تصبح كاملة الاستدارة وتضىء في الليل فعلا فأخذها المصريون رمزا للقمر وهو شمس الليل فانظر كيف تمثلا الآية الليل والنهار وعبروا عن حكمة الله في التحرك الفلكي اليومي للشمس والقمر مما ذكره الله في كتابه « يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل » أرادوا أن يصوروا ذلك فنقشوا مترجمين هذه القدرة كما تصورها على حجر كريم من العقيق حفرت عليه عربة شمسية فيها قطعة بيديها لجام وعصا تقود بهما ديكين رمزا للشمس — فالقطعة هي القمر أو شمس الليل أى رمز الليل تسير بالعربة يجرها ديكان رمزا بشير الشمس والشروق لنهار جديد . فالديك كما تذكر التقاليد حديث الدخول في الشرق وكان موطنه الأصلي سومطره وسيام ثم الهند ثم من الهند دخل إلى إيران ومن إيران إلى بابل والشرق ثم إلى جزر اليونان فصر في عهد رمسيس الثالث تقريبا فلما وصل إلى مصر لم يدخل دائرة التقاليد والخرافات الدينية المصرية لتأخير معرفة المصريين به ولذا فعندما وصل إلى اليونان وإلينا لم تتغير رمزيته الشمسية الفارسية وظل رمزا للشمس كما كان في فارس وفي طبقوسها وكما ذكر في الافيداد (الافستا) إلهاً للضوء أهورامزدا ضد إله الشر والظلام اهرمان .

وهكذا احتفظ الديك برمزيته للضوء والشمس ونورها حتى العصور المتأخرة كما نجده ممثلاً على غطاء مسرجة من النحاس من العصر القبطي .

وقد دخل أيضاً في قصة الإله ميثرا Mithra الفارسي ومثل على لوحاته أى الميثرا المتعدده برسومات دائر الفلك الشمسي الفارسي تحت صورة إله القمر والقمر في طريق النهار الجديد يسبق الشروق الذي كان بشيره الديك . أنظر الخشاب (٤٥) .

وهكذا توافقت الصورة المصرية اليونانية الرومانية على فص الخاتم ضمن مجموعة المتحف المصري فتمثل الشمس التي تنبعث من الليل إلى النهار وتمثل حركة الخلود الأبدية وهي فال حسن لحامل هذا الخاتم تبشره بعمر مديد فالنور الدائم هو الحياة المتواصلة بالأمل وما ذلك إلا تصورا لآلهة تمثل إله الشمس الأعلى في مسيرته وأبديته لحلقاته يومية متصلة الحركة والوجود يرمز إليها بصور شتى ثم حركات سنوية أخرى يرمز إليها بصور أخرى غير القطة فيها إله الشمس بصورة إنسان له رأس ديك في لباس حربي ويحمل بجنا عليه اسم سحرى لحورس لمقاومة الظلام والشر يمثل أيضا على أحجار الخواتم التي تعتبر تماثم محمولة في أصابع الناس ومكتوب مع هذا المنظر أحيانا كلمة (Abrasax) وحسب مجموعة الاعداد السحرية لهذه الحروف نجد أن هذا المجموع الحروف هذا الاسم العددية يساوى ٣٦٥ كذلك كان عدد حروف اسم ميثرا أى عدد أيام السنة وهذه دورة سنوية للشمس المهيمنة على السماء والأرض وكل ما حولها يدور في فلكها والكل تحت سيطرتها ومرتبطة بدورانها في رحلتها السنوية فصول الزراعة بمحاصيلها العديدة ثم بعد ذلك صورة الدهر (الأبدية) التي تتمثل في شكل ثعبان ملتف حول نفسه بشكل الحلزون فالشعبان زيادة على شكل الحلزون أى اللانهائية يمثل أيضا الأبدية ففي الخرافات البدائية الافريقية صور الثعبان على أنه عرف سر الخلود فخلد نفسه إذ أعطى الله الانسان هذا السر فأهمله وترك حمارة الذى يحمل سر الخلود يذهب بما حمل وحده إلى بيته فر الحمار بعين ماء وكانت حارسها حية وأراد أن يشرب فننعتة الحية حتى تعرف ماذا يحمل فأعطاه الحمار ما أرادت فكان السر ان يغير الانسان جلده فتتجدد مسامه وأنسجته فإذا هو متجدد لا يفنى فاحتفظت الحية بالسر لنفسها وشرب الحمار ورجع الى بيت صاحبه بعد أن أضاع ما حمل هذه الخرافة شائعة حتى الآن بين أهل الكونجو وان دلت على شئ فتدل على ان الثعبان يتغير جلده ويعيش زمنا طويلا جداً ولذا اتخذ رمزاً للأبدية قديما وهكذا أصبح رمزا الألوهية الخالدة ثم انه — أى الثعبان — في تمثيل آخر تجده على الأحجار الكريمة ممسكاً ذيله بضمه مكوناً دائرة لانهاية لها ولا بداية ويحيط بتمثيل الآلهة المرسومة على الحجر في الوسط وخاصة تمثيل هار بوكراتيس أى الطفل حورس على زهرة اللوتس مأواه بالليل ومنها شروقه نهاراً ودورة الشمس اليومية ، فالإله أبدي (أنظر الخشاب J.E.A. (1961) وتبشر هذه التيمة (الثعبان وما داخل دائرة الثعبان) حامل هذه الصورة على خاتمه بطول سلامة ولكن الدهر أو الأيون باليونانية مثل أيضا في صورة جميلة لتمثالين الشمس والقمر في هيئة طفلين عاريين الذكر هو الشمس والأنثى هي القمر على رأس الذكر قرص الشمس أما الأنثى أى القمر فتحمل على الرأس قرص الشمس مع هلال القمر الذى يرمز إلى القمر فالقمر زوجة الشمس والاثنان متقاربان بجانب بعضهما ويتماسكان كل واحد منها يضع ذراعه على كتف الآخر حول الرقبة يضمهما ثعبانان ضخمان ملتفان حول الوسط بشكل حلزون أى تمثيل الايون وقد وجد هذا التمثال الرائع داراسى Darassy (٤١) وهذا التمثيل

يمثل ما وجد عند الفرس أيضا فثلث أناهيتا أو العنصر المؤنث من عنصرى النار الذى يمثل القمر فى صورة تمشال وقد أحاط بها ثعبان ضخيم يلفها بشدة فهى كعنصر التأنيث إنما تمثل قاعدة الخلق الدائمة المتجددة واهبة الحياة الخصبة كالقمر وهذا التشابه فى هذا العصر المتأخر فى العالم الرومانى كان أثراً من التقارب الذى تم على يد فلاسفة اليونان بين الديانات القديمة المختلفة فى تكوين الآلهة وقدراتها كما سنرى .

هذا التمثيل اليونانى الرومانى للشمس والقمر والتفاف الثعبانين الضخمين حلزونياً حول أسفل جسمى الالهين الذكر والأنثى إنما يمثل الدوران الأزلئ بلا نهاية من تعاقب الليل والنهار والفصول فى فلك دائر أبداً حول الشمس تقوم عليه الحياة اللانهائية وتتعاقب فيه الأجيال وتتعلق به أرواح الناس وكل هذه الصور تمثل الشمس والكواكب فى تطورها كما تصوره رجال الدين الفلاسفة منهم والفلكيين ورجال الفن فى العصور المتأخرة اليونانية الرومانية فهى تصور الكل فى واحد وهذه هى الوجدانية ولكن كنهها غامض تاه فى وسط هذه التمثيلات والصور العديدة مما حدى بموسى أن يجسم الأمر فحى الصورة بأى شكل كانت كما ذكر سترابون فى عصر غمضت على العقول فكرة الوجدانية فى هذا الخضم من تجسيدات متواصلة متعددة كما فعل من قبله اخناتون فى تمثيل الوجدانية فى قرص الشمس ومثل قواه المتعددة بأشعته منتبهاً كل شعاع منها بسيد آدمية رمزاً ليد الله تحتضن الملك وكل الكون بيدها الأمر كله لها والمصائر ولكن موسى كان أحكم منه فى هذا وأوضح .

وحسب رأى بلوتارخوس (ملاحظة ٤١ / ٦٧ / ٣٧٨) من (الناس من اتخذ رموزاً غامضة ومنهم من استعمل رموزاً أوضح) فمنهم « من يفضل ويقع فى الخرافات » كما ذكرنا فيما قبل ثم آخرون « إذا أرادوا تجنب العقائد الخرافية انزلقوا دون قصد منهم ، إلى مهاوى الكفر » (ملاحظة ٤١ / ٦٧ / ٣٧٨) .

كانت عقائد غامضة رغم أن أساسها البحث والتفكير المقدس عن الخالق فى مخلوقات كان يرى فيها الانسان صورة غير نفسه وعالمها غير عالمه فصدق الله العظيم « ان لكم فى الأنعام عبرة » ثم ان الأمر لم يكن عبادة فقط إنما هو ملاحظة ودراسة كل ما ينفع وما يضر الزراعة والانسان ولا تكريم لحيوان إنما هو نفع يحافظ على ما يأتى منه ويصدر عنه فيكرم فانظر قول المؤرخ بلوتارخوس ان فى مصر كان بعض المصريين يكرم « القنابر التى تبحث وتحطم الجراد » كما أن أهل تساليا فى اليونان كانوا يعزون نوعاً من الطيور « اللقلق » الذى يبحث عن الثعابين التى تخرج من الأرض بكثرة ويقتلها حتى انهم « سنوا قانوناً بنفى كل من يقتل أحد هذه الطيور » (بلوتارخوس ٧٤ / ٣٨٠) .

فليس في ذلك عبادة وليس جديدا في بلادنا الزراعية المليئة بالحشرات الضارة بالزراعة والشعابين الكثيرة ونحن نعامل طير أبوقردان بنفس هذا التكريم ونحافظ عليه لصداقته للفلاح ونفعله له فنحن لانهبها ولا العقلاء من القدماء كانوا يفعلون بل ان مظاهر الاعزاز والتكريم البدائية هي مصدر هذا الخلط بين التقديس والاعزاز والرضاء عن بعض الحيوانات التي يرى فيها الانسان المصرى وغير المصرى من البدائيين صورة غير صورته فيتبين فيه شيئا شبيها بالاله الحامى والنافع للإنسان والقادر على مقاومة الشر و يتزايد احترام وحب الناس لحيوان ما بقدر ما فيه من خصائص الاله من النفع والحماية فالاله كما أجمع الناس في تصورهم له يجدون فيه كل المميزات والصفات الطيبة فهو يحميهم وينفعهم ويحجبهم الضر ويشفيهم ويزيد في رزقهم ويمنع عنهم العسر فما وجدوا فيه هذه الصفات بعضها أو كثير منها من الحيوان كفلاحين بدائيين أحبه فنظرتهم وبحشهم عن الاله الخفى الذى هو ملئ السماوات والأرض جعل الاله دائما وجهتهم وفي فكرهم وتخيلهم أنهم يبحثون عنه في كل شئ يرونه في الماء والأرض والنبات والحيوان والحشرات وفي السماء في الكواكب والنجوم والشمس أهم الكواكب وأكبرها وعماد الفلك والكون وكل شئ متعلق بها ومتوقف عليها تهيمن وتؤثر في الكون جميعه منها النور والحرارة والليل والنهار وكل الظواهر التى تحكم العالم تسبب المطر والجفاف والنار فهي فعلا القوة الكوزموكراتية الظاهرة أى العقل المدبر للكون (أو العقل الأبوى للاله الخفى) التى استولت على عقول كل البدائيين فجعلوها رمزا أو إلهاً قريناً مساعداً أو ديميورجا لإله يشمل كل شئ خفى عن أعينهم مدرك بعقولهم لا يدركون كنهه وإن عاشوا به وتمتته يرسل المطر وينتج النبات ويرسل الريح ويسبب الجفاف والقحط فنه الحياة ومنه الموت في تطوره بتغير الكون برد فخرىف وشتاء وربيع وحر وصيف وفصول زراعة ومطر وفيضان وجفاف ثم حياة في ربيع ونذر خريف يتبعه شتاء انه ملء الدنيا شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وفى كل مكان يجدونه ولكنه في الليل يختفى ويموت ليولد من جديد في شروقه على الدنيا في الصباح حركة أبدية لا تتوقف كل يوم وكل سنة وعلى مر الدهور، تصورا به الأبدية والبعث للانسان يعيش بعد موته أسوة بالشمس في الليل والشروق، وليلهم في حياتهم الدنيا به يسترشدون وفي حياتهم الآخرة به يهتدون وارتباطهم بالأرض جعلهم يؤمنون به فهو دليلهم في مواعيد فصول زراعاتهم ومرشدهم إليها بتطوره فهو الديميورج المقتن Nomothetes نوميثيتس وكأنهم يمشون وراءه يرصدون حركاته المنضبطة مع أرزاقهم وحياة نيلهم ويسرهم ورغدهم قدسوه وآمنوا به في فجر التاريخ (رع) وحذا حذوهم من ظهر بعدهم من الأمم .

ثم ينفذ إلى مصر تأثير تقدم علم الفلك عند الكادانيين عن طريق علاقات سياسية واقتصادية بين البلدين في عصر العمارنة شهدت بها تلك اللوحات ذات الخط المسمارى التى وجدت في تل العمارنة والتى يرى الأستاذ «Cumont» كيمونت في وجودها دليل على تأثير

أخنساتون بهم وأخذه عنهم إن الشمس أهم وأكبر الكواكب وهو الكوزموكراطى الذى يرتبط به الكون كله ويتأثر به ويتغير بحركته وفي مصر أكثر من أى بلد آخر يظهر ذلك واضحاً قوياً في فيضان النيل والفصول الزراعية الموسمية المحددة التى يخصص أرضها ويهبها ويهبهم الحياة فركز اخنساتون كل القوى في قرص الشمس وأصبح في عهده آتون المهيمن الكوزموكراطى الكون كله بين يديه كما تحتضن أشعته بأيديها في نهاية كل شعاع الملك والعالم كله. ويشمله ثم من قبل أخنساتون أفلا ترى أن أمونا كان المهيمن الذى أوحى إليهم بالتصور السياسى الدينى بتوحيد الملك بآمون ، الشمس المهيمن فى السماوات وعلى الأرض فترى ذلك التمثيل الذكى الرائع بشكل أبواهول برأس الفرعون الحاكم (اندروسفنكس باليونانية أى الأسد برأس الانسان) أى رأس الفرعون على جسم الأسد رمز الشمس فلم يكن ذلك تمثيلاً لقوة البشر فكراً وعقلاً تتحد مع قوة العزم ممثلة في جسم الأسد بل الصحيح ان الأسد هو رمز الشمس والرأس رأس الفرعون نفسه ظل الإله المهيمن على الأرض وفي رمز أبواهول الذى وجد في الطريق بين معبدى خفرع بمعبد الوادى والمعبد الجنائزى ترى رأس خفرع الفرعون ورقبته كاملة على جسم الأسد ثم يتطور الأمر ويصبح الالتحام كامل الاندماج فيما وجد من تماثيل أبى الهول في الدولة الوسطى فيكمل الأسد شكلاً حتى رقبته ولبدته وأذنيه ولكن يوجه الفرعون (امن ام حت) فيصبح التكامل والاندماج تأمين بين الملك والشمس برمزه الأسد فتلك هى فكرة الحق الإلهى أى الكوزموقراطية العالمية . كما يدل الاسم على ذلك آمون في المقدمة ولذا كان تمثيل أبى الهول مع كل ملك وملكة حل محل الفرعون يكون بمثابة حق الهى لهم في الحكم وهذا ظاهر تماماً فيما تمثلت به حتشبسوت كأبى الهول برأس الملكة نفسها وجسم الأسد رمز آمون لاكتساب حق شرعى أو قوة لها في أن تحكم كما كان يفعل من حكم مصر من فراعنة أصليين وملوك أجنبية غزاة هم خلفاء للفراعنة على مصر حتى العصور المتأخرة كما سنرى في لوحة التوحيد .

فالحيوانات اذن لم تكن إلا وجوه تشابه بهذا الاله الكبير والرب الواحد وليست هى ذاتها أربابا بل مرايا كما قال بلوتارخوس فيما سبق نرى فيها قدرات وصفات هذا الذى كان في وجدانهم وضمائرهم يراهم ولا يرونه ويسمعهم ولا يسمعونه وكانت تلك الحيوانات أيضاً عقدة العقد عند موسى عليه السلام أحسها وخاف على قومه الضلال بها فحاشا مستنكراً منكراً ومحرمات اياها على الناس أجمعين فلا تجسيد ولا صورة وكان على حق في ذلك فكلمة الاله أى (نثر) تعنى بدون أداة (لا تعريف ولا تنكير) الإله المطلق وهذا هو الذى كان في ضمير أى إنسان مصرى غير الذى أمامه خاصاً به تمثيلاً أو اسماً له رمزاً وهذه هى الوجدانية التى اعتقد الأستاذ دريوتون ان صفات هذه الحيوانات تتركز جميعاً في واحد بجمع كل هذه الصفات أى هى صفات لواحد يشمل هذه الرموز بما يرمز إليه جميعاً .

ويحاول الأستاذ مونتييه على غير اقناع ان يجعل من كلمة نثر المطلق في ضمير كل مصرى معنى انه يفكر في معبوده الخاص به ثم يقول بأن هذا مبدأ مسلم به عند كل مصرى ولكن ذلك لا يتفق مع منطق ولا ما وجد من آثار ولا ما ذكره المؤرخون القدامى فإذا كان هناك اجماع أو اعتراف عام لا يكون ذلك على أن لكل جماعة إله خاص وهو يعلم أن كل منها تختلف مع غيرها عليه وكان ذلك سببا في فرقتهم واقتتالهم بل يكون الاجماع على أن هناك في ضمير كل فرد رباً واحداً عاماً لهم جميعاً كان يتمثل في الفرعون الذى كان ابناً لكل إله في كل منطقة ومتحد مع هذا الإله وهذا شئ يجمع الآلهة جميعاً في كل مكان على الأقل في شخص واحد أى في الفرعون يرغمهم سياسياً على التسليم له بالحكم حسب ما اكتسبه من تبنى الههم له من حق الهى فالسياسة اذن تفرض وحدة كاملة في شكل دينى على الجميع في كل الأنحاء وكما فعل الاسكندر الأكبر محتدياً حذو الفرعون في مصر في أنحاء العالم الهيلانى فصار ابناً لكل إله لكل قوم وآمن بكل هذه الآلهة حتى بإله اليهود في يهودا متوسلاً بذلك إلى الكوزموكراطية العالمية أى السيادة العالمية كالشمس المهيمنة .

فما يتضمنه كل رمز مصرى من صفات رغم خلاف الناس فيما بينهم عليها وعلى تقديرها الروحانى بالنسبة لكل جماعة فإن ما تتضمنه هذه الرموز من صفات للإله المطلق وحتى لو اعترف كل مصرى بأن لكل فرد آخر رب ومعبود ويوقن بهذا روحياً كما آمن بذلك ضمناً في شخص الملك أى الفرعون في سياسته الدينية لأصبح هذا الاعتراف يوحى بفكرة واحدة وتسليم من الجميع بكل إله يعتقد فيه الآخر ولكنهم لا زالوا دينياً مختلفين فكانت الخلافات بين هذه الجماعات الدينية بسبب ما يقديسونه في مناطقهم المختلفة كما تمثل على نقود المديرىات في العصر الرومانى من نقود الأسكندرية قائمة وتشتد إلى حد الاقتتال أحياناً كما يذكر بلوتارخوس فانظر مثلاً التمساح يعبد في الفيوم وسميت باسمه قديماً (مدينة التمساح) وهو ذاته يقتل و يصطاد و يباع للأجانب في روما من مدينة دندرة كما يذكر بلينى (٣٩) ثم هو نفسه يعتبر إلهاً للشر في مناطق أخرى مثل امبوس كذلك سمكة أو كسير هنكون التى تشبه عضواً خاصاً في رفات اوزيريس الذى قتله أخوه (ست) وقطعه اربا كما في أساطير الاقدمين المصريين كانت هذه السمكة تصاد وتؤكل في مديرىات أخرى وقد أطلق اسم هذه السمكة على المدينة مقر عبادتها (أو كسير هينكوس) مدينة البهنسا حالياً بالفيوم فكان ان كبرت هذه الحزازات الاقليمية التى سببها الخلاف الدينى من أجل هذه الرموز حتى وصلت إلى حد الاقتتال كما يروى لنا بلوتارخوس فكيف يمكن أن يخطر ببال المصرى عن كلمة نثر المطلقة كل إله يعبد هو أو غيره وهو نفسه لا يرضى عما يقده غيره بل ويحتقره وينال من أمثاله عنده فتظل الفرقة قائمة رغم مطلب الوحدة سياسياً في يد الملك عن طريق الدين نفسه ان كلمة نثر اذن تعنى شيئاً تلقائياً في نفوس المصريين جميعاً ملكاً وجماعات أى سياسياً أولاً ودينياً فكلمة نثر المطلقة الشاملة تعنى

تلقائياً في نفوس المصريين حاكمين ومحكومين وحدة هذه الرموز المتفرقة هو هذا أقرب إلى والمنطق وحتى إذا كان هذا تسليماً بصواب ما تقدسه الجماعات المختلفة وقد حدث هذا ضمناً في شخص الفرعون لأصبحت الوحشية أى الوحدة الدينية لا ريب فيها وإن كل المقدسات تعتبر رمزاً لها كما حدث في المجموعات الإلهية أى البانثيون الإلهى تاسوعاً كان أو ثاموناً أو ثالوثاً كما سنرى واندماج هذه المجموعات الإلهية في واحد هو رئيسها أو أبوهم أجمعين أو في شخص الملك نفسه فالمنطق إذن أن يكون مدلول لفظ نتر المطلق يعنى إلهاً أكبر وأشمل من هذه الرموز المختلفة والمختلف عليها عند الأفراد ثم إن هذا الخلاف لا يؤثر في نفوس المختلفين على الرموز واتجاه فكرهم الروحي مع الآخرين في البحث عن إله مطلق لما يرونه في هذه الرموز من فضائل قدسوها من أجلها فانظر كيف إن هذه الآلهة المختلفة المحلية لم تكن قائمة بنفسها بل تتشابه في الصفات فترى الإله خنوم ذا رأس الخروف وهو الخالق الذى يشكل الجنين في بطن أمه كان يمثل آمونا أيضاً . وهو يمثل أيضاً في البانثيون الكبير ثم إن الأمر بعد ذلك لم يكن يمثل خصوصية لكل فرد على حده فهناك آلهة معترف بقداستها عند الناس وتندمج فيها الآلهة الآخرين المحليين وغيرهم كما في ثالوث مسنيس وطيبة والاشمونيين ثم إن الحيوان الذى يمثل أوزيريس هو عجل ابيس الذى يقدسه الفلاحون جميعاً في مسنيس مقره الأصلي ثم زميله في أون أى عن شمس «Mnevis»

مسنيس ثم بوكاريس في طيبة ثم كان ابيس مقدساً في غير هذه البلدان في كل أنحاء مصر وفي خارج مصر أيضاً حتى عاش في مصارعة الثيران Toro أسبانيا حتى الآن ثم أوزيريس في أساطيرهم وازيس ذات الأسماء التى لا حصر لها وقد اندمجت فيها كل الآلهة اليونانية والرومانية وكانت هى إلهة الشفاء الأولى في مصر وصانعة الدواء هى وزوجها سراپيس بعد أوزيريس في العصر البطلمي ثم حورس الذى كان في كل بيت وفي كل مكان والصقروتوت الأكبر أى ذو الثلاث عظمات ولم يكن لهذه الآلهة إلا صفة بسيطة محلية محدودة ولكن كانت قداستها عامة عند المصريين ترمز لقوة أكبر من الجميع فرمزيتهما لم تكن مخصصة دائماً لإله معين بل كانت تشير إلى الإله المطلق فانظر كيف يشرح الأستاذ بلوتارخوس فيما ذكرنا إن رمزية الصقر فى الحكمة التى أوردها من معبد اثينا في مدينة سايس إن الصقر كان رمزاً للإله المطلق ولم يقل إنه يرمز لحورس بذاته الذى كان الصقر رمزاً له بل قال والصقر يرمز للإله «أيها الناس كباراً وصغاراً إن الإله لا يحب الفسوق» فمن يكون من بين هذه الرموز الإلهية في خلد الفرد المصرى إذا ذكر لفظ نتر المطلق بدون تحديد أو تعريف وهل بعد ذلك يمكن تحديد إله معين ؟ إنهم جميعاً يرمز إليهم بحيوانات حتى الملك كان ابناً للثور والملكة بنت الثور وهى ازييس و يرمز لها أحياناً بالبقرة وكانت هذه الرموز المحلية تمثل دائماً في مجموعة شاملة في التاسوع أو الثامون أو الثالوث في منف وطيبة والاشمونيين وابيسدوس وفي الاسكندرية فيما بعد كما سنرى في لوحة التوحيد ثم محاولة ادماج الآلهة الكبرى في إله واحد كرابيس الذى مثل على النقود الرومانية في الثلاثة قرون

الأولى الميلادية وسميت بنقود الأسكندرية وقد اندمج في وحدانية سراپيس إله الشمس (زيوس) ثم النيل . وإله البحر بوسايدون وإله الشفاء اسكليبيوس — (اليوناني) وقد مثلت شعارات جميع هذه الآلهة حول سراپيس الذى كان يضع على رأسه المودپوس (مكيال القمح ورمز البركة) ثم تاج الشمس المشع وخلف كتفه قرن البركة شعار النيل وأمامه الحربة ذات الثلاث شغب لإله البحر وحوها التف الثعبان شعار إله الشفاء وكل هذه الآلهة ممثلة أيضاً متفرقة على نفس هذه المجموعة من النقود ثم تجد تلك الرموز الإقليمية التى تمثل الآلهة الإقليمية لكل مديرية ، خاصة على نقود المديريات أى النقود الجغرافية من هذه المجموعة النقدية لعملة الاسكندرية وكان معظمها مندمجا مع إله الرئيسى المصرى فى العصرين اليونانى الرومانى أى خليفة أوزيريس المسمى سراپيس .

ثم هذه الآلهة الممثلة فى البانثيون السماوى أى مجموعة الكواكب والنجوم التى كان لها شأن وقدر كبيران واستمر الاهتمام بها مع تطور علم الفلك فى عصرنا الحديث وكان لكل إله من هذه الآلهة نجم يدل عليه زيادة عن رع (الشمس) أكبر الكواكب وأهمها ، مثل أوزيريس وازيس وحورس وست وابيس فاوزيريس نجمة باسمه وازيس نجمة صوثيت (الشعري الإيمانية) نجمة الفيضان (أى الكلب كاسمها عند اليونان) وحورس نجمة هوروس وست الدب الأكبر وابيس برج الثور ثم القمر أو ثور السماء كما يذكر بلوتارخوس وخالق ابيس .

وعلى أى حال فإذا كان اختلاف الناس فيما بينهم منصبا على الرمز فأظن أنه لا يوجد أى خلاف على الفكرة التى من أجلها كان تقديس الغير لهذه الرموز لما تبينوا فيه من نفع وفضائل ومميزات تجعل منها رمزاً لئله وما يأتى من خير منه هو فى الاعتقاد العام ما يجب أن يكون عليه الإله .

فرمز الثور الذى كان عندهم جميعا كفلاحين وفى كل مديرية تقريباً كان مقدس فيها وله احترام خاص عندهم وعند غيرهم فى كل البلدان المصرية لنفعة الكبير وقوته الجنسية الخصبة إلى حد أن أصبح روح أوزيريس الحية كما يذكر بلوتارخوس وغيره من الكتاب الأقدمين أى النيل المخصب بالنفع من عون وحماية ومساعدة وشفاء وخدمات ومقاومة الشرور وغير ذلك من فضائل وأفضال الإله تدخل الناس جميعا فى دائرة روحية واحدة من تقديس ترجوها متجمعة فى إله واحد يهبهم الخير كله والفضائل كلها متجمعة فيه وما وجد من رموز لهذه المميزات عندهم فهى له وترمز لما فيه من بعض الصفات فهو الذى يرجونه مثلاً أعلا يتمثل الناس فى مجموعهم فيه كل هذه الأرباب الرمزية التى تسبب فرقتهم وفى نفس الوقت فيها صفاته كما البانثيون المصرى فى بعض البلدان (تاسوع وثامون وثالوث) ففكرة التوحيد فى وجود هذه التجسيديات المختلفة الأشكال عند البدائيين كانت غامضة مطموسة ولكن اقتفاء أثرها ممكن إذا ما تصورنا كل

بانشيون فى المديرىات المختلفة أما تاسوعا أو ثامونا أو ثالوثا من الآلهة الهامة البارزة ذات القداسة الجماعية بين الناس ولهم فيما بينهم إله أول كما أشار إلى ذلك بلوتارخوس وهذا دليل أيضاً ضد وجهة نظر الأستاذ مونتيه وفى جانب الأستاذ دريوتون الذى رأى فى هذه الحيوانات وتعدد صفاتها الحسنة دليل على وجود واحد له تلك الصفات جميعاً وهذه هى الوحدة التى كانت السياسة تتواخاها لتفوز بالوحدة السياسية والقيادة الروحية معاً الممثلة فى الفرعون كما أن لوحة التوحيد دليل قاطع على صحة ما ذهب إليه الأستاذ دريوتون وما ذكره بلوتارخوس .

وان هذه المجمعات الإلهية (البانشيون التاسوع وغيره) تدل على ذلك فهى فى مجموعها لها من بين الآلهة خالق تتجمع حوله وأب لهم جميعاً كما كان فى اليونان فى مجمع جبل اليمبوس فكان إذن من المحتم على موسى أن يلقى هذا التجسيد فى أى شكل ويستنكره لا فى مصر وحدها بل فى اليونان أيضاً وعند الأقوام البدائية الأخرى ويحرم ذلك تحريها قاطعاً وان يعبد ربه فى معبده بدون صورة فالله أكبر من كل هذا العالم ولا يمكن أن يشبه أحد من مخلوقاته بأى صورة . فإدراك كنه الله شئ متعذر تماماً ويجب أن يكون تصورنا له تجريدياً وبذلك يكون موسى قد أبرز الوحدة التى حوت كل القدرات بشكل حاسم ملموس لا يشوبها غموض ولا تحتاج لشرح أو تأويل .

فما قاله مونتيه (٣٣ / ١٠٤ / ٥) وما ذكره من أقوال الحكماء مصر منذ الدولة القديمة حتى الأسرة الواحدة والعشرين الحكماء بتتاح حوتب ومريكارع Merikarea فى الدولة الوسطى ثم آنسى من الدولة الحديثة والأستاذ الحكيم أمونموبى هو وغيره من المؤرخين (٤٦) وما يذكر عن هؤلاء الحكماء من آيات مثل « ان الإله يعلم كل شئ وانه قادر على كل شئ واننا لانعلم غيبه ويجب ان نخافه ونخشاه » فهذا له مغزى كبير إذ أن الحكيم كان يخاطب الناس جميعاً رغم ان مونتيه (٣٣ / ١٠٤ - ٥) يصر على ان كل فرد يتجه فكره إلى من يعبده محلياً ولكن السياسة كما ذكرنا قد خلقت رابطة إيمان عام بالمعبودات الإقليمية جميعاً عند المصريين بأن أشركت فى شخص الفرعون ابن أوزمىل كل المعبودات المحلية ثم أريس كالهة يجمع الجميع على الإيمان بها فهى تمثل أرض مصر السوداء يشهد بذلك على الأقل من الآثار، الأربعة لوحات التى تمثل زمالة الإله المحلى من مديريات الوجه القبلى للفرعون ميكيرنوس (منقرع) الذى يقف فى الوسط بين الإله الإقليمى فى المديرية على يساره وأريس عن يمينه ثم إن الاثنين يحيطان الملك بذراعيهما من خلف ظهره وقد ارتدى التاج الأبيض أى تاج مصر القبلى على رأسه وإلى أعلى على يسار الملك وفوق رأس الإله المحلى رمز وعلم المديرية فى ليكوبوليس (أسيوط) وفى مديرية إفروديتوبوليس (هو) ثم طيبة وأما اللوحة الرابعة لنفس الملك محفوظة فى متحف بروكلين فهذا الثالث الذى يتوسطه الملك فى هذه الأقاليم جعل من كل الآلهة المحلية وحدانية فى شخص فرعون مصر كلها وفى أريس التى هى الإله الكبرى لمصر جميعاً وهذا هو الثالث الأزلى . فإشارة آنسى إلى الإله المطلق إنما هى إشارة فى ذهن الحكماء للإله المطلق الذى هو أكبر

من هذه الآلهة الاقليمية جميعا وهو أيضا في ذلك يتجه إلى المعبد الذى هو وحدة كل شئ وكما تقول السيدة عفت ناجى على لسان الأستاذ شفيردو لوبيتز Schwaeler de Lu-biez «إن المعبد المصرى يعلم و يشير و يوحى بأن كل شئ هو الواحد الذى لا يعرف وجميع عناصره هى التى تشكل حالات الانسان فهى مظاهر التوحيد» وكان الكهنة هم المهيمنون على الفنانون المتبحرون فى العلوم تتمثل فيهم الأستاذية فى الفن والمعرفة والصناعة . ففيه نجد الثالوث الذى يرأسه إله أكبر وهو دائماً الثالوث الأزلى الخالد أى ثالوث الخلق الذى أساسه النيل (الملك) أوزيريس وازيس الأرض ثم الابن حورس أى الخلق والانتاج الجديد (العالم) وهو مارأى فيه فلاسفة اليونان الثالوث الرائع الذى هو أحسن وأروع ما فى أشكال الطبيعة الالهية كما سنرى فيما بعد ثم نرى فى المعبد أيضا مجتمعات (بانثيون) الآلهة البارزين التى تتجمع فى الثالوث والشامون والتاسوع فى المدير يات المختلفة بصرف النظر عن الفرد الذى ربما كان يتجه فكره إلى إله معين له فهو لاء الحكماء فى كل عصور مصر يهفو خاطرهم إلى إله واحد كامل يؤمن به الناس أجمعين لا جزء من المصريين أو جماعة قليلة ويختلفون عليه مع غيرهم من جماعات أخرى لا تقدر الههم وهو يعلو عليهم جميعا فانظر هؤلاء الحكماء بتاح حوتب وميريكارع ثم أنى وكيف تتوارد على أفكارهم نفس المعانى فى ذكرهم الاله المطلق فيقول الأول « انه الاله (نتر) الذى بيسده النجاح » أو قول أنى (ان ربك عنده الرزق) ثم قوله الذى يوصى فيه باقامة المعابد (وان الاله يكره من لم يقيم (العبادة له) (٣٣ / ١٠٤ / ٥) ثم وصيته للناس بالتزام الهدوء فى المعابد انه فى ذلك يطلب اقامة العبادة العامة والهدوء من كافة الناس فى المعابد التى يسيطر عليها فى قدس أقداسها الثالوث الخالد العتيد معبود الجميع بلا منازع وحتى لو كان محليا فهو رمز للثالوث الأزلى ومن روجه ذلك الثالوث الذى فيه الكل فى واحد والواحد يشمل الكل .

هكذا شعر الأستاذ دريوتون وهو الذى جمع من هذه الأقوال عدداً كبيراً له وزنه كما يقول مونتييه « بالوحدانية الحقيقية التى تطنى على العبادة التقليدية بل وحتى تؤثر فيها » فذكر إله (نتر) مطلق فيه معنى التجرد وعدم التقيد بذكر أسماء وبصورة معينة قد توحى بالتعدد رغم ان كلها لواحد تشتملها جميعا مهيمن فى السماء وعلى الأرض وأكبر من الكون كله عندهم رمزه الشمس ترتبط به وتدور فى فلكه كل الكائنات فهو مدار حياتها جميعا .

ففى مصر البلد الزراعى الحار كانت الحيوانات منها النافع التى يرمز بصفاتها الحميدة إلى إله الخير وحيوانات أخرى شريرة ضارة وآفات يرمز بصفاتها السيئة إلى إله الشر وكل ذلك يتعلق بما تتعلق به حياة المصريين من ماء وزراعة وقحل وجفاف وعقم وهذا دليل على وجود إله الخير يعلو و يسمو و ينتصر و يتغلب على الشر والاله وباقي الحيوانات فى كلا الجانبين تساعد وتناضل كل فى الجانب الذى تنتمى إليه بصفاتها وبطبيعتها فى هذا النزاع بين اوزيريس وحورس جانب الخير وسست جانب الشر أو الاله العدو كما يقول الأستاذ دريوتون وهذا فى حد ذاته وحدانية كما

يقول بلوتارخوس أيضاً فانظر إلى التمساح تجده في الفيوم رمز خير وهو آمون (الشمس) مختبئ في الماء من أعدائه واندمج أيضاً في حورس (هار بؤكرأت) وسرابيس وفي أقاليم تجده رمزاً للشر فالأمر ليس حيواناً في ذاته بل الرمز للخير والشر عامة وفي رأى الأستاذ دريوتون ان الديانة المصرية ليست مزدوجة بل واحدة إله الخير وما عداه إله عدو وقد انتصر حورس وطرده ست وأصبح ملكاً على عرش أبيه في مصر فهذا التصور وحدانية سرت عليه الأديان تمثلته في الشمس أى النور والظلام والخصب والماء ضد القحط والجفاف وهذا ظاهره شرك وتعدد آلهة وفي باطنه وحدانية تشمل قوى الخير في مطاردتها ومقاومتها للشر والانتصار عليه فالأساس إله خير وشيطان وما قصد الحكيم الذى قال ان الاله في كل انسان إلا دليل على ان الجانب الخير في الانسان هو من لدن إله الخير الذى يرمز إليه بشتى الصور حتى على وجه الانسان نفسه ولكن ذكر إله الخير بدون تحديد يراد به تعبير شامل لكل صور القوى المتعددة في قدراتها وحصرها في تعبير واحد ولا يمكن ان يتصور أحد مائة ألف وجه خير متعددة ومختلفة ولكن المعقول ان يكون هذا العدد في صوره العديدة للخير تمثيل لقوى إله خير واحد متعدد القدرات والنواحي أما الشياطين فليست آلهة بل قوى معادية يمكن التغلب عليها دائماً لصالح بقاء العالم .

وفي كتاب الموتى نجد أن الفرعون هو التمساح الذى إذا قبض على شئ لن يفلقه ثم هو أى التمساح أوزيريس المخصب لازيس وهو رمز الشمس المضيئة المهيمنة الخلاقة وفي نفس الوقت نجد أن هذه كلها أوصافاً للملك الاله المهيمن على كل شئ والمتسلح بكل القوة والنور لطرده الظلام والشر وحتى في السحر نجد المصريين يجمعون في التمثيل الشامل واحد يضم كل القوى المتفرقة التى إذا تجمعت في واحد أصبح له تأثير سحرى لا يتقوى أى تمثيل لشكل واحد من أشكال قوى الاله منفردة من أن يكون لها هذا الأثر فانظر إلى هذا التجسيد السحرى للتاسوع الذى يحتويه ويحتوى على صفاته ويتوحد كله في الامبراطور الرومانى . من القرن الثانى الميلادى ممثل بالحفر البارز على حجر جبرى بالمتحف المصرى والذى يمثل الها طلسميا جسمه جسم اسد برأس الامبراطور (أبوالهول) وقد سميت هذه اللوحة (بلوحة التوحيد) حتى تتبين التوحيد السياسى والدينى بتوحيد تاسوع مدينة كوبرتوس في واحد هو الامبراطور إليك هذا التكوين انه جسم أسد آمون برأس الامبراطور أى ابوالهول (اندوروسفينكس) وملتصقا بجسم الأسد التمساح (سوخوس الفيوم) أى اسمه اليونانى معبود الفيوم وبالمصرية (سوبك) أما ذيل الأسد فشعبان يمثل الأرض وهذا يعنى ان الامبراطور كوزموكراتور في السماء والأرض وعلى ظهره جريفون لبؤة برأس كلب واضعة يدها الأمامية على عجلة تمثيلاً للآلهة تيميسيس Nemesis الهة الانتقام . ثم يحيط برأس الامبراطور ثامون كالهالة تمثل آلهة هذه المديرية المكونة للتاسوع الالهى فيها وكلها من الحيوانات التى ذكرها بلوتارخوس المقدسة لدى سكان الأقاليم المصرية المختلفة ثم يحيط بالشكل كله نجوم تشير إلى السماء وتدل على قدسية هذا التاسوع

الممثل في شخص الملك تجسيدا لوحداية دينية تتطلبها الوحدة السياسية في الأقاليم وفي مصر كلها بآلهتها جميعا في واحد هو الحاكم المصري ثم في خلفائه من الحكام الأجانب فتكون لهم السلطة السياسية والقيادة الروحية فكل هذه القوى اذن مجتمعة في واحد هو الشمس (الأسد) دليل على أنها أشكال لا ترمز إلا إلى قوى في نواحي وقدرات الاله الأكبر الذي يمثله هذا النقش في العصور المتأخرة وحتى في ذبائحهم وأضاحيهم تؤكد تلك الرموز التي ترمز إلى الآلهة أنهم في ذبائحهم لا يذبحون بقرة أو ثورا إذا كانت به شعرة بيضاء أو سوداء كما سنرى في قوله تعالى لما ان سألته موسى عن شكل الضحية التي أمر الله بنى اسرائيل بتضحيتها وكان موسى يعلم كقومه تلك الحساسية الخطرة في عقائد المصريين فكان الجواب الالهى « صفراء تسر الناظرين لاشية فيها » فالشعرة البيضاء علامة حورس الشمس الجديدة وقاهر الظلام والشر (ست) والسوداء تشير إلى اوزيريس ذى اللون الأسمر وهو رمز الماء المخصب « وجعلنا من الماء كل شئ حى » كما سنرى .

فالشمس المهيمنة أى رع ثم آمون ثم فيما بعد عند اليونان زيوس وسراپيس في مصر البطلمية والرومانية وكلها آلهة شمسية نشأت في وحدانيتها كل الآلهة الأخرى الثانوية تمثل وجوها وصفات ونعوت مختلفة صورها وأسمائها على مر العصور ولكن فكرة التوحيد أو انتمائها جميعا إلى إله أب أكبر في مصر واليونان وفارس وغيرها من الحضارات القديمة الأخرى كانت واضحة وملحوسة وخاصة في الأسرار والطقوس مما يثبت قرابة كل هذه الآلهة لبعضها ثم ان تعدد تقمص زيوس في اليونان في كل صور القوى الأخرى التي دونه وتزاوجه بالحواريات المقدسات اللاتى انجبن له آلهة البانثيون اليونانى دليل على الواحد فى الجميع أو الجميع فى الواحد وما الأيدى فى نهاية كل شعاع من أشعة الشمس فى عهد اخناتون إلا دليل على وحدانية هذا الاله الذى يتمثل فى قرص الشمس وهذا دليل على وجود يده فى كل مكان فى هذا الكون الذى يحتضنه بأذرع . وكذلك كانت الشمس فى كل مكان آخر فى العالم القديم هى المهيمنة (كوزموكراتور) على السماء والأرض وقد بينا فيما سبق كيف كان اندماج إله الشمس (هيليوس) فى الاله المصرى سراپيس الذى ظهر فى العصر البطلمى وكان بعثا يونانيا لآمون واوزيريس المصريين وشملت وحدانيته كل القوى الأخرى واعترف بذلك رسمياً فثلث هذه الوحدانية على نقود الاسكندرية ثم ما كان مما ذكر فى النصوص اليونانية لسراپيس بصفته الاله الواحد (heis) فتمثيله مندمجا فيه زيوس (هيليوس) والنيل و بوسا يدون (إله البحر) واسكليبيوس إله الشفاء (الطبيب) ثم هو وعلى رأسه الموديوس (مكيال الحبوب رمز الخصوبة) إنما هو اعتراف بوحدانية سراپيس فكان (الواحد فى مصر) رسمياً على النقود الرومانية الخاصة بمصر فقط كعملة محلية استمرت فى التداول الداخلى بمصر طوال الثلاثة قرون الأولى الميلادية وسميت بعملة الاسكندرية أى بمكان ضربها فى مدينة الاسكندرية عاصمة مصر فكانت خاصة بمصر فى الفترة الخطرة من حكم

الرومان لمصر فأباطرة الرومان كانوا يخشون قيام كليوباترة أخرى مصرية فصر كانت أقوى وأغنى وأغرق حضارة من روما فجعلوا من مصر اقلياً منعزلاً عن بقية الأقاليم الامبراطورية فكانت تابعة للامبراطور رأساً وتحت رقابته الشخصية حتى لا تقوم لها قائمة وتظل خاضعة لروما فعلى هذه النقود الامبراطورية اليونانية في الاسكندرية ظهر سرايس جامعاً لكل هذه الآلهة المصرية اليونانية في مصر ممثلاً على ظهر العملة التي يحمل وجهها رأس الامبراطور الحاكم فكان هذا الاله الذى يمثل الحاكم في مصر كوزموكراتور يا يمثل الشمس المهيمنة المسيطرة على العالم كله بمائة وبأرضه وبسمائه بيده الشفاء والسلام والأمان .

هذا مظهر من مظاهر فكرة الوجدانية التي تكررت في العصور المصرية وكانت غامضة مدلهمة الصورة في متاهات التجسيد بشتى مظاهره وصوره في مصر واليونان بعد ذلك ففي مصر لما ان أرسل الله موسى بالدين الجديد أكد هذه الوجدانية وأبطل الشرك في مظهره من تعدد تجسيد القوى في أشكال حيوانية رأى فيها المصريون خصائص ووجوه شبه بإلههم الأكبر .

وفي اليونان تجسيد آدمى رأى فيه اليونانيون تعبيراً عن الخلق والجمال والفن في الرجل والمرأة والرجل المندمج في الحيوان وقوة الخالق برمز التزاوج والبعث بين الرجل والمرأة صورة الاله على الأرض في شتى وجوهها وأحوالها فكانت ديانة رمزية روحانية دنيوية سجلتها أقوال الحكماء وفلسفتهم والشعراء وأساطيرهم و يأتى موسى بوجدانية صحيحة كانت في عقول الناس وقلوبهم فأبطل مظاهرها المجسدة بصورها عندهم وجعل الناس يبحثون عن الله في الفضائل وفي أعمالهم الصالحة باطاعته والسير على شريعته و يعبدونه في قوانينه وشريعته دستور الحياة الفاضلة واطاعة عهده وأنذر بالعقاب والعذاب لمن عصى وبالثواب لمن اهتدى .

وهكذا ثبت الدين الجديد ودعم نصائح وحكم الأخلاقيين والقيم في الأقوال والأمثال المشتركة التي تطلق بها حكماء المصريين بل وحتى الأمثال الشائعة بين الشعوب المتشابهة في الهدف الفاضل وان اختلفت صيغها إلا أنها أتت متطابقة روحانيا وقد أثرت البيئة المصرية التي عاش فيها بنو اسرائيل في أعماقهم وكان موسى يخشى ذلك الأثر عليهم فقال لهم بعد خروجهم من مصر وقبل وصولهم إلى كنعان كما ورد في (لاو ١٨ / ٣) « مثل عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا » بل خاف عليهم من أثر كل بلد لا تؤمن بشريعته فيقول في نفس الآية « ومثل عمل أرض كنعان التي أنا آت بكم إليها لا تسلكوا » وصدق الله العظيم فقد كان الكنعانيون عبدة للثور أيضاً وقد كان قوله هذا دليل واضح على شدة تأثير بنى اسرائيل بالمصريين وأثر ما أخذوه عنهم من تقاليد وأدب وحكم مصرية .

فكان ذكر إله مجرد بدون تحديد هو ملاذ لكل الناس يلوذون جميعاً بواحد أكبر من كل الأشكال والرموز وهذا هو الايمان بالوجدانية التلقائية في نفوس الجميع وخاصة الحكماء وأهل

العلم رغم تعدد الأشكال المقدسة الطاهرة إلا أن الوجدانية هذه كانت غير متكاملة المعالم غامضة التعبير عن نفسها بدائية في المظهر والتمثيل تسيطر عليها طقوس ومراسم تزيد في غموضها وقد كان ذلك طبيعيا في مثل هذا الوسط البدائي ولم يظهر فيه إلا الأخلاقيون الحكماء دون أن تكون لحكمهم قوة سماوية تلتزم بها الناس أو نبي يوضح الوجدانية المستترة وراء كل تلك الطقوس والتجسيدات كما أوحى إلى موسى الذى أدرك تلك الوجدانية أثناء وجوده بمصر ودراسته فيها وتعلمه طقوس ديانة مصر ومراسمها وثقف بحكمه حكماء مصر وأحاط بعقائدها هذا المجتمع الوثنى وعدم قدرته على التعبير عن الوجدانية فكشف عن سر هذا الغموض فأبطل التجسيد بكل صوره في مصر وفي غيرها من الحضارات الأخرى وخاف على أتباعه ان تضللها هذه المظاهر كما ضل بها كثير من البسطاء في مصر فنهى بنى اسرائيل عن أن يعملوا ما كانوا يفعلون في مصر التى سكنوها فيما قبل خروجهم في طريقهم إلى كنعان كما سنرى من ردتهم إلى الرجوع إلى عبادة الثور.





لوحة رقم (١) ، (٢) : لوحة الترحيب





كان زيوس إله الشمس عند اليونانيين قد تمثل فيه الخير كله في قول بلوتارخوس ، كما كان يعتقد و يفكر العقلاء في وجود الهين احدهما إله الخير والآخر إله للشر . وهكذا بالطبع على عكس أهل الديانات السماوية يهود ومسيحيين ومسلمين فهم لا يعتقدون إلا في إله واحد هو الخير كله أما الشر فمن مخلوقاته من بشر وشياطين من شر ما خلق وهو الذى يهيمن عليهم جميعا ويهديهم سواء السبيل وعنده الحساب أما عقلاء الفرس ففكروا في أهورا مزدا إله الخير واهريمان إله الشر والظلام وزيوس كان نقيضه عند اليونان هادس Hades إله للشر فانظر ما يقوله سترابون ان « اليونانيين كانوا يكتنون لزيوس أكبر تقديس » (٤٧) وكان الذى يرمز إليه من حيوان طائر النسر لعلوه وقوته وأما شعاره فكانت الصاعقة بصفته إله الشمس والفضاء . وكان تمثيل رموزه دائما على النقود البطلمية نسر واقف على صاعقة أما هو كما تراه على نقود الاسكندرية الرومانية والنقود الرمانية الأخرى غير المصرية وعلى الأحجار المقوشة فرجل نصف عار وله لحية وممسكاً بيده أحيانا النسر وأحيانا الصاعقة ومتوجاً بتاج مشع وأحيانا يكون النسر واقفاً عند قدمه وأحيانا على العملة الرومانية تجده رافعا يده إلى أعلى في وضع الاله المهيمن ممثلاً للشمس وباسمه أى « صول » كما أوضحنا فيما سبق هذا الاله الذى يدين له اليونانيون بأعظم تقديس قد اندمج في الآلهة المصرية الشمسية وكلها الهة للخير في مصر وفي غير مصر فاندمج كما أشرنا في آمون الاله المصرى وصار باسم « زيوس آمون » وهو إله له لحية وشعر كث وعلى رأسه المكمل بالغار قرتى آمون كما هو ممثل على نقود البطالة البرونزية . ثم فيما بعد اندمج بسرابيس هليوس أى الشمس على النقود البطالة البرونزية . ثم فيما بعد اندمج بسرابيس هليوس أى الشمس على النقود الرومانية المصرية أى عملة الاسكندرية وبصفته هذه أى إله آمونى يكون قد اتحد ضمنا وبصورة غير مباشرة مع كثير من الآلهة المصرية ففى اليوم يندمج بالتمساح في

مدينة التمساح Crocodilopolis ١ اليونانية أى الفيوم وهو المسمى باليونانية سوخوس ، ثم باعتباره آمون مختبئ في الماء وقد أخبرنا سترابون.الذى رأى بنفسه ان في بحيرة المعبد في الفيوم تمساحاً أليفاً مع الكهنة فقط يحضر إليه العابدون الذين يريدون استشارته في أمورهم بالهدايا من مأكولات منها الفطائر واللحم المشوى والقمح والنبيد المخلوط باللبن وغير ذلك (أنظر ملاحظة ١٢) ويطعمه اياها الكهنة بأيديهم فقد كان أليفا مستأنسا معهم فقط هذه الآلهة الشمسية ترتبط بها الأرض الزراعية وفصول انتاجها مع تطور الشمس ففوة الخلق وانبات الأرض متجسد عند المصريين في أوزيريس الماء المخصب وهو أيضاً القمح نفسه الذى يبذر في الأرض و يتحلل فيها كالزواج تمتصه اريس و يقنى اوزيريس وهو في ذلك يكون (الضحية الكبرى) وإذا بالحياة تعود من جديد عندما ينبت الزرع ويخضر ثم تخلق السنابل قمحا جديدا هو حورس (الخلق والانتاج من هذه الزيجة لاوزيريس وازيس . وهذا هو الثالث الأزلى فحورس هو الانتاج والكوزموس وبعث الحياة الجديدة أى الخلق أو آمون الشمس الصغيرة التى تكبر ثم تشتد وقت الظهيرة ثم تغرب وقت الغروب وتموت وتختفى ليلاً ثم تنبعث فتولد مع أول خيوط الشمس في الصباح وهذه صورة تأملها المصرى القديم للنبات ودورة الشمس نهاراً وليلاً ثم الشروق أو البعث في الصباح بعد ان يولد من جديد ليلاً (ملاحظة ١٢) .

حركة لانهائية سرمدية للحياة لا تتوقف بالتضحية الكبرى لأوزيريس ودفنه في الأرض وقت بذر القمح كما الحبوب بعد بذرها فيموت في باطن الأرض كالشمس ليلاً بعدها يعود للحياة في صورة السنابل الجديدة وهذا تفسير لأسطورة ولادة اريس لحورس من أوزيريس وهو ميت كما يقول بلوتارخوس (٤٨) .

فارتباط الحيوانات الزراعية وخاصة الأبقار بهذه الدورة الشمسية الزراعية أمر لا مفر منه عند هؤلاء البدائيين فما تقوم به هذه الحيوانات من دور هام وماتسديه لهم من خدمات أمر لا غنى عنه فحياتهم كلها تتوقف على الانتاج وهو أمر حيوى بالنسبة لمجتمع من الفلاحين . وقد كان تحليل الأستاذ بادج Budge (٤٩) لدور العجل الهام للفلاح تحليلاً موفقاً فعنده « ان النيل أى اوزيريس يفيض بمائة على الأرض وحابى (ابيس) هو الطاقة التى يمكن المصرى من حرثها » وهذا أمر طبيعى أن يقدس من أجله الفلاح الثور فبالقياس إلى قوة الثور الهائلة بالنسبة للفلاح ولخدمة الأرض يرى الفلاح نفسه ضئيلاً إلى حد انه لا يعدو شيئاً بالنسبة له فلا عجب اذن ان يعزه و يعجب به و يقدسه فعليه تتوقف حياته ورزقه وفقاً لما يقوله ديودوروس صراحة في عبادة هذه الأبقار مشيراً خاصة إلى عجلتى ابيس ومنيفيس فكليهما نافع للزراعة قد قدسا كآلهة كما علم (الناس) أوزيريس ثم أيضاً هؤلاء الذين كانوا أول من اكتشفوا استثمار الأرض « فقد آتت أكلها على مر العصور نتيجة عمل هذه الحيوانات » فنفع هذه الحيوانات كان سبباً في عبادتها كآلهة الرازقة للفلاح وقد كان ذلك مضللاً للكثيرين من البسطاء السذج فوقعوا في

حمأة الخرافات كما ذكرنا عن بلوتارخوس الذى حدد هو وغيره من المؤرخين أسباب عبادة هذه الحيوانات رغم ان تلك الرمزية وذلك التجسيد فى صورة الحيوانات قد دفع بكثيرين من المصريين إلى ضلال الخرافات والكفر إلا ان العقلاء والمدركون لحقائق فلسفة اللاهوت فى مصر يعلمون علم اليقين ان الاله الذى هو ملء السماوات والأرض ليحل عن ان يمثله انسان أو حيوان كما يقول سترابون على لسان موسى عليه السلام كما تعلم فى مصر حكمة اللاهوت الدقيقة الحذرة فيما يخص هذا الأمر إذ لا يعدو الأمر ان يكون هذا الرمز دلالة صغيرة على قدرة الاله التى تتمثل فيه فعندما أراد هؤلاء العقلاء تعبيراً لمفهوم وحدانية الاله الأكبر فى شكل واحد جمعوا كل ما يدور فى خلد الناس وتصوراتهم فى صورة واحدة جعلوها فى لوحة واحدة تجمع مع رمز الشمس الذى جعلوا منه رمزا وقرينا أى ديميجورج لاله الخفى الذى يملأ جبروته وقدرته ونعماؤه السماوات والأرض فجسموا كل تجسيدات خصائصه ومميزاته فى أشكال ورموز حيوانية فلما أتى موسى وهو الواعى لتلك الفلسفة القديمة محى كل هذه التجسيدات له ولا راداته فى كل أشكالها وعبدته وحده بغير صورة .

فانظر اذن هذه اللوحة الفريدة التمثيل لتلك القدرات فى صورة الحيوانات التقليدية التى أجمع المؤرخون على أن المصريين كانوا يقدسونها وقد تجسمت فى لوحة واحدة تمثل البانثيون المصرى أى التساوع أى مجمع الآلهة فى مدينة كوبيتوس التى تشهد بوحدانية الالهة التى تشمل كل شئ وقد وافق الاثريون من العلماء مثل الأساتذة بيردريزيه «F. Perdrizet» (٥٢) واوكتاف جيرود O Gueraud (٥١) على تاريخ هذه اللوحة فى مطلع القرن الثالث الميلادى (٢٠١ - ٢٠٩) وهو العصر الذى يقول عنه الأستاذ بيردريزيه «انه العصر الوثنى الذى بدأت فيه الوحدة الشاملة أى - الوحدانية فى الظهور وقد وحدثت أو ادعجت فيها نظرية فلسفة التجميع ، كل الفضائل والقدرات والرموز وقت ان اضمحلت الوثنية وطمغت عليها فكرة الوحدانية» فى عصر الامبراطورية . وقد أصاب بيردريزيه فى ذلك وكان منطقيا فى رأيه فالواقع ان ذروة انتشار العبادة المصرية فى العالم الغربى وفى روما خاصة وتشبث واصرار الأباطرة بالمحافظة بكل قواهم على مصر خاصة وتشبث سلطتهم وسيطرتهم عليها وقد كانوا ملوكا آلهة عليها فى تقاليد مصر كخلفاء للفراعنة أصحاب الهيمنة العالمية وأبناء الشمس الكوزموكراتيين وطموحهم القوى ان يكونوا ملوكا آلهة فى بلادهم كما هم فى مصر وان يجعلوا من أنفسهم كوزموكراتيين لهم السلطة العالمية على الامبراطورية المترامية الأطراف التى أرادوها على غرار امبراطورية الاسكندر الأكبر فى سيطرته على العالم الهيلانى وشدت انتباههم الديانة المصرية فتشبهوا بها وروجوا لها عندهم ليتمكنوا فى بلادهم من ان يصلوا الى درجة الآلهة الحاكمين على شعوبهم وان تؤمن بهم الشعوب وتقبل حكمهم الشيوقراطى عليهم كالاسكندر الأكبر من قبلهم فيضمون وحدة عالمهم الرومانى المختلف الأجناس فى وحدة سياسية تساندها وحدانية دينية

مستمركزة في شخص الامبراطور أثناء حياته وقد كانوا يؤمنون بتأليه أبطالهم وحكامهم بعد موتهم لا قبل ذلك أثناء حياتهم فكانت غايتهم أن يكون حكمهم لشعوبهم ثيوقراطيا وأن يكون الامبراطور على رأس الدولة امبراطوراً إلهاً ، وفي تلك الفترة أيضاً تظهر تماثيل كثيرة جداً لعجل أبيس الامبراطور أى امبراطور بقناع عجل أبيس جالساً على العرش كما كان يؤمن المصريون واليونانيون في مصر به كما نرى في البهريّة التي نشرها الأستاذ تيرنر التي يذكر فيها أبيس « بسيدى أى مولاي أبيس » إذ يقول الرجل في خطابه لأخته أنه صلى من أجل صحتها أمام « الإله أبيس » (٥٣) .

وقد كان أبرز من طمع في تحقيق هذا الهدف هو الامبراطور كاركللا (٥٤) كما ظهر ذلك على النقود التي ضربت في عهده .

فلوحات النذور الرامزة للوحدانية هذه قد انتشرت بالتحديد في عصر الأباطرة سبتم سيفيروس Geta وكركللا كما يقول جيروود وهذه اللوحات بالذات تمثل كلها آمون أوزيوس السيونانى أو جوبتر الرومانى في شكل أسد برأس امبراطور وهو أبوالآلهة جميعا وسيدا لباشيون المصرى اليونانى الرومانى في مصر وهو الذى تشمل قدراته كل رموز الآلهة الطيبة الآخرين فيما تشكلت به من صور حيوانات قدست من أجله ومن أجل الآلهة التي تمثل نواحي قدرات أبيهم أجمعين والذين يتمثلون على هذه اللوحة في تاسوع كوبتوس وعلى رأسه الامبراطور الرومانى بن آمون وممثل له الحاكم على الأرض والسماء أيضاً أى المهيمن على العالم كله كوزموكراتورا سياسيا ودينيا خليفة للفراعنة إلا أن تمثيل الاندماج هنا في الاندروسفنكس الذى يجمع كل صفات هذا التاسوع الالهى قد أبرز فكرة التوحيد بين كل هذه الرموز في واحد أى فكرة الوحدانية

(المونوثيزم) الحققة على هذه اللوحة بدلالة واضحة على وجود الاله الأكبر الباطن الخفى ظاهر القدرة في تصور الناس وقد أظهرته سياسة الحكم الدينية لأعيننا بجلاء وهذا تصور يثبت لنا ان ما ذهب اليه اخناتون لم يكن إلا انشقاقاً ظاهرياً عما أسموه بالشرك أى البوليثيزم Polytheisme - غير ذى شمول كاف فهذا الاله الخفى الذى يمثل العالم كله برمزه ووسيطه الشمس ، كما يصفونه بآمون « وهو لفظ يعنى الخفاء » وفقاً لذكر بلوتارخوس (٥٥) على لسان مانيتون السبنييتى (من بلدة سبنتيز Sebennytes بالوجه البحرى) ثم على لسان هيكتاتوس يقول بلوتارخوس ان المصريين يستعملون هذه الكلمة في تحيتهم بعضهم البعض فالكلمة تستعمل للمخاطبة ثم يقول بلوتارخوس ان هذا اللفظ « آمون لفظ نداء » فإذا مدعى المصريون « الاله الأكبر الذى يعتقدون أنه « في كل مكان » يدعونه بلفظ آمون « فهو خفى لا يرونه ويتضرعون إليه ان يتجلى عليهم و يظهر لهم » .

ان الاله المتصور في فكرهم/تحس به نفوسهم لا يعرفون كنهه ولا شكله فإن جسده فما ذاك إلا رمزاً لمن لم يروه ولم يعرفوه بل لمجرد شعورهم ، قد اختار موسى ان يعبد بدون صورة وقد أثار هذا

التعبير أى آمون اعجاب بلوتارخوس كما يقول « بحكمة المصريين العظيمة المتسمة بالحذر عندما يفكرون في المقدسات » و يأتى موسى إلى العالم بكل هذه الأسرار ودقائق النظريات الفلسفية الحذرة «eulabeia» في العقيدة المصرية ويمحو كل هذه التجسيدات والرموز ويرجع إلى أساس عقيدتهم بأن الاله عندهم هو الخفى الذى لا يمكن ادراكه بالحواس الآدمية فلا يرى ولا يسمع ويحل عن كل وصف وتصوير وان بقية الآلهة كلها وسطاء بين العالم النوراني (الحق) وعالمنا الدنيوى فعبد موسى الله في معبد يهودى بدون صور وسار على أثره المسيحيون في الكنيسة ثم يأتى الاسلام فيؤيد ذلك في المسجد عبادة روحية لا يتصل الانسان بالله عن طريق تجسيد أو تصور رمزي أو وسيط ديمورج بل يتصل العبد روحانيا بالله مباشرة بعقله وروحه في المنطلق القدسي .

ثم ان سترابون يخبرنا ان المصريين أجمعوا كلهم فيما بينهم على عبادة بعض الحيوانات منها «ثلاثة تمشى على أرجلها هي العجل والكلب والقطه» (٥٦) ثم الطيور اثنين هما الصقر وابيس» ومن الحيوانات المائية سمكتين «سمكة الاييدوتون وسمكة الاوكسيرهينكون» (التي سميت باسمها مدينة أوكسيرهيكوس - البهنسا الحالية بالفيوم) .

فأما الثلاثة حيوانات الأرضية والطائران التي أجمع المصريون على تقديسها في كل مصر فقد مثلوا ضمن الثامون الذى يحيط كاهالة برأس أبى الهول على لوحة التوحيد ضمن الحيوانات الأخرى التي كانت مقدسة عند جماعات أخرى متفرقة في الأقاليم المصرية كالكبش في ساس وطيبة والذئب (بن آوى المصرى) في مدينة ليكوبوليس Lycopolis ثم الأسد في مدينة لبونتوبوليس ثم الكلب أو انوبيس Anubis في مدينة كينوبوليس أى مدينة الكلب فيمثل هذه الحيوانات التي أجمع على عبادتها المصريون فيما بينهم ثم تلك الحيوانات الخاصة التي قدسها الناس في الأقاليم المتفرقة الدليل على ان هذا التسوع قصد به صفات ومنافع هذه المجموعة في واحد مما يدل على وجود هذا الخفى الذى يشملها جميعا في تفكيرهم دائما فهذا التسوع بوضعه الاندماجى في جسم أبى الهول يرأس الامبراطور دليل واضح على الوحدةانية وشمول هذا الواحد على صفات كل هذه الموز كما ترى ممثلا في الشعبان وفي رمز الالهة نيمسيس Nemesis (أى الجريفون الرابض على ظهر الأسد) وهو رمز الانتقام .

تجمعت اذن هذه الرموز في واحد على لوحة النذور المقدمة إلى إله آمونى على تمثل مميزات وصفات ترمز كلها إلى قدرات هذا الواحد الخفى ولننظر إلى ما أورده المؤرخون الذين أتوا إلى مصر وعرفوا أسرارها من منابع وثيقة وسألوا وعرفوا ماذا ترمز إليه هذه الحيوانات وماتمله عند المصريين القدماء وكان ديودوروس واضحا ومنطقيا في قوله انه بسبب (٥٧) «الخدمات التي تقدمها هذه الحيوانات من خير ونفع لحياة الجماعة والبشر» .

فماذا اذن في مفردات هذا التاسوع من نفع بالنسبة للمصريين ؟ يقول ديودورس (١ و ٨٧ و ٢) ان الخراف تضع حملين كل عام وبصوفها ينتفع الناس بحماية أجسادهم بكساء جميل ثم من لبنها يأكلون طعاما من جبن شهى أما البقرة فنافعها لا تخفى ولكن ديودورس يذكر عنها انها « تلد الثيران » كما يقول Loeb إذ أنهم كما يقول ديودورس أساس العمل الزراعى « وعمال الأرض » ثم أن الثيران كما سلف ذكره هم المنتجون لثمار الأرض ، وما أدراك ما شأن الثيران بالنسبة لمصر وللمصريين وغيرهم في البلدان الأخرى كما سنذكر . ثم أن البقرة أيضاً كما يقول تحرت الأرض اللينة (٥٨) وأما الكلاب فنافعة كما يذكر في الصيد وحماية الانسان ولهذا « نجد المصريين يمثلون الاله المسمى انوبيس برأس كلب » (٥٩) « فيظهرون بذلك انه كان حارسا لأوزيريس وازيس » (٦٠) ثم يفسر البعض بأن ازيس كانت تحرسها الكلاب أثناء بحثها عن أوزيريس من الحيوانات المفترسة وقطاع الطرق (٨٧ — ٣) وساعدوها بنباحهم لحبهم اياها فكان ذلك سببا في ان « كانت الكلاب على رأس الموكب في عيد ازيس » (٦١) .

أما القطة فكما يروى عنها ديودورس فيما عدا خصائصها الكثيرة مما يذكره غيره من المؤرخين يقول انها تحمى الناس من الثعابين المميتة والزواحف الأخرى كذلك الطائر ايبيسى فيما عدا مزايا كثيرة له وردت عند المؤرخين الاخرين يقول عنه ديودورس (٨٧ — ٦) انه كان يقيمهم أياضها شر هذه الزواحف وكان الصقري يحميهم من العقارب والحيات ذات القرون والهوام الليلة الضارة بالانسان ثم كان يكرم أيضاً بصفته في التنبؤات يستعمله المتنبئون للكشف عن المستقبل » (٦٢)

ثم ان الذئاب قد كرمت لأنها لا تختلف كثيرا عن الكلاب في طبيعتهم فبتزاوجهم من الكلاب ينتجون صغارا ثم كرموا أيضا عندما تخفى اوزيريس في شكل ذئب ليساعد ازيس وحورس في حربها ضد ست (ديودورس فقرة ٨٨ — ٦) ثم ان البعض يقول ان الأحباش لما ساروا ضد مصر اجتمعت أعداد كبيرة من الذئاب وطاردت الغزاة إلى ما وراء الألفانتين ولذا فقد أطلق على هذه المديرية اسم مدينة الذئاب () — ليكوبوليس » (٦٣) .

وقد أضاف ديودورس إلى التماسيح بله مافيه من مزايا كبرى هامة يعتبرها المؤرخون شديدة الشبه بالاله كما ذكرها بلوتارخوس و يليني كما أوضحنا فيما سبق أنه قد سأل كيف لحيوان ان يكرم مع انه من أكلة البشر فكان رد المصريين ان الحدود الآمنة لمصر ليست النهر فحسب بل بالدرجة الأولى لأن التماسيح فيه وعلى ذلك فلهصوص ليبيا وصحراء العرب لا يجروون على أن يعبروا النهر سباحة فالتماسيح كثيرة العدد في الماء (٦٤) فهذه حماية وحرس حدود ضد العابثين .

أما عن الثورابيس أو الفحل المقدس فسترى من أمره عند المصريين عجباً وسترى له شأناً في عباداتهم وعبادة اليونانيين والرومان له في العالم الروماني ثم مصارحته حتى الآن في صورة ثوراسبانيا (Torc) أما في هذا المقام فيكفى ما أشرنا إليه سابقاً من قول ديودوروس (انظر ملاحظة ٤٦) وإشارته في ذلك إلى عجل أبيس ومنيفيس ونفع كليهما للزراعة كان سبباً فيما أوصى به أوزيريس الناس من عبادتها كآلهة تماماً ، ثم قول هؤلاء الذين كانوا أول من اكتشف استثمار الأرض أنها أتت أكلها على مر العصور والأجيال نتيجة عمل هذه الحيوانات ثم قوله بالنسبة لكل الحيوانات المقدسة عن خلق المصريين « ان احساس المصريين بالعرفان عموماً يفوق الشعور به عند الشعوب الأخرى اذا أنهم يعتقدون ان رد الجميل لفاعله أمر له أهمية قصوى كمصدر للحياة » (انظر ملاحظة ٥٠) .

هذا هو بعض معنى ما ترمز إليه الحيوانات الممثلة في هذا التاسوع من خير ومنافع وخاصة من حماية تضمينتها كل هذه الرموز وينفرد بها كلها الإله الواحد آمون بتجمعهم وباندماجهم فيه لا . لعبادة هذه الحيوانات وإنما هي مرايا تعكس نواحي الخير في الإله الخفي ليعبد هو في تلك الرموز وهي لا تعبد لذاتها كما يقول بلوتارخوس فيما سبق ذكره .

صفت هذه الحيوانات الثمانية حول رأس الامبراطور الكوزموقراطي خليفة آمون وابنه ومثله على الأرض كأسلافه الفراعنة فيما مضى فعلى الشمال نجد أربعة منها في أعلاها الثور وتحتة الذئب (بن آوى المصرى) وأسفله الطائر ابيس ثم الأسد في الآخر . ثم على اليمين نجد الحروف يعنلو الأربعة رؤوس الأخرى وتحتة القطعة ثم تحتة الكلب ثم آخرهم الصقر وعلى صدر الأسد أبوالهول ترى رأس التمساح كبيراً كأنه رأس آخر لجسم الأسد تحت رأس الامبراطور ويعتقد جيروود ان تمثيل رأس التمساح بهذا الكبرياتج من علو قدر هذا الحيوان وشهرة عبادته في العصور المتأخرة وهذا رأى له اعتباره فقد انتشرت فعلاً عبادة التمساح مرتبطة بعبادة اوزيريس وحورس في أراضي المستنقعات في الدلتا كما كانت في مدينة الفيوم على بحيرة حوريس وقد اختلط التمساح في البانثيون المصرى بشخصيات الآلهة المصرية اليونانية الرومانية حتى مثل على نقود الأقاليم في العصر الروماني وخاصة على نقود مديرية « Menjelaitopolis » في الدلتا التى ضمرها الامبراطور تراجان في أول القرن الثانى الميلادى وقد اندمج التمساح في حورس أى حورس كاثوبوس عاصمة الاقليم فكان نصفه الأعلى يشكل حورس برأسه الآدمى وسبابته في فمه وحاملاً قرن البركة على كتفه والنصف الأسفل بشكل التمساح . ولكن ليس بسبب هذا القول فحسب كرم التمساح بل ان كنه الأمر يتعلق بالدرجة الأولى بمشابهة التمساح للإله في مميزاته وخصائصه الأمر الذى تسترعى الانتباه أهميته من قول بلوتارخوس « ان تقديس التمساح لا يخلو من سبب معقول » (ملاحظة ٣٤) فهو الحيوان الوحيد الذى ليس له لسان ويذكر ذلك أيضاً بلينى في تاريخه الطبيعى (انظر أيضاً ملاحظة ٣٥) فيما سبق فالقول الإلهى لا يحتاج إلى نطق وهو

الموحيد أيضا الذى يعيش فى الماء وله غشاء شفاف على جبهته وعينيه فيرى ولا يرى (ملاحظة ٣٤) . ولذلك كان التشابه واضحاً وقوياً فى انه لا يُسمع ولا يُرى كصفة الاله الأعظم وقد مثل هنا ليكمل التسامع تمثيلاً لصفات الاله الأكبر كقول بلوتارخوس ، بصفة أخرى تظهر سبب وضع التمساح فى ضخامة تمثيله أكبر من الرموز الأخرى مما يميزه عن غيره من الحيوانات ، صفة تشير إلى آمون الخفى الذى لا يراه أحد ولا يسمعه ثم ان التمساح أيضا ينفرد بغريزة تنبؤه بالغيب فيذكر بلوتارخوس وبليني (ملاحظة ٣٤ ، ٣٥) ان انثى التمساح تضع دائماً بيضها خارج الخط الذى يرتفع إليه النيل مسبقاً قبل فيضانه فى العام التى تضع فيه البيض وفى ذلك يقول بلوتارخوس (ملاحظة ٣٨) ان هذا ادراك أو احساس دقيق بالمستقبل .

لهذا كان التمساح يرمز بشكل واضح فيما يراه المصريون فيه إلى صفات الاله الأعظم الهامة ، الخفاء والسكوت وعلم الغيب وكان واضحاً أن هذه العقيدة عند الناس قد أوحى إلى الفنان بتضخيم حجم رأس التمساح أكثر من غيره من الحيوانات الأخرى فى هذه المجموعة الالهية وكان تناسب حجم رأسه لجسم الأسد حتى لكأنه رأسه إشارة إلى أنه خفى لا يراه أحد فقد كان التمساح رمزاً أقوى شهاً فى صفاته بآمون و يكاد تمثيله لهذا الوضع ينطق بذلك فالتصاقه بجسم الأسد واندماجه التام فى رمز الاله آمون أى الخفى دليل على أن بقية الرموز المحيطة برأس الامبراطور الكوزموقراطى كانت مفردات من قوى آمون الخفى أوحى بها لمثله على الأرض أى الامبراطور من اراداته الحسنة الطيبة التى تمثلها هذه الرموز خيراً للناس ونفعاً ورحمة فكان هو الباطن الخفى الذى لا تظهر له رأس (كما كان كل اندروسفنكس أى أبوالهول فى كل العصور) فى ذلك التمثيل الآمونى الذى شمل فى وحدانيته كل هذه الرموز ولكن يرأس الامبراطور خليفته سياسياً ومثله على الأرض والذى وهبه الاله الخفى مساندة وتأيداً من عنده روحاً قدسية وحماية تؤيد الفرعون فى حقه الالهى للحكم .

بعيداً عن سياسة الحكم كان هذا هو التصور للاله الذى فهمه موسى واستخلصه من تعلمه العلم والحكمة فى مصر فاختر الاله على أساسها دون أن تكون له صورة بل عبادة روحية للرب بروحه ليس لها تصور إلا الشمول والوجود الذى وسع السموات والأرض .

فأى إله كان فى هذا البانثيون الآمونى قطعاً ليس التمساح ولا غيره من الحيوانات المثلة معه وليس الامبراطور ممثل الاله على الأرض وظله فيها فالكل لم يكن إلا رمزاً للاله الأكبر الذى ليست له صورة ويمكن فى عقل وقلب وروح كل بشر ذى فطنة وفى كل المخلوقات الأخرى انه يرى ولا يرى و يتكلم ولا يسمع أنه فى كل مكان لا يدرك بالحواس فانظر كيف أبدع بلوتارخوس فى مقارنته وصف الارادة الالهية التى لا تحتاج كلاماً بتلك الصورة الشعرية للشاعر الدرامى يوريبديدس « على درب بلا جلبة يرشد بالعدل أعمال البشر » (٦٥) .

أما جناحا الأسد نفسه رمز الشمس العالية والقبة السماوية والفضاء اللانهائي كما كان بهما يُتمثل أبوالهول في العهد الفرعوني فيدل عليها هذا الغطاء الذي ربط على جسمه كما يبدو من الحزام المتقاطع على جنب جسم الأسد إذ أنه أثر من جناحين تقليديتين ومضمونتين على ظهر الأسد كما هو واضح على ظهور الأسود (أبوالهول) المثلة برؤوس الفراعنة المصريين السابقين كراى الأستاذ جيروود فأحيانا تكون هذه الأجنحة منتشرة وأحيانا تكون مطوية على ظهر الأسد فهما دلالة على الصعود والارتفاع إلى المنطق اللانهائي وأما الأرض فمثلة بشكل ثعبان في ذيل الأسد وقد جمع هذا التمثيل الامونى في صفات الاله الأوحده انه المنتقم الجبار بتمثيله الجريفون Grifon لبؤة مجنحة برأس كلب الواقف على ظهر الأسد ويدها الأمامية على عجلة وهى رمز الإلهة اليونانية نيمسيس Nemesis المنتقمة.

كان هذا التسامح على هذه اللوحة مثلاً يفسر ما قاله المؤرخون المنجولون القدماء الذين أتوا إلى مصر وتعرفوا على عاداتها وتقاليدها من ان المصريين يعتقدون ان الوفاء للمحسن عون لهم على الحياة كبير فتقديس الحيوان عندهم إنما هو نوع من الاهتمام والعناية والمحافظة والاعزاز للحيوان وكل ذلك أوجه من الوفاء له يزيد من خيره ويدر عليهم نفعه وهو ما يرون فيه وجه خير من أوجه الاله فالوفاء له ضرورة تعود عليهم بالرضى وبالنفع وقد قال بلوتارخوس ان الانسان لم يكن يشعر بقداسة الحيوان إلا عند موته ودفنه .

وفى تأملهم للحيوانات وقت تفرغهم في فراغهم من العمل فى الأرض انتظارا للنتائج استفاد المصريون من مراقبتهم ودراستهم غرائز الحيوانات فزيادة عما ذكره ديود وروس من مميزات للطائر ايبس من القضاء على الزواحف والحشرات الأرضية يقول بلوتارخوس انهم استخلصوا من هذا الطائر نفعاً وقائياً فكان أكثر الكهنة تشدداً فى التطهر يأخذون ماء التطهر من الموضع الذى يشرب منه هذا الطائر إذ انه « لا يقرب ماء غير نقى ولا يشرب من موقع ماؤه آسن » (٦٦) .

.....
أما هيرودوتوس (الجزء الثانى / ٣٥) فقد حار فى تعليل عادة تقديس الحيوان عند المصريين فلم يجد لذلك تعلقة إلا أن المصريين « لهم جو خاص بهم كما ان نيلهم يختلف أيضا فى طبيعته عن كل الأنهار الأخرى ولذا فقد أتت عاداتهم وقوانينهم مخالفة تماما لمعظم الشعوب الأخرى » هذا رأى لمن لم يمكنه معرفة كنه نظرتهم لعدم تفاهمه باللغة المصرية .

فهذه المجموعة من الحيوانات المثلة فى هذا البانشيون فى عبادتها المختلفة فرادى بين الجماعات فى البلدان المصرية المختلفة كانت سبباً فى مخاصمة الناس بعضهم لبعض حتى كان نزاعهم فيما بينهم بسببها أحيانا يصل إلى حد الاقتتال كما يذكر بلوتارخوس وقد وعى مغبة هذا الخلاف اونيا

الرابع اليهودى فى العصر البطلمى فحرص على توحيد اليهود بمعايدهم المختلفة فى مصر وان يجمعهم حول معبد واحد بناه هو فى قدسه المصرى فى تل اليهودية بالشرقية على شريعة موسى كمقدس فلسطين كما سيأتى .

أما آمون كما يجمع كل المؤرخين فكان زيوس عند اليونانيين إلههم الأكبر ورمز الشمس والعقل المدبر لكل شئ وعند المصريين كفلاحين وجدوا فى الماشية وغيرها من حيوانات صورة لنعمائه عليهم وبعيداً عن الفلسفة والسياسة والنظرة الحكيمة الدقيقة التى لا يفهمها البسطاء صوروه بالأسد أقوى الحيوانات وسيدها جميعاً رمز الشمس المهيمنة والاله الأكبر آمون ثم تلعب السياسة دورها فى هذا التصور فتجعل من رأس الملك ابن آمون الخفى وخليفته رأساً للأسد بدلاً من رأسه الحيوانى و يصبح هذا التمثيل لآمون رمز الشمس برأس خليفته وابنه ومثله على الأرض فطبيعة الحكم فى مصر كان الحكم الثبوقراطى وهذا التمثيل أصبح الفرعون مهيمناً مع آمون على العالم أجمع أى كزموقراطيا فكان أبوالهول (أو الاندروسفنكس) باليونانية تمثيلاً دينياً سياسياً ابتداء من الأسرة الرابعة وكأنما وضع آمون كل قدراته الالهية بين يدي خليفته ومثله على الأرض فرعون مصر لنسفع الناس وخيرهم ، وخدمتهم وحمايتهم وسيادة القانون بينهم وظل هذا التقليد سارياً من العهد الفرعونى المتقدم حتى العصور المتأخرة التى كان فيها الملوك والأباطرة الأجانب فى مصر يعتبرون خلفاء للفراعنة فثلوا على لوحات النذور التى تقدم للآلهة الآمونيين التى تتضمن اعترافاً مفصلاً بتجميع قدرات آمون المتعددة إلههم الأكبر فى صورة أسد برأس الحاكم الرومانى كما كان فى العهد الفرعونى القديم وبصفاته الرمزية الممثلة فى هذه الحيوانات حول رأس الامبراطور ورأس آمون الخفى بشكل التمساح والتى من بينها الحيوانات التى ترمز للعناصر الأربعة الأرض والهواء والنار والماء وهى العناصر التى يسيطر ويهيمن عليها آمون برأس الامبراطور وبروح أبيه (زيوس آمون) يسيطر ويهيمن على العالم كله كحاكم كوزموقراطى فيعم الخير العالم كله والبشر أجمعين فقدرات الاله تتوج رأس الامبراطور سيد التاسوع على هذه اللوحة وجميع الآلهة كلها المندمجة فى الاله الأكبر بهالة حول رأسه تذكره بوصايا آمون الذى هو خليفته على الأرض عدلاً ورعاية وردعاً وجبروتاً وشجاعة وشدة وخيراً وحباً وتسامحاً وفضيلة وغضباً وانتقاماً لمن ظلم ممن ظلم ليعفظ للناس حياة مستقرة رغدة كسيطرة أبيه آمون على العناصر الأربعة فتوازن الكون وساده الانسجام فهو المسيطر على الناس وبيده خيرهم ونفعهم اللذين ترمز إليهما تلك الحيوانات المندمجة رموزاً فى الاله الأكبر أبيه آمون ويدل ذلك أيضاً على ان تقديس الحيوان إنما كان لما يتمثله فيه الناس من آيات إلههم الأكبر البيئات لنعمائه عليهم اما المغزى السياسى لهذه اللوحات النذرية بروسكينما Proscynema باليونانية كان له أثر ظاهر فقد حقق تشبيه الامبراطور بفراعنة مصر الذين سبقوه الهدف من ان يكون حاكماً وإلهاً أى امبراطوراً ثيوقراطياً على شعبه من غير المصريين الذين يعتبرونه إلهاً وملكاً لهم وهذا ما كان يسعى له

الأباطرة في وطنهم خارج مصر ولذا فنرى على هذه اللوحة عابداً راکعاً امام أبوالهول الامبراطورى رافعاً يديه نحوه ومظهر هذا الرجل بذقنه الطويلة يدل على أنه أجنبى غير مصرى فيكون إذا الهدف السياسى قد تحقق فى جعل الامبراطور حاكماً كزموكراطور يا متصفا بكل هذه الصفات الخيرة كما سنرى من فلسفة الامبراطور جوليان المرتد .

فهذا التاسوع المندمج فى هذا الاندروسفنكس الامبراطورى والملتصق بجسم الأسد ممثلاً آمون الخفى أو وسيطه الهميبورج الشمس المهيمنة الكوزموقراطية والذى يمثل البانثيون المصرى يرمز آلهته المحليين لا يمكن تفسيره إلا بشمول آمون كل القدرات التى لآلهة البانثيون المصرى المحلية وقد أحسن الأستاذ بروجشى التعبير عن ذلك فى التقاليد الكوزموجينية أى الكونية فى كلامه عن النصوص التى وصفت الالهة حتحور الكونية وتفسيره لركوبها عربة التاسوع القدسى الكبيرة مع تفنوت ونوت وازيس ونفتيس بجميع أشكالها وأسمائها المحلية بقوله فى تعليقه « بعبارة أخرى قد جمعت كل هذه الالهات فى ذاتها وتضمنت كل خصائصها » (٦٧) .

ثم إن هذه اللوحة النذرية (بروسكينا) باليونانية كانت شفائية سحرية أيضاً يلتبس الناس بها الشفاء من آمون من آلامهم وضرر ما يلحق بهم من قرصة العقرب ولدغة الثعبان فانظر كيف بطأ الأسد بأرجله ثعبانا هائلاً فيسحقه ثم حول رجله اليمنى الخلفية والأمامية عقربان لا يكادان يريان فآمون هو الحامى الشافى من أذى كل الهوام والشرور كما كانت لوحات حورس الشفائية يلجأ إليها الناس إذا ما قرصهم عقرب أو عضهم ثعبان أو أصيبوا بضربة قرن من غزال سببت لهم جرحاً أو ارتاعوا من مفاجأة كل هذه الحيوانات المخيفة أو صادفهم تماسيح فى النيل أو أسد فى الأدغال على غرة فكانت هذه اللوحة الحورسية وهى أصل « طاسة الخضة » عندنا الآن تصور بالحفر البارز على حجر من الشيست الاله حورس الطفل واقفاً على تمساحين يمثلان الشر وممسكا فى كلتا يديه ثعبانين وعقربين وأسداً وغزالاً ، والغزال من الحيوانات الصحراوية التى تنتمى إلى إله الشر مست ، ثم فوق رأس حورس الطفل صورة الاله بس **Bes** الذى بمظهره البشع يبعد كل الهوام والحيوانات المؤذية خوفاً منه ، وهذه اللوحات الشفائية صغيرة تقوم على قاعدة خاصة تغطيها كلها نصوص تعاويذ هيروغليفية سحرية مع تمثيل لبعض الآلهة الذين عانوا من قرص هذه الهوام وخاصة حورس نفسه ثم يوجد تحت هذه اللوحة على القاعدة حوض صغير كلوحة حورس الذى كان يلقب بطبيب عائلة آمون الموضوعه بين ساقى الكاهن جدحر الجالس القرفصاء وتاريخ هذا الأثر فى عهد الاسكندر الأكبر وهذه اللوحة الشفائية التى وضعت بين ساقى جدحر لحورس الطبيب نجد أمامها فى الأسفل على القاعدة الكبرى التى تحمل الكاهن واللوحة حوض صغير وقد غطيت جميعها تمثال الكاهن كله وقاعدته بالتعاويذ الهيروغليفية السحرية الشافية من السم خاصة وقد نقشت معها أشكال الآلهة الذين مروا بمحنة مهاجمة هذه الحيوانات الضارية وعلى رأسهم أكبر من عانى من قرص العقرب

وهو الاله الطفل حورس نفسه ابن اريس واوزيريس وأمام حورس الواقف على تمساحين وعلى القاعدة نفسها يوجد الخوض الصغير الذى ينساب إليه الماء الذى يرش به التمثال المكتوب بالتعاون واللوحه كلها ومعها اللوحه بما عليها من تمثيل للاله بس Bes وتحت حورس وفي يديه الحيوانات المؤذية فيحمل هذا الماء القوة السحرية من التعاون الهيروغليفية والأشكال كلها المنقوشة معها ويكون لهذا الماء قوة شفاية سحرية فعالة فيشرب منه كل من مسه ضرر من هذه الحيوانات أو راعه مظهرها أو يغسل الجرح بمائه تماماً كما نفعل نحن الآن بطاسة الحفنة (أنظر ملاحظة ١٢) . وقد عثر عليها في أثر بيس (بها) .

هنا ما يقصد إليه بالوقوف أمام هذه اللوحه والنظر إليها والدعاء والاستنجاد بالاله الآمونى الذى وهبت له والذى ينتفع المتضرعون إليه بها ففيها شفاء للناس وقد وهب فيها آمون خليفة أسرار عظمته فيرى الانسان ويقرأ في صورها من غير ذاته الحكمة والنعمة والشفاء والقوة والخبرة والانتقام من الظالم للمظلوم بالقوة الخارقة السحرية ولكل هذا فقد نذرت هذه اللوحه السحرية كغيرها من النذور لفائدة الجميع ، جمعية دينية من بلدة كوبتوس (قبط الان) إلى الاله الأكبر تيتويوس Titheus الآمونى فى الثالث عشر من شهر توت فى السنة الثامنة عشرة من حكم الامبراطور (؟) ولم يذكر اسم الامبراطور هكذا قرأ الأستاذ بيردريزيه Perdrizet النص اليونانى المكتوب على حافة اللوحه السفلى ثم ذكر هذا النص الأستاذ جيروير أيضاً مع بعض الملاحظات تكريماً وتقديساً وحمداً لنعماء هذا الاله الكبير من أعضاء هذه الجمعية من المؤمنين به .

أفرايت اذن كيف جمعوا فى صورة واحدة لها قوة شفاية سحرية يستفيدون بها ضد الأمراض والشرور ويحتمون بها من شر المخلوقات الخبيثة التى لا ملاذ لهم منها إلا حى الاله الأكبر آمون مثله بالشمس الوسيط السرمدى التى لا تغيب نهراً ولا ليلاً ممثلة فى القمر أو شمس الليل وملئ السماوات والأرض مستعينين بكل قدراته ان يحميهم ويحفظهم من شر ما خلق .

تبرز اذن لوحه التوحيد بتضمنها كل الرموز التى تشير إلى صفات الاله الأكبر ممثلة فى الديميورج الوسيط الشمس فكرة قديمة كانت نتيجة لمجهودات طويلة وتفسيرات لنظرية الوجدانية Monotheïsme التى كما يقول الأستاذ الكبير دريوتون انه كان لاختاتون الشجاعة الكافية ان يعلنها فأنكرتها التقاليد المصرية القديمة القوية واعتبرتها ثورة وكفراً ودنسا وكقول الأستاذ دريوتون فإن هذه التقاليد المصرية قد عارضت حتى فكرة ان تتراجع الوجدانية إلى فكرة وجود إله واحد أكبر توجد معه جميع الآلهة أى فكرة Henotheïsme (الهينوثيزم) بل حتى عارضت فكرة اعتبار الآلهة الآخرين فى حالة تبعية لهذا الاله الأكبر ذلك لأن هذه التقاليد المصرية القديمة كانت تعتبر ان كل إله فى مركز عبادة بمصر يعتبر منذ القدم إلهاً أكبر له مقومات الاله الأصيل حسب فلسفة ذلك العصر وعلى هذا الأساس فعند الأستاذ دريوتون تكون

معارضة هذه التقاليد المصرية لفكرة الوجدانية قد جعلتها فكرة غامضة غير واضحة حتى ولو ان كل هذه المحاولات الدينية لم يكن لها نتيجة الا انها زادت في ابراز تفسير الوجدانية لصالح جميع الآلهة القائمة في مراكز العبادات المصرية وذلك بربطها جميعها بمعطيات الخرافة المحلية .

أى ان ذلك كان يوحى بتشابه ومساوات كل إله مع الآخر وقد أدى ذلك بسرعة إلى وجود نوع من تصور فكرة الشمولية الالهية أى البانشيزم . Pantheisme التى جعلت كل الالهة قابلين ان يكونوا متشابهين بدرجات متفاوتة .

أصاب الأستاذ در يوتون فعلا لأن النصوص في العصور المتأخرة كما يذكر أوتو : Otto (٦٧) تثبتت بوضوح وجود فكرة الديميورجية كما سترى فيما بعد عند الفلاسفة الأفالطة والبيتاجورين المحدثين في تصورهم لمشرا الاله الفارسى وهو أبرز مثل للديميورج أى الاله الثانى الوسيط وهو مبعوث العناية الالهية لصيانة العالم وبعث الخلق من جديد ومقاومة الشر .

تذكر هذه النصوص وجود آلهة أزلية خالقة معروفة على وجه التحديد وآلهة أخرى نشأت في الدنيا وكان ظهورهم متأخراً عنهم وقد كانت هذه الثنائية معترفا بها في الفكر الدينى المصرى وعاشت فيه كما تثبتت النصوص وكما أشار إلى ذلك بلوتارخوس بالنسبة لسكان طيبة (ملاحظة ٦٩) ولكن منعها من الظهور في العصر المصرى القديم تلك التقاليد القوية التى يشير إليها در يوتون وكل ذلك يدل قطعاً على وجود فكرة الديميورجية أو فكرة الاله الأول الأزلى والاله الثانى الديميورج الوسيط عند الأفالطة والبيتاجورين المحدثين كما سترى فالديميورج كمشرا لفارس كان له دور الرسل في الكتب السماوية بين الخالق الأول وخلق على الأرض فانظر قول أوتو : Otto في دراسته وجود الآذان والعيون في نصوص تلك العصور المتأخرة من أنها ذكرت كما هو واضح للتعبير عن وجود وحضور إله يرى كل شئ ويسمع كل شئ حتى نداء المطحونين ، فهذا اذن هو الخفى الذى عبر عنه بلوتارخوس انه في نظر الكهنة المصرى الخفى الذى يرى ولا يرى ولا يسمع ولا يسمع وملئ السماوات والأرض أما الآلهة الآخرون فديميورجيون ثانويون وسطاء مصلحون أى آلهة مبعوثون لصيانة العالم وهم وسائل لمقاومة الشرور وذلك تأييد لفكرة ان الآلهة في نظر المصرىين قديما لم يكونوا إلا ملوكاً مصلحين فلما ماتوا صارت أرواحهم نجوماً في السماء تسير في فلك الشمس الاله الديميورج الأكبر فكانت الصفات الالهية في نصوص العصور المتأخرة كما يقول أوتو ومع الأستاذ فرانسوا دوماس تطلق على الآلهة جميعاً دون تفرقة بين الاله الأول والآلهة الناشئة أى الآلهة الثانويين أو الديميورجيين فكل من الاله الأول والآلهة الثانى يتصف بنفس الصفات في تلك النصوص : الواحد ، القوى ، العليم ، الذى لا يدركه أحد كما يدرك الموجودات الدنيوية ، الراعى والرؤوف .

فهذه الأوصاف المشتركة بين الآلهة جميعاً الأولى والناشئة الثانوى أو الديميورج الذى هو من

روح الاله الأكبر الأول دلسيل على وحدانية الالهة جميعا في واحد أزلى وهذه هى الهينوئيزم Henotheisme التى يصورها دريوتون كعبادة للواحد تتجمع بها الآلهة بهذه الصفات المشتركة فكما نرلت الحقيقة من السماء وآخت الآلهة جميعا كما يقول دumas قامت فكرة وجود الديميورج الخالق الثانى فى الفكر المصرى رغم منع التقاليد القوية لها من الظهور كما يقول دريوتون أى الوسيط بين الاله الأول فى العالم النورانى والعالم الدنيوى وتجعل ما كان فى أذهان المصريين من وجود إله خفى ينادونه ليتجلى عليهم وهو ملئ السماوات والأرض فكرة عقائدية تقوم على أساس يكون فيه دور الآلهة الديميورجيين الآخرين دور الوسيط والعقل المدبر المهيمن للاله الخفى .

طفى ذلك الغموض الذى خلقتة مقاومة التقاليد المصرية القديمة على فكرة الوحدانية رغم وجودها فى أذهان الناس وعقول المؤمنين بها من الكهنة كما قال بذلك بلوتارخوس من وجود إله خفى يرى ولا يرى وتنفذ كلماته دون ان نسمع أو دون كلام وهو ملئ السموات والأرض كما أسلفنا القول ورغم تمثيله من أقدم العصور ترى ذلك أيضا فى تمثيل أبى الهول على لوحة الوحدانية إذ نجد أن كل الالهة تندمج فى وحدانية هذا الاله الخفى كل يمثل جانبا من قدراته وجانبها من ارادته ثم يحسم موسى عليه السلام هذا الغموض بأن يختار إله خفى لا يدرك بالحوس البشرى ولا يعلم أحد له شكلا أو صورة وعبد بالمعبد بدون صورة فهو المطلق الذى يشمل الكون كله حتى ليرى الأستاذ دريوتون انه اذا وجد بالديانة المصرية إله أو آلهة أعداء وخصوم يعتبرون آلهة ثائرين على الاله الأكبر وليس ذلك إلا انعكاسا للظروف السياسية أكثر منه تأصلا للشر ووجود الإله للشر وحتى إذا اتخذ للشر إله اعتبر هنا ببساطة إلهاء عدوا ولا يدل ذلك على ان الديانة المصرية كانت ديانة ثنائية كبقية الديانات القديمة بل كانت ديانة متفائلة كما يقول دريوتون .

أصاب الأستاذ دريوتون القول بأن فكرة الوحدانية ارتبطت بفكرة (الامبراطورية) وان دخل اخناتون هذه الدائرة فالواقع ان تفكيره فى الوحدانية كان يرتبط بوحدانية معبود وخالق أى ديميورج عالمى هو الشمس .

فإذا كان ماذهب إليه كيمونت Cumont من ان اللوحات المسماة euneiforma وهى الرسائل التى وجدت بتل العمارنة تثبت الصلة بين مصر والكلدانيين فى هذا العهد وهم أكثر الناس تخصصاً وتقديماً فى علم الفلك وكانوا يعتبرون الشمس أهم الكواكب وأعظمها فيكون اخناتون بذلك طبق فكرة عالمية عبادة الشمس المصرية القديمة أى الكوزموقراطية ثم يأتى بعد ذلك عهد قيام الامبراطورية تحت حكم تحتمس الثالث على النمط المصرى أى كان الملك ابناً لآمون وخليفة فراعنة مصر فهو رمز الوحدانية المصرية والوحدة السياسية أيضا وقد ذكرنا ان الاسكندر الأكبر قد بشر بهذه الفكرة السياسية العالمية فى العالم الغربى أيضاً خارج مصر ففى

الشرق كان الجو الفكري مهياً لهذه الآراء بأكثر مما هيأته تلك الفلسفة المصرية بتأثيرها على تيار الفكر اليوناني التي هبت عليه بفلسفتها من الشرق وخاصة من مصر .

ثم يحدد أباطرة الرومان فيما بعد حذو الاسكندر الأكبر في تبشيرهم بين شعوبهم بالكوزموقراطية أو الحكم العالمي فاتخذوا الديانة المصرية أيضاً وسيلة لذلك خاصة في عصر الامبراطور الروماني كرا كلا الذي كان هو نفسه يسعى لتحقيق الوحدة السياسية بحكمه الشيوقراطي عن طريق الديانة المصرية ممثلة في الامبراطور المهيمن أى الكوزموكراطى كما مثل هو نفسه على النقود المصرية الرومانية التي كانت تسمى نقود الاسكندرية (أنظر الخشاب (1961) J.E.A.) وظل ذلك المأرب في توحيد الامبراطورية بهذه السياسة ممثلة في الامبراطور المهيمن حتى قامت المسيحية فانفصل الدين عن السياسة ولم يعد الامبراطور حاكماً الهياً وأصبحت الوحدة في العالم دينية فقط وقامت القوميات السياسية المستقلة وظلت الكنيسة رمز للوحدة الدينية فقط دون السياسة .

فالربط قديماً بين الامبراطورية والوحدانية يظهر في مصر بشكل أبى الهول أى جسم الأسد برأس آدمى أو ما يطلق عليه باليونانية اندروسفينكس وهو الذى كان يمثل في مصر فكرة الامبراطورية فقد كان الفرعون سيد العالم كله وابناً لآمون أى الشمس أى عقل الكون المدبر والأسد رمزه وجميع الآلهة المحلية كما هو ظاهر على الآثار المصرية من مناظر تبني الآلهة المحلية كما تبني حنوم ونخبت الفرعون أو سر كاف (الأسرة الخامسة) وقد كان هذا ما فعله الاسكندر الأكبر بالضبط فيما بعد بين الشعوب المختلفة التي أدخلها في حكمه فأصبح ابناً لآلهتهم فكان أبوا الهول يجمع بين رمز الشمس المهيمنة على العالم كله أى الأسد برأس الفرعون يمثل الاله الأكبر على الأرض والمهيمن على السماء ثم يتوارث هذا الرمز في مصر خلفاء الفراعنة من الحكام من الأجانب بعد الاسكندر الأكبر حتى أخرجت لوحة الوحدانية التي لم تدع مجالاً للشك في ان جميع الالهة الممثلة حول رأس الامبراطور أى رأس أبوا الهول وكذلك التمساح الذى يلتصق بجسمه فكانت هذه اللوحة دليلاً على اندماج هذه الآلهة كأجزاء أو مفردات لصفات الاله الأكبر تمثل قدراته المختلفة وبعيداً عن هذه اللوحة تجدد هذه الرموز منفصلة كل في مركز عبادة خاص به من أقاليم مصر بأكملها كما يذكر ذلك المؤرخون هيرود توس و بلوتارخوس وسترابون وديودوروس وبلينيوس وغيرهم من الكتاب اليونان الرومانيون وكما ذكرها أيضاً الأستاذ دريوتون وأضاف عليها في كتابه (ص ٢٢) الأسد معبود في اقليم كسيوس Xoïs (مدينة سخا الآن) في الدلتا واوزة آمون في طيبة (الأقصر) ثم يتناول ذلك الأستاذ الكبير كوبنتر Quenz كما ذكرنا بخصوص اوزه آمون .

وهذه اللوحة تؤكد أيضاً أن تمثيل أبوا الهول كان يتضمن أيضاً جميع القدرات التي تتمثل في الفرعون الحاكم وقد أتت إليه من جميع آلهة مصر المحلية المتفرقة في الأقاليم المصرية فهي وصايا

الاله الأكبر التى أوحى بها إلى ابنه وخليفته باتباعها والاهتداء بها وقد تجمعت كلها فى الفرعون . ثم يتطور شكل أبى الهول فى الدولة الوسطى حتى أصبح يمثل الاندماج الكامل برمز الشمس أى الأسد الذى نجده كامل التجسيد ولكن فقط بوجه الفرعون دون رأسه الآدمية وكأنه قناع للأسد بصورة الملك تماماً كما حدث فى العصور المتأخرة حيث صار رأس ووجه الامبراطور رأساً ووجهها للأسد ثم كانت حلة الامبراطور بدلاً من لبدة الأسد كما هو ظاهر فى هذه اللوحة .

وفد كان الأستاذ دريوتون على حق فى قوله بأن تصاعد أو تكامل فكرة الوجدانية لم يبرز إلا فى عهد دولة الفراعنة المتأخرين عندما صاحبت الفكرة فكرة الامبراطورية العالمية أى من عهد تحتمس الثالث ثم يتسلمها الاسكندر الأكبر ومن بعده ملوك البطالمة ثم أباطرة الرومان ، بعد محاولة كليوباترة الكبرى السيطرة على روما والعالم الهيلانى الذى أسسه الاسكندر الأكبر .

حلت فكرة الامبريالية العالمية عند الناس محل الدولة القومية المحدودة مع فكرة الاله الواحد أى الوجدانية متمركزة فى شخص الامبراطور وهذا قول حق فالعكس حدث تماماً عند قيام المسيحية قامت الوحدات السياسية القومية بعد انتهاء الامبراطورية العالمية وانحلال الوحدة الدينية السياسية الشاملة وظلت الوحدة الدينية فقط ممثلة فى الكنيسة . فإذا ما تركنا الرمزية فى تصور الاله كما رأينا عند العامة وما قام عليه هذا التصور له من النفع وما يعود عليهم من خير يأتهم من رموزه وجدنا أن للعقلاء والمثقفين والفلاسفة من الكهنة تصوراً آخر غير الرمزية يفهمونه كمفكرين فى تأملاتهم كما فعل موسى ولم ينسى بلوتارخوس ان يذكره فكلمة آمون تعنى الخفاء فهو عندهم إله لا يرى وإنما يدرك بالعقل روحياً يشعرون به ملئ السماوات والأرض أى أنه فى كل مكان أما هذه الحيوانات الرمزية المقدسة فكما يقول بلوتارخوس يجب ألا تعبد بل يعبد الاله من خلالها فهى ليست إلامرايا واضحة أعدتها الطبيعة لذلك ويجب اعتبارها أدوات وفن الاله الذى يدبر كل شئ » . فلا تقديس لها فى حياتها بل تكرم بمساهمة الجميع فى دفنها فى ضريبة يدفعونها للمراسم الجنائزية (٦٨) ولكن ينبها بلوتارخوس لأمره مغزاه فيما يخص عبادة الحيوان فيقول « إلا فى إقليم واحد فسكان إقليم (طيبة) لا يساهمون فى هذه المراسم بشئ إذ أنهم لا يعتقدون فى أى اله يزول (٦٩) وهذه إشارة إلى وجود إله أزلى وآخر يزول أى ديمورج بل كانوا يؤمنون فقط بإله واحد يسمونه كنيف إذ أنه لا بداية له (لم يولد) ولا نهاية (خالد) (٧٠) فهذه إذن صورة أخرى لآمون الخفى .

أما الحيوانات فلم تكن إلا رموزاً فيها ما يستدلون به على جانب من قدرة الإله الأكبر أى أن الناس تقدس فيها الإله فقديماً كما يذكر بلوتارخوس كان المصريون يسمون الآلهة بأسماء نعمها عليهم من محاصيل (٧١) فلم يكن هؤلاء القدماء يتورعون من تسمية الآلهة بأسماء ما يخلقون وقد كانوا يقدسون هذه النعم مما يرزقهم الآلهة لما لها من نفع لهم وهكذا يشهد بلوتارخوس بما فى عادات القدماء فى مصر فيطلقون على هذه الأعمال من محاصيل وأرزاق اسم الاله .

ثم يفسر بلوتارخوس ذلك في براعة فيضرب لنا مثل رجل اشترى كتب أفلاطون فتقول عنه انه اشترى أفلاطونا أو كما نتحدث عمن يمثل كوميديات ميناندر انه يمثل ميناندر (٧٢) .

وكما كانوا يفعلون من بكائهم نعم الآلهة من محاصيل عند اختفائها لانتفاء موسمها وكانوا في ذلك يبيكون الآلهة ورأى ان هذا ما لم يفتن إليه الأجانب بل كان ذلك على ما اعتقد سليقة فائتاء بكائهم الآلهة يدعونها ان تنبت لهم هذه المحاصيل مرة أخرى وتنضجها لهم (٧٣)

فإذا كانوا يبيكون هذه الآلهة وفي الوقت نفسه يبتلون إليها أن تنبت لهم هذه المحصولات أو الفاكهة مرة أخرى فإنما يدل ذلك على انهم على سليقتهم كانوا يتوجهون تلقائيا إلى آمون الخفى دون ان ينتبهوا إلى ذلك و يسألونه ان ينبت هذه النعم لهم مرة أخرى بعد زوالها فما ظنه اليونانيون من الفلاسفة ، والكتاب شيئا غريبا يدعو للضحك (انظر بلوتارخوس فقرة ٧٠) كما قال كسنوفون من بلدة كولوفون فلأنهم لم يكونوا يعلمون ان في أعماق نفوس المصريين ايمانا بوجود اله خفى دونه هذه الالهة الزائلة الوسيطة يدعونه و يتوجهون إليه بانبات مازال عنها رغم انهم يسمون الأشياء بغير أسمائها أى أنهم يرمزون إلى آمون الاله الواحد الخفى ببعض خيره ونعمه وهو عندهم يجلب عن الوصف .

فهم فعلا كما يقول كسنوفون اذا كانوا يبيكون هذه الأشياء لزوالها فهي ليست آلهة وهذا منطقى ولكن هذا الغموض والتناقض يفسره اعتقادهم بالاله الخفى الذى لا يرونه .





« واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - قالوا اتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي - قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها - قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون - قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق » - البقرة ٧٦ - ٧١ -

صدق الله العظيم .

أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يذبح قومه بقرة فانزعج القوم وما كادوا يصدقون ما يسمعون وظنوا انه يسخر منهم فقال انه ليس بساخر فإن ما يقوله ليس بالهزل ثم يأمرهم ان يفعلوا ما يؤمرون فقد أدرك منهم تلكوا متعمدا ، ذعر القوم وخاصة اليهود الذين يعرفون الخطورة وراء ذبح البقر في مصر وحساسية هذا الأمر البالغ الخطورة عند المصريين ، ولما انطوت عليه قلوبهم من وثنية دارت رؤوسهم بأفكار ما قبل اليهودية وتقاليد الاضاحي من الأبقار وألوانها التي تسمح بذبحها وخطورة ذلك وحساسيته عند الكهنة في تشريعاتهم وعقوبة الاعداء للخارجين عليها وعدم مراعاة أحكامها بدقة في مصر من قبل ان يبعث الله موسى / فتساءل اليهود عن هذه البقرة متشددين في سؤا لهم لما انطوت عليهم أفكارهم من وثنية حتى دلهم الله رحمة بهم على أوصاف ما يمكن ذبحه من الأبقار عند المصريين الذين كانوا على ملتهم من قبل فقالوا لموسى « الآن جئت بالحق فذبحوها » وقد اطمأنوا وزال عنهم الخوف وخاصة بالنسبة للونها كما أخبرهم موسى الذي يعلم قبل غيره مقدار ما ينطوى عليه هذا الأمر من حساسية عند المصريين خطيرة العواقب حتى ان موسى قد طلب من فرعون السماح ان يبعد هو وقومه عن الوادي مسيرة ثلاثة أيام تفاديا لأي

تعارض فد يوردهم هو وفومه مورد هلاك أكيد إذا ما ضحى بذبيحة تخالف تقاليد المصريين في الأضاحى وقد ذكرنا فيما سبق مثلاً لما ترتب على مخالفة وعدم انتباه فرقة من اليهود في جيش قبيل إلى هذا العرف عندما وصل الجيش إلى أسوان واحتفل اليهود من الجنود بعيد الفصح فذبحوا الأغنام في أسوان فكانت مذبحاً لهم وللإهود المقيمين في أسوان وهدمت معابدهم هناك ومذابحهم . فإذا بأمر الله سبحانه وتعالى الذى وسع علمه كل شئ لموسى ان يذبح بقرة صفراء لاشية فيها . صدق الله العظيم فهذه البقرة الصفراء التى لاشية فيها كما يخبرنا المؤرخون اليونانيون هيردوتوس و بلوتارخوس وديودوروس هى البقرة التى يباح ذبحها عند قدماء المصريين في أضاحيهم فلا خوف ولا حذر من توضيحها عند اليهود فالمصريون يعتقدون بأن ست إله الشر المصرى لونه أحمر (اصهب) ولذا فقد خصصوا للأضاحى من بين مواشيهم تلك التى يكون لونها اشقر تماماً (٧٤) إذ أنهم كانوا يعتقدون ان أوزيريس كان اسمر (٧٥) فكان اللون الأسود عندهم مقدساً ثم ان حورس كان ابيضاً فكان اللون الأبيض مقدساً أيضاً أما ست إله الشر فلون جلده أحمر أو أشقر مما جعل للألوان عند المصريين أهمية خاصة فلون الآلهة — وكأنهم من البشر — الأسود والأبيض لآلهة الخير وأما الأحمر أو الأشقر فلون إله الشر ولذا فقد كانوا حريصين على فحص هذه الأضاحى من الأبقار قبل ذبحها فحصاً دقيقاً حتى ان الحيوان الذى يجدون فيه ولو شعرة واحدة بيضاء أو سوداء يكون في رأيهم ان من الخطأ ذبحه و يرون انه حرام ان يضحي به ، فمن المناسب ألا يضحي الناس بما يحبه الإله فالأنسب أن يضحو بما لا يحبه الإله (٧٦) .

ثم ان هذا يؤكد أيضاً قول ديودوروس بأن من البقر الأصفر (الاشقر) ما يمكن ذبحه فقد كان المعروف ان هذا اللون الاشقر هو لون إله الشر الذى تأمر على اوزيريس ولذلك عاقبته اريس لقتله زوجها (٧٧) .

ومن هؤلاء المؤرخين عرفنا مقدار دقة هذا الفحص وأهميته تماماً وخاصة من هيردوتوس الذى اهتم بكل التفاصيل لهذه الرقابة وذلك الفحص الدقيقين . فيقول عن العجل « فكما يعتبر الكهنة أن كل العجول تنتمى إلى العجل المسمى باليونانية ερπαιον ابافوس وهو الاسم اليونانى لعجل أبيس أو حابى - Ηαπί - (٧٨) العجل الإله في منفيس كما يقول Leob. في الملاحظة (١) من نفس فقرة هيرودوتوس وهذه العجول في فحصها قبل ذبحها يبحث فيها عن وجود شعرة واحدة سوداء فيعتبر العجل غير نقى ولذا عين واحد من الكهنة لهذا العمل يفحص الحيوان ثم يخرج لسانه ليتحقق إذا كان خالياً من العلامات التى ذكرها المؤرخ في موضع آخر من كلامه (٧٩) فإذا خلى العجل من كل هذه العلامات وضع عليه الكاهن علامة بأن يلف على قرنه قطعة من البردى يلطخها بخاتم من الطين يختمه هو باصبعه ثم يقود العجل إلى الخارج ولكن العقوبة هى الاعدام لمن يضحي بعجل لم يعلمه الكاهن هذه هى شروط ذبح أبقار الضحية عند هيرودوتوس وأما من جهة عجل ابيس وعلاماته التى تؤهله ان

يكون العجل المقدس (روح أوزيريس الحية وروح بتاح أيضا الذى هو إله نحت الأرض أى إله الإنتاج الأرضى) فهو يتميز بميزات سنذكرها فيما بعد وقد أوردتها ديودوروس فأولى علاماته انه أسود وعلى جبهته مثلث أبيض وعلى ظهره رسم ما يشبه النسر (الصقر) وشعر ذيله مزدوج وتحت لسانه عقدة تشبه الجعران ثم أحيانا يكون على جانبه رسم يشبه الهلال كما سترى فيما بعد .

فانظر اذن دقة وشدة مراعاة عدم وجود هذه العلامات والحرص على أن تفحص الماشية فحوصاً دقيقاً على يد كاهن مختص حتى يكون العجل خالياً من أية شائبة تمنع ذبحه وكان ذلك واجباً محتملاً حتى ان الموت كان هو جزاء لمن يقدم على ذبح عجل دون فحصه وختمه والسماح بذبحه هكذا كانت تراعى تلك الشروط الدينية لذبح الأبقار ذكورا وأنثا كما يروى بالتفصيل هيرودوتوس و يوافق على ذلك مؤرخ الديانة المصرية بلوتارخوس فيما بعد ولو أنه لا يذكر علامات عجول ابيس فهى علامات لا تخص الأضاحى بل هى علامات لاختيار عجول ابيس نفسه فى مقره بمعبد بتاح فى منفيس وهى لا تكون فى الأبقار العادية التى يكون ذبحها محرماً إذا وجدت فى شعرها شية أى أية شعرة بيضاء أو سوداء ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن فنانا كبيرا هو الأستاذ محمد ناجى عند تصويره لذبح الضحية فى احدى لوحاته صور البقرة الضحية بلون أحمر (صفراء) تماماً لاشية فيها فكان على علم يشهد له بأنه قرأ وعلم فأصاب فى تعبيره بدقة دراسته التى هى دائماً خلفية لمنجزاته الفنية الرائعة وكانت تلك احدى لوحاته التحضيرية فى تشكيكه للوحة إله الطب عند قدماء المصريين (عبادة أمخوتب) .

فهذه البدائية اذن التى جمعت هذه الأوصاف فى عجول ابيس قد جعلتها أوصافاً نادرة الوجود لتدخل الخرافات الدينية أيضا وقد جمعها كلها فى عجل صغير واحد وقد يحدث ذلك بيننا الآن إذا ما رأينا حصاناً أو حيواناً ما بألوان شعره الجميلة واتساق زخرفتها فنعجب به ونحبه بعيداً عن أى شعور دينى نذله ولكن دون أن نفكر فى إيجاد خليفة له بهذه الأوصاف فهذه ظاهرة نادرة لانصادفها كل حين كذلك نجد المصريين يمشون وقتاً طويلاً فى البحث عن عجول بهذه الأوصاف كل حين كذلك نجد المصريين يمشون وقتاً طويلاً فى البحث عن عجول بهذه الأوصاف وتحمل كل هذه العلامات بين قطعان الماشية الهائلة العدد فى البرارى شمال الدلتا التى تربي الأبقار فى مراعيها الطبيعية كما كان يحدث قديماً فى كسويس (Xois) سخا الحالية مديرية كفر الشيخ حديثاً فإن وجدوه بهذه العلامات انفرجت أزمته الدينية التى تحتم عليهم الحزن والحداد على العجل الذى نفق حتى يجدوا بديلاً له فيسود الفرح ويعم التفاؤل وقد كان ذلك سبباً فى نظرة هؤلاء البدائيين إلى عجول ابيس كأنه شئ فريد مميز عن كل فصيلته من الأبقار فإذا هو إله لا مثيل له جميل المنظر شكلاً وموضوعاً فيحوز اعجابهم بجانب ما يكونون له من تقديس كرمز للخصوبة والنفع والخير .

وهذا بالطبع ظاهر البدائية ولكنه ظاهرة موجودة بيننا حتى الآن نراها بين الفارس وحصانه مثلاً أو الكلب وصاحبه والسائق وبهيته حتى لترى بينهم من يطعم الحيوان مما يأكلون من حلوى و يسقونهم مما يشربون احساسا بعمق الصلة والتقدير والاعزاز بينهم وبين الحيوان الذى يساعدهم فى حياتهم كذلك نجد عند الغاوين من يكن اعزازا وتقديرا للنباتات والزهور و يؤمن بما فيها من نفع ومزايا تنفع الناس .

فانظر كيف ان الله سبحانه وتعالى يعلم ويحيط بكل شئ فى قوله « لا شية فيها » ان هيرودوتوس يورد لنا كيف كانت الدقة بالغه فى فحص الحيوان والتأكد من خلوه من أية « شية » فيما ذكره من تفاصيل هذا الفحص فالكاهن المخصص « لفحص شرعية ذبح الضحية » يوقف العجل على أرجله ثم يطرحه أرضاً ثم يقلبه على ظهره باحثاً عما فيه من الشيات التى تمنع ذبحه (٧٩) أى وجود ولو شعرة بيضاء أو سوداء .

و يقول بلوتارخوس فى ذلك أيضاً ان من بين الكهنة من كان يسمى « بالختامين » أى Sphragidai وهم المكلفون بفحص الذبيحة فحصاً دقيقاً ثم يختمون ما يصلح منها للذبح بخاتمهم الذى يحمل رسماً يمثل رجلاً راكعاً على ركبتيه و يدها مربوطتان خلف ظهره وغائر فى عنقه سيف وهكذا تحمل الذبيحة التى تقدم للتضحية أيضاً هذا الخاتم تماماً كما يذكر هيرودتوس مع خلاف سطحى فى تفاصيل الخاتم لبعء الزمن بين الرجلين وتكون هذه البهيمه خالية تماماً من أية شية تحول دون ذبحها وبذلك تكون ايضاً غير مرغوب فيها ولا مقدسة للآلهة بل بالعكس كانوا يعتقدون انها قد تقمصتها روح شريرة لانسان غير نقى انقلبت روحه إلى أجساد أخرى بعد مفارقتها للحياة ولذا فقد كانوا يستمطرون اللعنات على رأس الضحية و يرمونها فى النهر بعد قطعها وذلك فيما قبل عهد بلوتارخوس بوقت طويل وهو ما كان يحدث أثناء وجود اليهود بمصر ولكن وقت وجود بلوتارخوس كانوا يبيعون هذا الرأس للأجانب من غير المصريين وكما قال أيضاً هيرودوتوس انهم كانوا يبيعونها لليونانيين (٨٢) .

صدق الله العظيم فهذه البهيمه كانت رمزا لست اله الشر وبلونه كما يراه المصريون أفرأيت اذن كيف شدد اليهود فى ذبح البقرة وكيف كانوا متأثرين بخوفهم من شدة عقوبة الخروج على قواعد الاضاحى حتى بعد أن تركوا الوثنية وصاروا يهودا أو كما يقول الأستاذ دريوتون بعد أن كانوا عبرانيين فى مصر وخرجوا منها يهودا .. ثم ما كان من عبادتهم للأبقار وتقديسهم للعجل فكان جرسهم كبيراً على أهميتها كالمصريين تماماً فى تقديسهم للأبقار وما تحمله من علامات وألوان لها صلة بالآلهة التى كما نخبرنا بلوتارخوس أن المصريين كانوا يتكلمون عن ألوانها كأنهم من البشر وعرفوا أن ذبح الضحية يشترط فيه خلوها من أى علامة أو شية تمنع ذبحها فتحل تضحياتها فلا شعرة بيضاء ولا شعرة سوداء فلما دلهم موسى على أوصافها اطمأنوا وقالوا « الآن جئت بالحق فذبحوها .. » ثم أيضاً لا تحمل أى علامة من علامات عجل أبيس المقدس الذى إذا

ذببح لمناسبة هامة سسمى الضحية الكبرى شأنه شأن أوزيريس اله الماء المخصب والرطوبة الخلاقة وهكذا فهموا أى اليهود ووعوا أمر الله لهم بذببح بقرة صفراء خالصة لا شية فيها رحمة بهم وحماية لهم ولدينهم إذ يجنبهم غضب المصريين وتنكيلهم بهم وقد أراد الله لهم اليسر ووقاهم من عذاب شديد وآمنهم من خوف قد يتعرضون له على أيدي المصريين كما حدث لهم فى عهد قيسرى فى أسوان فيما ذكرنا من قبل . وهم يعلمون أن الله أراد أن يبعد عنهم عذابا ووقاهم شرا كثيرا كشأنهم دائما فشدد الله عليهم فهو العليم بما فى الصدور ويعلم السر وما أخفى فقد كانوا رغم يهوديتهم غير مؤمنين وكان موسى هو اليهودى الوحيد بينهم يضمرون وثنية دفينه فى قلوبهم من قبل أن يبعث الله موسى رسولا إذ كانوا عبدة اله الشرست أبيهم وهو ذلون أشقر كلونهم ولون الغرباء أمثالهم انه لون الصحراء الجافة المحرقة فانظر قول بلوتارخوس أن أوزيريس عند المصريين أسمر (٨٣) وهم يطلقون اسمه على الماء والرطوبة التى يعتقدون أنها أساس الخلق « وجعلنا من الماء كل شىء حى » وفى أساطيرهم أن أوزيريس وهو الماء يجعل كل شىء يبلله من أرض أو من ثياب أو سحب أسود ولذلك فشعور الشباب سوداء نتيجة الرطوبة والحوية فيهم أما ست فيطلقون اسمه على كل ما هو جاف محرق قاحل وبما أنهم يعتقدون أن لونه أشقر فقد كانوا أى المصريين لا يرتاحون حتى الى أشخاص بهذا اللون فلا يجتمعون بهم ثم يقول أن عند المصريين الشيب وشقرة اللون يسببها اليبس الذى يحدث لمن فاتهم سن الشباب كذلك فالربيع نضر وخصب ومحبوب أما الخريف فبسبب نقص الرطوبة فيه يكون غير موات للنباتات وغير صحى للأحياء ثم أنهم يطلقون اسم « خيميا » على مصر أى أنها سوداء كسواد العين فصر غالبا سوداء ثم أنهم يشبهونها أيضا بالقلب فهى دافئة ورطبة وهى مقفلة ومحدودة بالجزء الجنوبى من المعمورة كالقلب فى الجانب الأيسر من جسم الانسان (٨٤) .

فما اللون الأصفر إذن بالنسبة لليهود لونهم المفضل والبقرة الشقراء التى لا شية فيها بقرة ست الذى ارتبطوا بأبوتهم فيما مضى فكان للبقرة فى نفوس اليهود قداسة ومعزة حتى أنهم فى شتاتهم بعد خروجهم مع موسى الى سيناء ورجوعهم الى عبادة العجل صنعوا للثور تمثالا من الذهب وصدق الله العظيم إذ قال « واتخذ قوم موسى من بعد من حلهم عجلا جسدا له خوار » الأعراف / ١٤٨ فقد عصوا أمر الله « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » البقرة / ٩٢ . وقد نهاهم موسى عن ذلك محاولا أن يرجعهم عما كانوا به يؤمنون وأمرهم أن يتجنبوا ما كانوا يأتونه فى مصر حيث كانوا يقيمون « كلم الله موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم أنا الرب الهكم ، مثل عمل أرض مصر التى سكنتم فيها لا تعملوا ، ومثل أرض كنعان التى أنا آت بكم اليها لا تعملوا وحسب فرائضهم لا تسلكوا ، أحكامى تعملون وفرائضى تحفظون (٩٢) لتسلكوا فيها » (اللاويون ١٨ / ٣) ولم يأخذوا بهذا ولا ذاك فقد كانت كثرتهم منافقين ولم يكونوا مؤمنين باليهودية بل ظلوا على ديانتهم القديمة وقد خرجوا هاربين مع موسى بدافع عنصريتهم

واضطهادهم مع من آمنوا من القوم خشية انتقام المصريين وغضبهم وقد ظلوا في سيناء يظهرون ما لا يبطنون حتى ظهر ما كانوا يضمرونه في ضمايرهم من كفر باليهودية فرجعوا إلى عقيدتهم الأولى فكان للون الأصفر عندهم شأن خاص ومغزى هام ولذا فقد صنعوا الثور الذي ارتدوا إلى عبادته في سيناء من الذهب لا من معدن آخر غير الذهب الأصفر الأصيل وطبعاً لم يكن كالثور الذي كان في العصر الروماني ممثلاً بحفر بارز ومذهبا وبين قرنيه قرص الشمس وكله مذهباً على أرضية بزرقة السماء (الشمس في برج الأسد) بالمتحف المصري. إنما كان ثورهم صغيراً لأنه من معدن نفيس من الذهب الخالص دليلاً على ما في قلوبهم من إيمان شديد بالتقليد المصري الذي كانوا يتبعونه في مصر من عبادة الههم ست الذي كان البقر الأصفر الذي لا شية فيه بلون معبودهم وشدة تمسكهم برمزه الأصفر الخالص مما جعلهم يشددون في لون البقرة التي يذبحونها صفراء لا شية فيها (صدق الله العظيم) فذبحوها وما كادوا يفعلون.. صدق الله فكان ذبحها رغماً منهم يتجنبون غضب المصريين فيحفظ الله دينه الجديد ويترددون في ذبحها تقديساً للبقرة الصفراء التي تمسكوا بها رمزاً لست أبيهم ومعبودهم قبل اليهودية وكان يملأ قلوبهم بعدها.

خرج اليهود من مصر وكانوا من عبدة الثور ولكن إلى أين ذهبوا؟ انهم خطوا إلى أرض مصرية قحلاء جبلية تسود فيها عبادة الثور أيضاً ثم من بعد سيناء إلى كنعان بلاد عبادة الثور كذلك فالواقع التاريخي أن الثور كان معبوداً في هذا الشرق الأوسط بأكمله في مصر وفي المشرق كله (الأناضول) وفي سوريا وفي بابل وعند الحثيين وكان ذكره وارداً في القاب وصفات المستأزين من الحكام والقادة وظلت هذه الألقاب الدالة على انتماء هذه الشخصيات البارزة الرفيعة القدر ذوى المكانة الممتازة عقلياً وروحياً ظلت هذه الألقاب ملتصقة بهم منذ العصر الوثني وقد وردت هذه الألقاب كقول العلماء في النصوص الانجيلية بلغتها الأولى العبرية بعد العصر الوثني ثم أبعدت من الترجمات الأخرى بما يوافق روح المسيحية بعيداً عن الأصل الوثني وقد عارض (٩٣) بعض العلماء ذلك ولم يوافقوا على هذا التصحيح من جهة عدم تمشيهِ مع المعنى العام وسياق الذكر ومنهم المترجمون أنفسهم الذين اضطروا إلى ذلك محافظة على الروح الدينية فقد ورد في التكوين (٢٢ / ٢٤) إشارة إلى ذلك بعد أن انمحت صفة يوسف «الثور الصغير» ثم إشارة أيضاً في التكوين (٢٢ / ٢٤) إلى ابعاد تعبير «ثور يعقوب» وبَدَل بتغيير «عزير يعقوب» فالأسلوب الذي سجلت به التوراة كان من روح المحيط الوثني وتقاليده فكلمة ثور تعنى عند الوثنيين الإله المعبود ولذا فقد علق الأستاذ كونراد (١٣٢) على هذا التصحيح بقوله أن ذلك تناسياً للأساس التاريخي للعبادة في الشرق القديم ومهما يكن من أمر فعندى أن تناسي هذه الحقائق التاريخية لا يمكن ولا يجوز أن يخون أن يوسف كشخص بارز وله شأن فعال في الحكم كان في زمرة الهكسوس الذين عبدوا «ست» الإله المصري فإن وصف بالثور الصغير فذلك تكريم له كحاكم يبدو أن يوسف ليس له في ذلك التقليد دخل ولا حيلة له في هذه

التقاليد ولا هذه التسمية فقد لقبه المصريون بذلك أسوة بأوزيريس وبأبيس وحورس الذى هو رمز لكل موسم للخير والوفرة وهو أولى بهذا اللقب تصديقا لما ورد فى الكتب السماوية فقد أنقذ مصر من شر الجوع وجنب الناس مجاعة كادت أن تأتى عليهم وآمنهم على حياتهم من خوف وكان لذلك لقب للفراعنة والوزراء وأولى الأمر فى مصر وفى الشرق كله مجال عبادة الثور ولكن يوسف يحل عن هذا اللقب فقد كان يوسف نبيا ولكنهم لا يعلمون .

وهنا أيضاً ترد إشارة مباشرة لصخرة اسرائيل التى يبدو كما يظن كونراد أنه مكان لقاء لهؤلاء العابدين للثور فى قوافلهم وحتى لو افترض بعض الناس أن موسى فى هذا المحيط التاريخي قد شبه بالثور ولقب به كما نحت انجيليوله تمثالاً قائماً على هذا الظن والخيال له قرنا ثور ومحموظ فى كنيسة سانت بيترو فى روما . ثم أن ترجمة الانجيل اللاتينية المسماة Vulgate كما يذكر كونراد (١٣٦ / ١٠٨) تذكر أن موسى كان بقرنى ثور ولا تقول هذه الترجمة أن « على رأسه هالة » وهما تعبيران بمعنى واحد عبرى ، كما أن بعض المفسرين ذهب إلى أن الهالة نشأت أصلاً من تتويج الرأس بقرنى ثور وربما كان ذلك على أساس ما يمكن أن يناله انسان من تكريم بالغ كبير إذا شبه بالثور الاله الوثنى المعبود عند القدماء فى الشرق خاصة قبل الأديان السماوية وأن التعبير عن التكريم بالثور أو وضع قرنى الثور بقوة الثور السحرية (٩٤) على الرأس لشخص ما إنما هو تكريم أيما تكريم بعيدا عن المغزى الدينى كما كان عند اليونانيين وعند العرب أسماء سبع وأسد وهزبر وصفات الشجاعة فيه والتشبيه به قوة وشجاعة وإقداماً كذلك كان قديما الثور أقوى إنتاجاً وأكثر خصوبة وأعظم قوة ونفعاً من الأسد قديماً وحديثاً أيضاً ولم يكن ذلك كفوراً وقديماً كان العرب يشبهون الحفاظ على الودبالتيس كما وجدت صفات البقرة الحلوب والنعاج الولودة للمرأة وكل حيوان من تلك الماشية كان رمزاً لصفة جميلة يقدرها الناس فيه ويحبونه من أجلها والثور عندنا الآن رمز للقوة والجبروت حتى ليعتبر الناس مصارعته والتغلب عليه بطولة وشجاعة عظيمنتين وقديماً أيضاً كان أكثر الناس لا يرون الأسد إلا قليل منهم عن طريق التماثيل والصور وكان حديثهم عنه من وحى الخيال ولقوته وجبروته شبهوه بالشمس فى أوجها ولشجاعته وإقدامه أصر الملوك على الظهور بشكل الأسد لما شاع من تقديره وتقديسه وهو بعيد عنهم كفلاحين أما الثور فكائن معهم ملموس يعيش بينهم يراه الكبار ويلعب معه الصغار أليف الكل يحبونه ويقدرون فيه نفعه لهم فهو غذاؤهم ومن فلاحه الأرض إلى أفواه الناس طعاماً يشبعهم و يقيم حياتهم ولحمماً شهياً وجلداً يكتسبون ولهم فيه منافع أخرى فى نقل حاجاتهم وخدمة أغراضهم وعند اليونان كانوا يعتبرون الثور بالنسبة للفلاح الفقير كالعبد عند الغنى لا يخشى أحد خطراً منه كالحيوان المفترس فكله رزق لهم وخير وقوة إنتاجية للأبقار ووفرة فيها وقوة جسمانية لخدمة الزرع لا تبارها قوة انسان مهما كان قوياً بصورة تسليية لهم فى ركوبه ، وتناطحه ومصارعته فهو كل حياتهم تقريبا وكذلك البقرة (والخروف والمواشى الأخرى التى تعيش مع الفلاحين والرعاة ينظرون إليها من جهة نفعها العملى)

لا عجب إذن أن يرتد الاسرائيليون الى عبادة الثور بعد اليهودية فقد نزحوا من أرض عبادة الثور إلى أراضى يسود فيها الثور روحياً متجهين إلى كنعان التي يعبد فيها الثور أيضاً وصدق الله العظيم عندما نهاهم موسى عما كانوا يفعلونه في مصر من قبل وما يفعله الناس في كنعان (لاويون ١٨ / ٣) المتجهون اليها فهم لم يخرجوا عن دائرة تقاليد عبادة الثور مطلقاً رغم نزول اليهودية الدين السماوى فلم يؤثر فيهم وهم النفعيون الذين ارتبطت منافعهم بالثور الذى كان يلبي عملياً مصالحهم فاعتبروا اليهودية مبادئ نظرية ولم يكن بين هؤلاء القوم جميعهم سوى موسى عليه السلام (٩٥) يهودياً صادق الايمان ومخلص النية لله ولم يكن علمهم بالدين الجديد النظرى وايمانهم به ليخرجهم عن تقاليدهم التي تعودوا على ممارستها فقد نشأوا عليها فتمسكوا بالثور وعبادته وظاهر من هذا كون هذا المعبود القديم نافعاً لهم عندما كانوا في وادى النيل يرعون ماشيتهم في أرض المراعى (جوشن) شرق الدلتا ومن حولهم الفلاحون المصريون والكل يحل الثور ويقدسه كرمز للقوة وخدمة وفلاحة الأرض والانتاج الحيوانى والزراعى فكان كل انسان بارز من الشخصيات قوى عامل منتج نافع يدعى ثوراً .

افسقد اليهود ثورهم في صحراء موحشة لا ماء ولا نبات فيها ولا رعى وقد وجهوا نظرهم إلى السماء في دينهم الجديد يستسلمونها الصبر على ما هم فيه من جوع وقلة زاد واستبدلوا بالخضر اللذيذة والقمح التي تبدو على مرأى من أنظارهم غرباً في الوادى باللبن والعسل فاشتاقوا العودة إلى العجل وعبادته ولم تكن سيناء لهم رياضة روحية كما يقول الأستاذ فؤاد حسنين كما أرادها موسى لهم بل كانت محركة لنفوسهم الضعيفة الكافرة الثائرة الجائعة الحاقدة للردة إلى عبادة الثور وكانت عبادة الثور وهم عبرانيون قبل اليهودية في عقولهم وفي قلوبهم وذاكرتهم وكانوا يرون في عبادة العجل أبيس ومنيفيس وبوكيس (Apis Mnevis, Bukis) أمراً طبيعياً عملياً ينالون منه نفعاً مادياً فوراً « فاشربوا في قلوبهم العجل » البقرة / ٩٢ . ولا ينتظرون جزاء الجحشة بعد حياتهم في اليهودية التي كان عونها وصية وحضاً على تمسكهم بالصبر والثواب على تحمل المشاق والمتاعب وأجرهم عند الله في الآخرة دين نظرى لعقول بدائية وأجساد جائعة ونفوس كافرة ثائرة هيات أن تستجيب للمعنويات فهم هنا في سيناء في ذعر من المجاعة حتى أنهم عندما ذهبوا إلى كنعان وهي أرض عبادة العجل أيضاً قضت عنصريتهم الأنانية الارهابية على أهلها الأصليين لينفردوا بالأرض يستقروا عليها وحدهم أماناً غذائياً لهم فقط كما جعلوا من اليهودية كذلك ديناً عنصرياً خاصاً بهم فلم يذهبوا إلى كنعان مبشرين بدين جديد بل ذهبوا والعنصرية التقليدية العبرانية الاسرائيلية في قلوبهم وعقولهم فأفسدوا هدف اليهودية الهادى لجميع البشر وقد انطوا عليها واتخذوها ديناً عنصرياً قاصراً عليهم فلم تغير اليهودية منهم شيئاً واقتبلعوا من كنعان أهلها الأصليين واغتصبوا الأرض وانزوا بأنفسهم وفسروا وعد الله تفسيراً

شيطانياً مفترين على الله الكذب بعملهم اللا انساني الذي لا يمت بسبب إلى اليهودية تفسير ضال بطل فيه ما أمر به الدين من مؤاخاة بين الناس وتآلفاً بينهم في حب الله .

وهكذا يقول كونراد إن صنع هارون العجل الذهبي لم يكن كفراً بل هو قد تم برضاء القوم جميعهم وكان ذلك العمل من اختصاص كاهن الثور في التقاليد العبرانية في مصر وكان هارون باجماع العلماء الباحثين كاهنه وكان العجل الثمين المعدن من الذهب الأصفر الخالص من أية (شية) يسر الناظرين وكان هذا العجل الذهبي يعبد أيضاً في كانوبوس في العهد الروماني ولكنه على ما أعتقد كان رمزاً شمسياً لا كالعجل الاسرائيلي الكافر وقد أورد ايبرهارد لهذا العجل (صورة) بعض بنى اسرائيل يرقصون حوله فكان العجل الذهبي من صنع هارون صغيراً نظراً لقيمة معدنه وظروف تكوينه كما يقول كونراد وكما نخبرنا سترابون فإن موسى كان كاهناً على قطاع كبير في الدلتا وعالماً بطقوس ومراسم التقاليد المصرية والمعابد وعالماً وفيلسوفاً تعلم فدرس الحكمة والفلسفة المصرية ولكن علمه وفلسفته وعمله ودراساته أوحى إليه كلها باتجاه جديد وفكر جديد وفلسفة جديدة تبلورت في دين جديد أعده الله بما آتاه من استعدادة في تأمله الروحي لوحيه فتلقى الوحي الإلهي بقلب سليم . بعكس هارون الذي لم يكن مؤهلاً لا روحياً ولا عقلياً لأن يكون نسبياً بل قامت منزلته في قومه القبلي العنصري على أنه أقرب الناس الى موسى فإن أضله وقومه أحد كالسامري من عبدة العجل فلا أيسر في غياب موسى أن يستجيبوا جميعاً له أنهم خرجوا من أرض عبادة العجل إلى أرض فيها الثور معبود وفي سفر التكوين كما ذكرنا (٢٢ / ٢٤) تجد إشارة إلى صخر اسرائيل الذي يظن كونراد أنه كان مكان لقاء هذه الطوائف السامية من عبدة العجل ومهما يكن من شيء فلم يكن بين بنى اسرائيل يهودى صادق النية والايمان إلا موسى عليه السلام كما نخبرنا بذلك سترابون أيضاً فيما سبق ولكن كان غضبه لردة القوم الى عبادة الثور وعلى من ساعد على هذه الفتنة الدينية غرذى أثر على عبادة الثور في هذه المنطقة التي يعبد في كل مناطقها العجل في بيتل Bethel . وفي شيشيم Sechem وفي شيلوك Shilok وجيلجال وجهات أخرى كثيرة أسست فيها مراكز لعبادة الثور كان يحج إليها العابدون له في مناسبات زراعية معينة فلما ان أتى اليهود إلى هذه المستوطنات تغيرت في مناسكهم النظرة إلى العجل من القوة والفحولة كرامة إلى نظرتهم له لما استقروا أنه رمز فقط للخصوبة فأنظر كيف كانوا جوعى ! جوعى يبحثون في مستقراهم عن الأمن الغذائي يقيم بعد طول ما عانوه منذ خروجهم من مصر في تنقلهم في فيافي سيناء من شظف العيش وعسر الرزق وقلبة الزاد فاستولوا على الأرض أولاً وأخرجوا منها أهلها وأصحابها الأصليين بدلاً من أن يدخلوهم في دينهم و يعيشون معهم في أمان يظللهم فيه دين الله .

في هذه المنطقة وعند الحيشيين خاصة لم يكن لأي حيوان غير الثور قدسية دينية بعكس ما كان في مصر والهند وأرض الجزيرة فقد كان لحيوانات أخرى غير العجل فيها قداسة وإن كان

العجل يعتبر أهم وأعظم الحيوانات المقدسة . وفيها أراضى خصبة يغذيها ماء النيل والأنهار الأخرى هناك وليست الأمطار فقط هي عماد رباها ثم مراعى كثيرة عليها حيوانات زراعية كثيرة ذات فوائد جمة للناس أما عند الحيثيين فأراضيهم شبيهة بواحات أو جزر في بلدان وسط الصحراء والمناطق الجبلية فالعجل كان أهم وأكبر رمز للخصوبة فيها فكان الثور إلهها في شارشميش Charchemich . كما كان في بال واور Ur . ويتصف هناك بأكبر مزايا الانخصاب بالنسبة لعابديه شديد الوطاة والغضب على من يتحداه . فهم يتصورونه إلهها للسماء في هيئة آدمى يسمونه Techub . وهو منزل المطر حياة الأرض .

وشبيهه بهذا الإله الحيثي شكلا ورمزا كانت الآلهة داد Dad . وهادد Haded ورامان Ramman أى الذى يخور والسبعل (١٣٢ ص ١٠١ - Baal) وفي بابل وآشور كان الإله الثور يسمى رامان وفي أحد ابتهالات بابل للإله الثور يقولون « أيها الإله رامان Ramman تسامى اسمك أيها الثور العظيم ابن السماء إله الوفرة » فالتمثيل والأناشيد والعبادة كان يتوسل بها الرجل القوى والمرأة الخصبة والملك الجبار لينالوا القوة والخصوبة من العجل فالخصوبة والقوة هما أهم شىء في الشرق الأوسط يرمز إليها الثور في قول شاعر في سوريا أن المرأة تتمتع بأن يخصبها العجل ايل El . كما كان في كريت طبقة من العاهرات يسمون ديكتر ياد Diktriades لا يرضين أن يمسهن أحد إلا العجل ثم في اليونان كان النساء يتوسلن أن يأتى اليهن ديونيسوس بأرجل العجل .

كان ايل El معبود الكنعانيين وعندهم أنه هو أبو البعل والأداد وهما عجلان و ينادونه « العجل الأب » وهو إله مخصب ولذا كانت السماء من اختصاصه كز يوس عند اليونان أنه هو الذى يمتطى السحاب أنه الرعد إله العواصف و ينزل المطر فبدونه لا نبات للأرض القحلة ولا لمراعيهم فليس عندهم إلا جداول صغيرة لا تكفى حاجتهم كما كان عند اليونان الذين يخزنون مياه الأمطار حتى الآن فأرواحهم متعلقة بمنزل المطر مدرارا فبدونه تصير أنهارهم ترابا وأرضهم قحيلة بلا زرع فإذا عاد عادت معه الحياة وكل شىء وفي العربية تعبير « أرض البعل » هي الأرض التى تعتمد في رباها على المطر ونقول عندنا نبات بعلى أى يروى مرة واحدة .

وفي اليونان نفس التضاريس تقريبا والمناخ وهى شبيهة بكل أرض جبلية في محصولها القمح والزيت والنبيد وهكذا كنعان بلاد غابت الثور وتمسكت به كغيرها من مناطق الشرق الأوسط وكان الثور فيها يتصف بكل ما يدل على الانخصاب من قوة وفحولة فهو الماء المخصب للأرض الجبلية التى تحتاج لكل قطرة ماء فهو عندهم كأوزيريس في مصر إذن فأين ذهب اليهود من بنى اسرائيل بعد أن نزحوا من مصر إلى كنعان التى تعبد الثور مجتازين كل الأقاليم الشاسعة عابدة الثور أنهم لم يخرجوا من محيطهم الذى تعودوا عليه في عبادة معبودات كان الثور أهمها وصدق الله العظيم فقد أمرهم موسى ألا يعملوا ما كانوا عليه في مصر وأن يتجنبوا ما يجذونه

في كنعان حيث يقودهم إليها فرحيلهم من مصر وترحالهم في سيناء واستفراهم غير المشروع في كنعان كلها مناطق عبادة الثورز يادة على عنصر يتهم القبيحة التي ضنت بكل شيء على غيرهم من الناس حتى دين الله فكانوا أسوأ من أوتمنوا على شيء وكانوا في عنصر يتهم (ثيرانا) عتاه فبعقول (الثيران) أرادوا أن يجعلوا لأنفسهم جذوراً في أي أرض وهم السطحيون الرحل الذين ليس لهم أصل ثابت ولا حضارة مطلقاً فتمسكوا باليهودية وجعلوا منها ديناً عنصر يالهم واستمسكوا بعنصر يتهم الدينية هذه متوهمين أن ذلك يجعل لهم أصلاً وجذوراً وحضارة في أراضي اغتصبوها من أهلها فكانوا واهمين ولم يخدعوا أحداً بل كانوا أنفسهم يخدعون فاليهودية دين الله للناس أجمعين .

أما الفينيقيون وهم من أهم من نشر عبادة العجل وروج لها في حوض البحر الأبيض المتوسط هؤلاء التجار البحريون القدماء من عبدة العجل كانوا صلة بين عالم البحر المتوسط القديم بعضهم ببعض وكان البعل إلههم الأكبر وزوجته عشتروت البقرة تماماً كمعبود الشرق الأوسط في كل الأنحاء وخاصة مصر وكانوا يحرمون أكل لحوم الماشية إلا في مناسبات دينية نادرة وفي غيرها كان اللحم حراماً وأكله من الكبائر .

هكذا لم يبعد اليهود عن تقاليد عبادة الثور حتى بعد اليهودية وظل أثر هذه العبادة فيهم فكان يوشوا Jushua الذي قاد اليهود الى كنعان بطلا من قبيلة إفرين Ephraim وهو اسم مشتقاً من اسم الثور الذي كانوا يعبدونه في الصحراء ويرى كونراد أن داود عندما أسس الولايات اليهودية المتحدة أسس معها عبادة يهوا Jahwiam فبدى لعقول العامة في تصورهم تقارب وتوحيد (بعل يهوا) واستمر هذا التصور (للبلع مع يهوا) في عهد ابنه وخليفته سولومون بدليل أنه قد وجد في المعبد المشهور تماثيل للإله شيرويم Charubim وهو تمثال إله من البرونز بشكل آدمي مجنح برأس عجل ثم وجد تماثلان كبيران لهذا الإله شيرويم في قدس الأقداس بالمعبد (١٣٦ ص ١١٠) .

وبعد موت سولومون حدث تراجع ونكسة كاملة إلى الردة فقام يرو بوم Jernboun وجمع شمل قبائل شمال فلسطين وحشهم على عبادة صور آلهتهم القديمة فأقام مراكز لعبادة الثور في مركز ثور يعقوب (عزير يعقوب) كما يذكر في التوراة (التكوين ٢٢ / ٢٤) ضمن مراكز أخرى لعبادة الثور في بيت هل Bethel وفي دان وقال لقومه «بعيد عليكم أن تذهبوا إلى بيت المقدس فانظروا هذه هي آلهتكم القديمة التي عبدتموها في أرض مصر» (١٣٦ ص ١١٠) .

هذا هو اثر مصر على اليهود في هذه البقاع الذي تأثر به اليهود أنا وجدوا بعد نزوحهم عن مصر فلا يمكن أن يتخلصوا منه انها آثار باقية فيهم إذ لم يكن لهم من حضارة إلا ما أخذوه عن مصر ولا فضل إلا ما اكتسبوه من مصر ولا حكمة ولا أمثال إلا تعلموها في مصر فصر بالنسبة لهم أصبحت كالليل الذي يدركهم رغم بعد الشقة وسعة المنتأى ورغم ذلك يابون الا أن يطفئوا نوراً

ملاً عقولهم وقلوبهم فجحدوا نعمها عليهم حسداً لها وكرها فيها وغيظاً منها ثم بعد ذلك يلجأون إليها بوجوه شوهها الرياء حماية لدينهم من أعدائهم في فلسطين وفي بيت المقدس كما سترى .

وقد أصبحت هذه المراكز التي أسسها بروبوم م Jeruboum لعبادة الثور مجالا لمراسم الاختصاص الاباحية ومجالاً لسنة حرق لحوم أضحية العجل أيضاً في المشرق كجزء من مراسم العبادة مما أثار لوم وانتقاد أنبياء اليهود في الجنوب وشددوا هجومهم على هذه العبادة فكان ذلك دليلاً على تمكن عبادة العجل من عقيدة اليهود آنذاك فاليهود في المشرق (الأناضول) لم يتنازلوا عن عبادة العجل التي مارسوها وآمنوا بها قروناً طويلة وقد أصاب كونراد (١٣٦ ص ١١٠) في قوله بأن تقاليد عبادة العجل كانت راسخة قوية في نفوس الناس فالعجل يوحى بالاحترام والحب والاعجاب لأنه يستجيب لمتطلبات حياتهم هناك ومرتبطة باحتياجاتهم ورغباتهم الدنيوية الواقعية فلم تفسح العقيدة فيه مجالاً لعقيدة الأنبياء الدينية السماوية المعنوية أى أن بنى اسرائيل تمسكوا بعقيدتهم التي مارسوها كعبادة عملية كانوا يستفيدون منها فيما مضى (١٣٢ ص ١١٠) مما حدى بهم في ابتداء رسالة موسى أن يتراجعوا عن دينه الذي أنزل عليه فكان موسى هو اليهودى الوحيد بين قومه الذى اختار الله معبوداً له فاختره الله لرسالته للعالم وهو العملاق الفكرى الفلسفى الروحانى الحكيم ضافى النفس والقلب السليم ولكن لم يكن اقناعه قومه باختيارهم الله سهلاً فقد غلبت مصالحهم الأرضية وحاجاتهم الدنيوية وهم الرعاة الرحل المستضعفون فى الأرض لا يشغلهم إلا حياتهم الصعبة البدائية لا هم لهم فيها إلا الاهتمام والمحافضة وتقديس كل ما ينفعهم ويعينهم على حاجاتهم فى دنياهم فيحمل عنهم عبأها ويسهل لهم متطلباتها ويكثر لهم رأس مالهم وعماد حياتهم من قطعان الماشية غلب ذلك تطلعهم إلى الروحانيات السماوية فقابلوا دعوة موسى إليها وتقبلوها بفتور وسلبية ولولا خشيتهم من اضطهاد المصريين لهم لما خرجوا معه من مصر كما ذكرنا .

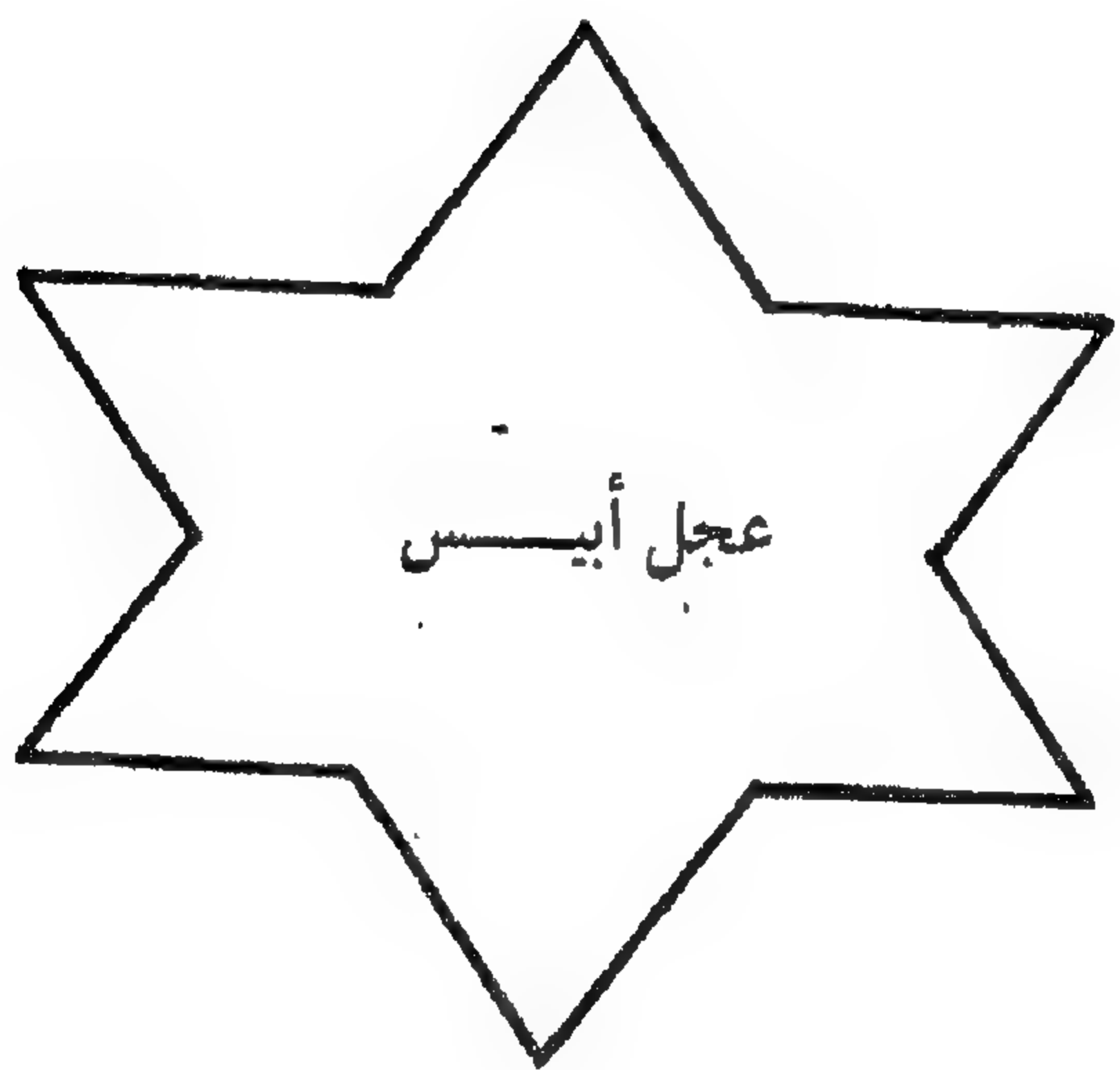
كانت نتيجة كثرة التضحية بالعجل وأكل لحمه إن سادت فكرة الوحدة بالجوهر بين الإله وعابديه بما كان بركة للعابدين المشتركين فى هذه الولائم الدينية الرسمية وقد كان شعور الناس بذلك قوياً شديداً حتى ظل فى تصورهم بعد أن اختفت عبادة العجل فى المشرق بأسلوب آخر كما يرى كونراد - فآخر عشاء ربانى كطقس رئيسى ومعجزة المسيحية الرسمية كان أثراً مذهبياً مباشراً أتى من هذه المراسم السامية الواسعة الانتشار (١٣٦ / ١١١) فسيحان الله الذى أعلمنا أنه حين أتت رسلة ابراهيم « ما لبث أن جاء بعجل حنيد » كما كانت عادة القوم من زمن سحيق .

وقد كان المستقون والأنبياء من اليهود يرون الأسلاف والرسل فى أحلامهم ماشية من أبقار وغيرها كما روى Enoch (١٥٠ ق م) الذى يروى لابنه رؤياه فى منامه عن أصل الخلق أنه رأى فى منامه آدم وحواء ونوح الخ قد تمثّلوا له جميعاً أبقاراً كبيرة وصغيرة

(١١٢/١٣٦) . ذلك لأن الماشية كانت بالنسبة لهؤلاء الرعاة والفلاحين أيضاً أهم ما في حياتهم فليس أمامهم سواها يرون فيها كما كان في مصر سر الخالق والخلق والحياة من خصوبة وقوة ووفرة وأمومة وتلقائية غريزية للبقاء .

هكذا كان أهل المشرق (الأناضول) وفي آشور عبدة العجل المجنح الذي زينوا به قصورهم وكان علم الملك سارجون نفسه يحمل رمزا ، عجولين ورأس عجل وعند الحيثيين وفي سومر وبابل والهند وفي مصر الكل يرجو و يلتمس من الإله العجل القوة والخصوبة بما يقومون به من عبادة له في معابدهم وأناشيدهم وتمثيلهم يتقربون بها إليه منذ آلاف السنين فكان عند هؤلاء المرتبطين بالأرض فلاحه ورعياء الإله بدون منازع في منطقة الشرق الأوسط .





حيوانى ثم سماء للأرض فهى عندهم كزوجة الفلاح مساعدة فى خدمة الأرض وست الدار انها اريس فان كانت هذه الأبقار النافعة والضرورية لهم ذكورا وأنثا تشترك فى بعض من أوصاف من أوزيريس معلم العالم كله زراعة الأرض بعد الاستقرار من حالة البداوة والترحال فى شىء. مثل اللون الأسود أو اللون الأبيض لون ابنه حورس رمز الشمس المشرقة وتجدد الحياة فيما عدا الأوصاف الأخرى التى يجدونها فى العجل الذى يمثل روح أوزيريس الحية زاد تقديرهم وحبهم لهذه الأبقار فان قدمت منها أضاحى فيجب ألا تكون من الأبقار التى يعتزون بها وهكذا كانوا يفعلون بشهادة المؤرخين الذين اهتموا بمصر ديانة وتقاليدها فليس أمر أيسر علينا أن نتعرف على عجل أبيس من ذكر الأستاذين ايليانوس فى كلامه عن خصائص الحيوانات وهو العالم المختص فى علم الحيوان ثم الأستاذ بلينى العالم الرومانى فى التاريخ الطبيعى فمن طريقهما يمكن أن تأخذ فكرة مختصرة شاملة من تصور المصريين لما يكون عليه عجل أبيس من أوصاف أشهر وأقدم معبود من الحيوانات وأعرق حيوان وجد على أنبل وأخصب أرض أزلية أرض مصر السوداء الخالدة أريس السمراء ذات الأسماء التى لا تحصى فعجل أبيس فى دنيا مصر الفلاحين أروع إله له ايمان ووجود فى نفوسهم لا يدانيه عندهم إله آخر فاذا كان أوزيريس هو حياة الأرض أى النيل وماؤه فالثور روحه الحية التى تكمل العمل بالجهد فى الانتاج وزيادة المحصول كما وصفه المؤرخون كما أن البقرة كانت مكلمة للرخاء فى بيت الفلاح وفى أرضه وهى الأم للعجل الولود الحلوب فالعجل (أبيس) يولد من بقرة يخصبها شعاع من أشعة القمر المخصب وهى فى حالة استعداد للحمل كما يقول المؤرخون القدامى أما ايليانوس فيروى لنا أن شعاعاً من السماء هبط على بقرة فى حالة استعداد للخصب فولدت عجل أبيس الذى يسميه اليونانيون أيبافوس Epāphos. وعندهم أن أم هذا العجل هى ايو. Iō من مدينة أرجوس فى اليونان وأن أبوها هو ايناخوس Enachos وهكذا يرجعون نسبه إلى خرافة ايو. Iō أما بروجشى فيقول أيضاً أن زيوس قد سخط أيو بقرة وضعت فى النهاية أيبافوس فى مصر أو عجل أبيس وذلك قبل أن ترجع إلى صورتها الآدمية على يد زيوس وهذه هى الخرافة اليونانية التى ترتبط بأبيس المصرى وتشابه فيها أيو. Iō وهى بشكل البقرة مع أريس. Isis أى حتحور ورغم أن هيردوتوس (٣-٢٨) وأرستا جوراس Aristagoras (ميللر Mueller ٢-٩٨) قد قدّموا مثل هذه القصة إلا أن المصريين لم يعترفوا بذلك على حد قول ايليانوس نفسه فهم قد رفضوا هذه القصة واعتبروها قصة زائفة وذلك لأنهم «أكدوا أنه يجب أن يكون على ظهر هذا الثور المقدس ٢٩ علامة ظاهرة فى وضوح» ثم يحتجون أيضاً بأن ايبافوس هذا ولد فى عصر متأخر جداً بينما كانت أول معرفة البشر لأبيس قبله بآلاف السنين (٨٥).

صديق ايليانوس فالواقع أن ظهور أبيس كمعبود رسمى كان كما يقول ايليانوس نفسه من عهد الملك مينا أى من أول عهد الأسرات أى أقدم بكثير جداً من ظهور تلك الخرافة اليونانية

التي أراد لها اليونانيون أن تأتي على غرار التقليد المصري فهم أيضاً يقدسون الثور تقديراً منهم لخدماته الزراعية .

ذكرنا فيما سبق أقوال المؤرخين من اليونانيين فيما يخص ولادة أبيس وقد أجمع الكل على صلة أبيس بالقمر وقد أوردنا أيضاً ذكر بلوتارخوس لذلك وعنده أن هذا الثور الخصب قد « ولد عندما هبط أحد أشعة القمر على بقرة في حالة استعداد للاخصاب » (٨٦) . وهذا ما يشير إليه أيضاً المؤرخون الآخرون ومعهم بليني Plinius إلا أن إشارته لم تكن مباشرة ففي كلامه عن العلامات التي ترين أبيس يذكر أن أول ما يتميز به ثور أبيس هذا بقعة بيضاء يشكل هلال قري على جانبه الأيمن (٨٧) .

إنه يذكر الهلال كأول وأهم علامات أبيس فهو إذن ثور ينتمي إلى الفلك حتى تبلور تصويره في العصور المتأخرة على لوحة من الحجر الجيري نحت عليها نحتاً بارزاً يبرز فيها العجل وقد غطى كله بالذهب وهو واقف متجهه إلى اليمين وبين قرنيه قرص الشمس والخلفية التي يبرز عليها زرقاء بلون السماء وهذا دليل على النظرة الفلكية التي بنى عليها علماء الكهنة فلسفتهم اللاهوتية في عبادة العجل أي الشمس في برج الثور فأنظر كيف ارتبط العجل بعبادة أوزيريس أبيس ودار في فلك الشمس الأزلى فن بين الكهنة من يعتبر أن أوزيريس هو الشمس صراحة ويسميه اليونانيون سير يوس Sirius أي نجم الشعرى اليمانية وهي نجمة الكلب الفلكية باعثة المطر كما يحدثنا بذلك بلوتارخوس (٨٨) ولا غرابة في ذلك فالصلة بين أوزيريس والشمس والشعرى اليمانية باعثة مطر وماء الفيضان كلها تمثل تماماً أوزيريس الذي هو النيل بمائه فالشعرى اليمانية هي نجمة أوزيريس تسمى المسماة صوثيس Sothis باعثة وبشيرة الفيضان بالمساواة بينها وبين أوزيريس والشمس قائمة ونجد ذلك كله بمساواة الجميع واضح تماماً على حجر منقوس لخاتم من العهد اليوناني الروماني ضمن مجموعة المتحف المصري النادرة الثمينة وهذا النقش يمثل الشمس قبيل وقت الأمطار الموسمية ممثلة برمزها النسر الذي يقف في عربة شمسية يجرها كلبان وهما رمز نجمة صوثيس تسير مع الرياح الموسمية المحملة بسحب المطر الغزيرة في موعد مطلع نجمة صوثيس أي الشعرى اليمانية أي أوزيريس صوثيس Sothis عند المصريين وهي نجمة أوزيريس سير يوس Sirius اليونانية أيضاً بشيرة الفيضان العظيم تجدها عند اليونان ممثلة بأوزيريس على ظهر الكلب على النقود الرومانية أيضاً وفي أعلى الشكل النجمة وهي العملة الخاصة بمصر والمسماة بنقود الاسكندرية فكل هذا التمثيل على هذا الحجر المنقوش النادر وعلى النقود إنما يتعلق بدورة الشمس وتطورها في الفصول الأربع الزراعية بمصر ومنها موسم الفيضان فكان المصريون يكرمون الأسد ويزينون أبواب معابدهم برأسه إذ أن النيل يفيض عندما تقترب الشمس من مجرة الأسد ويعلق لويب على ذلك بأن نجمة صوثيس أو الشعرى اليمانية تشرق في هذه الآونة إذن ففي هذا الوقت يجر الكلبان رمزا نجمة صوثيس العربة

الشمسية ايذانا بظهورها وفيضان النيل (فقرة ٣٨ = ١٣٦٦ أ) وهكذا نجد المطابقة تامة في قول بلوتارخوس عن أوزيريس في التقاليد العامة بأنه الشمس وأنه عند اليونانيين نجم سير يوس بشير و باعث ماء الفيضان .

أما المصريون فكانوا يعتقدون في خصب القمر حتى أنهم رمزوا إلى ابتداء الربيع بقمر شهر فامينوث Phamenouth الجديد فيحتفلون في هذه المناسبة بعيد اسموه « أوزيريس في القمر » وهذا يعنى أن أوزيريس هو المخصب كالربيع وهو الذى يخصب البقرة أم أبيس بشعاع من القمر، ثم يذكر بلوتارخوس أن المصريين كانوا يركزون قوة اخصاب أوزيريس في القمر ولذا فازيس عندما تكون حاملا أو خصبة ترتبط بأوزيريس في القمر ولذا فن الكهنة من يقول بأن ازيس ليست سوى القمر (٩٠) . فتماثيلها التى تمثلها بالقرنين المتوجين لرأسها ما هما إلا محاكاة لشكل الهلال القمري ثم هى فيما تلبسه من ملابس داكنة إنما تدل على تلهفها لأن تتبع الشمس أو على أنها فى متابعتها الشمس تكون متخفية وغامضة . ومن أجل ذلك أكد أيودوكسوس Eudoxos أن ازيس هى الإلهة التى يحكم اليها الناس فى شئون حياتهم الجنسية فالناس يناجون القمر فى الحب وأحواله (٩١) .

وصدق أيودوكسوس أفلا نفعل نحن ذلك الآن ؟؟ ثم ان قوله منطبق على الواقع فازيس المصرية قد اندمجت فيها كل الآلهات اليونانيات ومن بينها أفروديت إلهة الحب اليونانية كما تمثل ذلك كثير من التماثيل الفخارية والنحاسية فى جميع متاحف العالم ثم أنهم أيضاً من هذا كله « يقولون أن القمر أم العالم » (٩٢) . ثم انه عندهم فى طبيعته مذكر ومؤنث فى نفس الوقت ففى طبيعته المؤنثة يتزوج الشمس ويحمل منها ومن جهة أخرى فطبيعته المذكرة تنثر فى الهواء جرم الاخصاب (٩٣) .

فن ذلك يتضح أن الشورى دخل دائرة أوزيريس الشمسية الخالدة و يقصدون بذلك أن يجعلوا له علامات قوية واضحة الدلالة وإن كانت بدائية تبرز ارتباط أبيس بالدورة الشمسية الأبدية التى يتوقف عليها كل شىء كقوة أو طاقة أساسية للإنتاج الزراعى فى مصر تتعلق بها حياة الانسان وموته وبعثه وكذلك يرتبط بتوقيتها تطور الزراعة وتغير الفصول الزراعية فى البذر والحصاد والنيل ومائه وفيضانه توقيتاً دقيقاً لا يتأخر ولا يتقدم ولا يتغير منذ الأزل وإلى الأبد متصل بفضل طبيعة مصر الفريدة حتى ليقول ايليانوس (١١ - ١٠) أنهم كانوا يشبهون الشورى بحورس الذى يرون فيه السبب الأول فى خصوبة الأرض وحاصلاتها وهو أيضاً سبب كل موسم مبارك ويفسرون أيضاً سبب تعدد ألوان الشورى بأنهم يرون فى ذلك إشارة خفية ترمز الى تنوع المحاصيل (٩٤) . وهكذا تظهر الصلة بين الشورى وفلاحة الأرض قوية فى تفكير وعقيدة هؤلاء الفلاحين الأول ويبرز هذه الصلة أكثر ما ورد عن ايليانوس فى روايته على لسان الكهنة المصريين « إن قصة لا يعرفها الكثيرون هى أن الملك منها فى مصر عندما فكر فى حيوان يعبد

اختار الثور معتقداً أنه أجمل الحيوانات جميعاً» (٩٥) . أفرايت إذن كيف أن ملك هؤلاء الفلاحين البدائيين الأول عند الاستقرار على الأرض وابتداء الزراعة الحقبة لأرض مصر قد اختار الثور حيواناً وحيداً معبوداً له لعقيدة الكل في هذا المجتمع الزراعى بأن أنفع الحيوانات وأشدها جهداً وأجلها في تصورهم هو الثور فعبدته الملك كما ورد في هذه الخرافة وأصبح الثور رمزاً للملكية في مصر منذ ابتداء تاريخها الأول وكذلك الحال عند البدائيين من اليونانيين بالنسبة للثور كما ورد في الياذة هومر .

بجانب منفعة الثور الذاتية للزراعة وجهوده في خدمة الأرض وزيادة الانتاج للشعب وللملك يتدخل فلاسفة اللاهوت من الكهنة الفلكيين كما يصفهم سترابون فيخلقون له ارتباطاً وثيقاً برمز الاخصاب ومركز دورة الانتاج الزراعى وتوقيت المواسم الزراعية أى بالشمس المهيمنة على كل شىء وفلكها فيرتفع الثور في السماء برجاً شمسياً تنزله الشمس أى برج للثور في السماء رمزاً للاخصاب وقد نقش هذا الرمز على لوحة بارزة الحفر بالمتحف المصرى كما ذكرنا ، وأن هذا يخالف النظرة التى صنع من أجلها اليهود عجلهم من الذهب فالذهب يشير إلى لون ست إلههم القديم الأصفر أو الأصهب الذى لاشية فيه كما ذكرنا .

و يشير المؤرخ بلىنى أول ما يشير إلى صفة الثور الفلكية فأول ما شرحه له الكهنة علاقة الثور بالقمر فالهلال الذى على جانبه الأيمن له صلة بالقمر كذلك تأويل وشرح بقية العلامات وعلاقتها جميعاً بالفلك ونجومه . فهذه عقيدة سائدة بين الشعب فى تطلعه إلى الشمس وهى عقيدة رسمية أيضاً فنجد علامة الهلال هذه التى على جانب الثور الأيمن والدليل على صلته بالقمر والسماء تمثل على التماث والنقود فيوجد حجر خاتم صغير فى مجموعة المتحف المصرى يحمل نقش الثور واقفاً إلى اليمين وعلى جانبه الهلال بارزاً وفوق رأس أبيس كلمة (احمنا) أو احفظنا باليونانية ثم بجانب هذه التماث نجد النقود الرسمية تحمل أيضاً الثور أبيس واقفاً على جانبه الأيمن هذا الهلال اعترافاً رسمياً بأبيس كرمز شمسى فلكى أى إله ولذلك فاننا نلمس العناية بأبيس منذ ولادته فعندما كانوا يعثرون عليه عجلاً صغيراً بين المواشى يحمل تلك العلامات الشمسية التى تميزه عن بقية الأبقار وهى علامات كثيرة عددها عند ايليأتوس تسعة وعشرون علامة (٩٦) . وقد عدد هيردوتوس بعضها فيما سبق ولكنه لم يذكر عددها ثم إن ايليانوس يقول أن المصريين قادرون على تحديد أى نجم ترمز إليه أى علامة منها على جسم الثور وبين تلك العلامات كما يقول ما يشير إلى موعد ارتفاع النيل وشكل الكون (٩٨) أى أنه أيضاً كرموكرانور مهيمن . وكما نرى فان ذلك تفسير صحيح لما اعتبر من أجله عجل أبيس روحاً لأوزيريس حية فدورانه فى فلك الشمس يجعل منه أيضاً دليلاً على موعد الفيضان وظهور نجم الكلب (صوثيس Sothis) باعث وبشير ماء الفيضان وهذا كله دليل واضح على فلسفة عبادة الثور رمز

الفلاحة الأول وجعله الروح العاملة لأوزيريس أى النيل نفسه أى الفيضان واخصاب الأرض . حتى أن الكهنة اطلعوا ايليانوس على تفسير علامة أهرى ممثلة على الثور بين العلامات ترمز إلى ما يدل فى الأزل على سبق الظلام على النور (٩٩) .

ثم إن ايليانوس لم يربط ولادة العجل بالقمر صراحة بل أطلق القول بأن شعاعاً من السماء نزل على بقرة فسبب ولادته فهو بالنسبة للمصريين أبرز الآلهة (١٠٠) .

وكذلك يقول هيردودت من قبله (٢٨/٣) بدون ذكر مخصص للقمر ولكنه يضيف أن أبيس أو Epaphos عجول يولد من بقرة لا تحمل مطلقاً بعد أن تلده (١٠١) .

ولكن ايليانوس يذكر الصلة التى تشير إلى انتاء أبيس للقمر يشير إلى علامة الهلال مثل بلينى فيقول أن هناك « علامة أخرى تبين شكل هلال القمر لمن يفهمون ذلك » (١٠٢) أى أنه يشير إلى سر وجود ودلالة هذه العلامة لمن يفهم علاقة أبيس بالقمر من المختصين أولى العلم .

أما بلينى فلم يذكر إلا علامتين شمسيّتين فقط (٨/١٨٤) إصراراً منه كما يبدو على انتاء العجل إلى الشمس كفلك يدور فى فلك الشمس الأبدية المرتبطة بها مصر الفلاحين بنيلها وزراعتها والمعتمدة عليها فى توقيتها للزراع بكل دقة فأولى هاتين العلامتين تظهر على فرائه بقعة بيضاء بشكل الهلال القمري على جانب أبيس الأيمن وأما الثانية فتختبئ تحت لسانه بشكل عقدة يسمونها جعلان أو الجعران (١٠٣) . وهذه العلامة أيضاً ورد ذكرها فى هيرودوتوس مع علامات أخرى كما سنرى (أنظر ملاحظة ٧٩) وهذه علامة غير ظاهرة إلا لمن يعرف موقعها وكنت وجودها من خبراء الكهنة العالمين بالأسرار فالجعلان أو الجعران أو (خيبرى) ما هو إلا رمز للشمس كما ذكرنا بين الدلالة منتشر الظهور ومعروف فى خرافة ولادة الشمس من جديد أى السبعث وكان يمثل فى جسم الإنسان أى فى العالم الصغير الضيق Macrocosme القلب على غرار الشمس فى العالم الكبير الواسع Microcosme . تمثل قلب الكون النابض Kardia Tou Kosmou . والتى يرمز إليها الجعران أيضاً وتلك علامتان ظاهرتا الدلالة على فلكية الثور وانتمائه فى السماء الأعلى بل هو الشمس الجديدة فأنظر كيف يرى المصريون الإلهة حتحور الفلكية كما ورد فى النصوص الخاصة بالمادة الأزلية بهيئة البقرة كما يقول بروجش أنها أولى وأقدم من كل الآلهة وتعتبر الأم الأزلية لإله النور (رع) أنها « أم أبوها وأخت ابنها الذى هو زوج أمه » (١٠٤) . وفى لغة الخرافات التذكارية تذكر حتحور بأنها المضيئة فى السماء القوية القادرة على الأرض والآلهة الكبرى المخصبة تحتها فهى الملكة الكبيرة المقدسة وإفرة الثمار والمخصب فى أعماق الأرض » إنها تعتلى عربة التاسوع العظيم المقدسة كما Tefnut . ومثل نوت Nut . وإزيس ونفتيس بجميع أشكالها وأسمائها المحلية (١٠٥) . وكان تعليق بروجش قوله أنها بعبارة أخرى قد جمعت كل هذه الآلهات وتضمنت فى ذاتها كل خصائصها .

أفرايت إذن أن المصريين في عقائدهم يبعثون بكل ما ينفعهم إلى السماء و يتمنون له الدوام فينسبونهم إلى الشمس و ينسبونهم إليه و يربطونه بدورتها الفلكية الزراعية الأزلية الأبدية في تغير الفصول وتجدد ماء النيل والزرع والحصاد ؟ أوليس ذلك أيضاً مصداقاً لقول بلوتارخوس الذى يوحى بفكرة أن هناك إلهين ؟ إذ يكاد يقرر وجود إلهين إله لم يولد خالداً أبدي لا يفنى وهذه اشارة منه للواحد الخفى الذى هو ملىء السموات والأرض كما ذكرنا فيما سبق وأما الآلهة الآخرى فكما لبطل الأول بعد ما يقومون به من أعمال جليلة فيعملون على احياء ونشر ما أوجده الإله الأبدى لنفع البشر من نعم وخيرات وسلوك طيب وفضائل تنفع الناس و ينعمون بها أى ديمبورجيون أو آلهة ثانويون يقومون بما يشبه دور الرسل فيما بعد فى الكتب السماوية فيفنون وتبقى أرواحهم مضيئة فى السماء تدور فى فلك الشمس الإله الأبدى فروح أريس هى نجمة الكلب (الشعري اليمانية) كما يسميها اليونانيون أما عند المصريين فاسمها صوثيس ثم روح حورس أصبحت النجمة أهوريون وروح ست إله الشر هى الدب الأكبر (١٠٦) .

وفى الاطار الفلكى تظهر اريس كما يقول برجش (ص ٦٤٨) كنجمة صوثيس (Sothisstern) فى السماء قرب الشمس فى أولى أيام السنة الجديدة وهو ما يعتبره المصريون الأول آنذاك رجوعاً لفصل الصيف فى هذه الآونة وليس فقط ايذاناً بدخول سنة جديدة بل أيضاً اعلاناً بابتداء موسم فيضان النيل وذلك له معنى رمزى كبير إذ أنه يجعل لنجمة صوثيس علاقة قوية قريبة من طبيعة اريس فشروق مجموعة نجم اريس فى هذا الوقت بالذات من السنة يشير إلى عودة الحياة أو تجددتها فى مظهر العالم الموسمى فهذه الصورة على أرض مصر بهذا الانتظام الموسمى الدورى المنتظم يكون بوضوح ملحوظ ثلاثة مواسم وصول فصل الفيضان ثم فصل القمح ثم فصل الصيف القانظ (١٠٤ / ٦٤٧) .

هذه إذن اريس الفلكية واضحة دلالتها النجمية بارتباطها بالدورة الفلكية وهى على الأرض كما يذكر بروجش « اريس سيدة الأرض المنزرعة » وهى البقرة (هورسحا) أى المغذية التى تنتج كل شئ وهى التى ترضع وتغذى بلبنها ابناً الطفل حورس انها تهب الحياة وهى منتجة القمح والحبوب . انها (بوتو Buto) الخضراء التى تشبه خضرتها النباتات الجديدة التى تغطى الأرض فالآلهة بوتو وآلهة الحقول الخضراء كما يذكر بروجش (١٠٤ / ٦٤٩) .

كل هذا ظاهر الدلالة على ارتباط الحلقة الزراعية الموسمية بالدورة الشمسية المنتظمة التى لا تخلف مواعيدها .

وكما يقول بروجش أن تقاليد عيادة أوزيريس المحلية كانت عبارة عن ثالوث مكون من (١) أوزيريس بشكل عجل أبيس (٢) اريس البقرة المقدسة مغذية ابنها حورس Horsecha (٣) الطفل حورس أو أبيس الصغير أو العجل Kalb أى أن هذا بمعنى آخر هو الثالوث الأبدى سر وجود مصر فازيس كربة الحقل أو الأرض المصرية المنزرعة (ص ٦٥١) ثم هي هنا ليست بمفردها إذ أن زواجها من أوزيريس النيل فكرة مجازية متضمنة في مفهوم الجميع (كما ورد في نصوص الواحات - Oase-Texten - ثم في مدينة أبيس التي وردت في قوائم المديریات في مصر السفلى تحت اسم آموت Amut / حاضرة المديرية الثالثة (الليبية) كانت اريس تحمل اسم حتحور الذهبية نوبيت Nubiti وحورس الطفل كان العجل Kalb الذى ولدته اريس للعالم وهذا هو أبيس الصغير في نصوص حورس Horustexten العجل الذى يقف بين أرجل أمه المضيئة من فوقه ثم يعلق بروجش على ذلك بقوله أى بعبارة أخرى « شمس الصباح اليومية وفي جريان سير الشمس السنوى التي تشرق من الشرق فهو الشمس المبكرة أو شمس باكورة الصباح » (١٠٧) .

وقد كان بروجش موقفاً في قوله أن فكرة Nutr تتفق مع فكرة أن هذه القوة تتضمن مبدأ التناسل والولادة فكل منها لا ينفصل عن الأخرى كما هو بالنسبة للتمثيل أو التصوير الآدمي لفكرة الأب والأم والطفل كما أقامه المصريون بالتوازي مع ما يسمى بالثالوث الإلهي القائم على أساس التصور الحسى والبشرى وهكذا أقامت التعاليم في مدينة طيبة الثالوث آمون (زيوس اليونانى) أب وموت (هيرا اليونانية) أم وابنها خنسو (هرقل اليونانى) الطفل الابن ولكن بروجش يستدرج فيقول ولكن يجب ألا يخامرنا سوء الفهم بين وجهة نظر فكرة عدم تجزؤ أو انفصام الوحدة الإلهية في هذه الأعضاء المتفرقة التي يتكون منها الثالوث فقد استبعد كل فكرة أو تصور ما يتصل بتكوين هذا الثالوث من البشر نهائياً ففيه تمثيل قوة الوحدة الإلهية واضحة متينة . فآمون يظهر في لغة الخرافة كرع موتيف - Ramutef - لى زوج أمه وموت Mut كأم أبيها وأخت ابنها تماماً كما كان الأمر بالنسبة للإلهة حتحور فيما أسلفنا قوله من أنها « أم أبيها إله النور الثور رع وأن الإله خنسو هو الذى « ولد أباه » (١٠٨) .

وفي النهاية فإن صورة هاربوكرات التي تتصل بثالوث أوزيريس المصرى أى الطفل مع الأب ومع الأم وكما عبيد في مدينة أبيس على بحيرة مريوط وبالذات ثالوث أوزيريس (أبيس) وازيس البقرة حورسغا (المغذية لحورس) ثم حورس الصغير عجل أبيس (١٠٩) .

فالثالوث كما ترى كله عجول مذكور ومؤنث كبير وصغير مما يدل على هذه العلاقة الوثيقة بالعجل كرمز لكل الآلهة الخصيبة من ماء وأرض ونتاج أوزيريس وازيس وحورس أى الثالوث الخصيب الأزلى أساس ثالوث أو مثلث الخلق أروع أشكال الطبيعة الإلهية وعماد الحياة عند أفلاطون والبيتاجوريين كما سنرى ، فالثالوث الأزلى أو الثالوث الأساسى كان

متناسكاً في وحدة قوية لا تنفصم تتمثل في رمز واحد بشكل واحد لا يختلف هو الثور الحيوان الزراعى على أرض الفلاح ذو النفع الكبير رمز هذه الآلهة النجمية المخصبة التى ترتبط بالشمس المخصبة قلب العالم وعقله المهيمن في دورتها الزراعية فالعجل بعلامتيه السماويتين البارزتين ضمن العلامات الأخرى تدل على انتماء الثور إلى الفلك الشمسى أما سترابون فلم يذكر هذه العلامات تفصيلاً إنما يجمل ذكرها كما هي ظاهرة بسيطة كما سنرى وقليلة تزين ألوانها أبيس التى تمثلها لوحة صقارة الاعلانية التى اكتشفها الأستاذ الكبير مارييت يعلن بها أحد محترفي تفسير الأحلام اليونانيين من القرن الثانى ق. م كما يؤرخها هوأى من العصر البطلمى وجدت بصقارة مرسوم عليها عجل أبيس بألوانه التقليدية كما يقول (الخشاب الحمامات الشفائية) وهذا الرسم بالألوان لعجل أبيس إنما يدل على تمثيل صادق صحيح لما كان عليه أبيس بلونه وشكله عموماً فأنظر ما يذكره سترابون من أنه « كما قلت (أى سترابون) أنهم (المصريين) يعتقدون أنه (أبيس العجل) إله » « وله معبد في منفيس و يعتبر كالإله أوزيريس » (١١٠) .

ثم يذكر ألوانه فيقول « جبهته بيضاء وبعض أجزاء صغيرة من جسمه بيضاء ولكن أجزاء أخرى سوداء » (١١١) . فان أمعنا النظر فيما يقوله سترابون في وصفه ما كان عليه أبيس من ألوان وعلامات وجدنا ذلك مطابقاً تماماً للرسم الذى يمثل أبيس بألوانه التقليدية على لوحة صقارة وهذه هي العلامات الهامة الواضحة في الإله أبيس في اعتقادى أما بقية العلامات فقد نلاحظ في شرحها وتفسير دلالاتها تعقيدات وجهة النظر الدينية لعلماء الفلك وفلاسفة اللاهوت من الكهنة مما يجب أن تتوافر في الثور كإله فلكى إلا أن كل هذه العلامات التى يتحدث عنها الكهنة من الصعب أن تجتمع كلها في عجل واحد وكما نفهم من ذكر سترابون فإن هذه الألوان التى ذكرها في العجل كانت الأكثر شيوعاً في لون العجل والتى يختار بها إله جديد أى كما يقول سترابون « بهذه العلامات كانوا يختارون دائماً أبيس الجديد الذى يخلف العجل الذى نفق » (١١٢) .

وقد كان الأمر يقتضى من « أهل العلم المقدسين الذين توارثوا علمهم عن الأسلاف أن يتحققوا من هذه العلامات ليتعرفوا على الإله الجديد فكانوا يذهبون إليه في موقع ولادته حيث وضعت أمه ذات الخطوة الكبرى عند الإله » (١١٣) . كما يقول ايليانوس وأنه بناء على « قوانين هرميس الأزلية كانوا يبنون له مكاناً لاقامته لفترة ما ويجب أن يكون هذا المكان مواجهاً للشمس أى للشرق ثم يجب أن يكون متسعاً بالقدر الكافى لتقيم معه المرضعات » أى أبقار ترضع العجل غير أمه طبعاً (١١٤) .

فالعجل « يجب أن يبقى على الرضاعة أربعة أشهر ثم يفطم وعند ظهور القمر الجديد يذهب الوزراء والكهنة لزيارته ثم بعد مضي سنوات يعدون له قارباً مقدساً ينقلونه فيه إلى منفيس » (١١٥) ، ويحدد بلينى عدد أفراد البعثة التى تحضر العجل إلى منفيس بمائة واحد وفى

منفيس يكون قد أعد « للعجل كل ما يتمتع به من بقرات جميلات ومرعى يمرح فيه و يتسكع ويجرى و يتمرغ في التراب ثم حظائر لبقراته الجميلات المرضعات (١١٦) ، ثم بئر عذب يشرب منه فالقثائين عليه يقولون أنه ليس مستحسناً من الجهة الصحية أن يشرب باستمرار من ماء النيل » (١١٧) . « فشربه المستمر من هذا الماء العذب يسمنه إذ يساعد على تربية وازدياد لحمه » (١١٨) .

هذا هو أبيس المقدس ورعايتهم له صحياً وتدليلهم إياه واهتمام أولى الأمر من كهنة ووزراء بأحواله ومسكنه مع أمه المقدسة ومرضعاته المرفهات عنه من أبقار جميلات وفناء يبرطع فيه كما يحلوه وحظائر صحية إلى آخر ما يحظى به من رعاية ومحافظة أليس هو رمز الخصوبة والخير في الحقل وأليست البقرة رمز الخير والرغد في البيت فأنظر كيف كانوا يجلون و يقدسون تلك الحيوانات الخصبة النافعة المغذية إنه رمز أوزيريس النيل المخصب لازيس الأرض السوداء المصرية . إنه يدور في فلك الشمس المهيمنة و يدخل دائرة أوزيريس وازيس وحورس في ثالوث الخلق المقدس انه بعث لأوزيريس جديد يرمز لخصوبة الوادى وارتفاع النيل في فيضانه من جديد مع دورة الفصول الزراعية .

فأنظر كيف كانوا يحتفلون في أفراحهم بظهور هذا الإله الجديد بين قطعان الأبقار فيقيمون الاحتفالات الدينية ويجرون الطقوس والمراسم و يقدمون له الأضاحى و يطلقون أفراحهم بهذا وتبدأ أعيادهم مستبشرين بعد حزن على أبيس الذى نفق فاذا بظهور أبيس الجديد يجدد لهم الأفراح والبشر والسعادة يرقصون ويحتفلون في الأجران فرحين مهللين بظهور إله جديد هو بعث أوزيريس في أساطيرهم وتلك قصة طويلة نكتفى هنا بشهادة ايليانوس إذ يحدثنا مشيراً إلى احتفالات المصريين ومواكب الأعياد وكيف يعم كل مدينة وقرية الفرع والسرور » (١١٩) . أما ذلك الرجل السعيد المحفوظ الذى وجد العجل المقدس في قطيعه فيعتبر « سعيداً فعلاً ومحفوظاً كما كانت البقرة الأم سعيدة ومرضىة عنها كذلك و ينظر المصريون إلى هذا الرجل نظرة إعجاب شديد » (١٢٠) .

هكذا يشير ايليانوس إلى ملابسات ظهور إله جديد هو أبيس أى احياء ذكرى أوزيريس الأبدية مما يعرفنا بحقيقة أهمية أبيس و يصور لنا حجم الجرم الذى اقترفه كل من الحاكمين الفارسيين قبيل الأول وأوخوس وهوارتكسر كسيس الثالث عندما تجرأ على ذبح عجل أبيس وقد اسماهما المصريون بالسكين تشبيها بالسيف أداة القتل والموت بسبب قسوتها وغلظة قلبيهما (أنظر فقرة ١١ = ٣٥٥) ثم لغباء ارتكسر كسس الثالث (أوخوس) ولؤمه وغلظته أسموه الحمار أيضاً (فقرة ٣١ = ٣٦٣) أسوة بست إله الشر وقد غاظه منهم هذه التسمية فرد عليهم بقوله مؤكداً أن هذا الحمار سيحتفل بأكل لحم عجلكم وذبح العجل (فقرة ٣١ = ٣٦٣) ونتيجة

لذبح أبيس يفقد الكلب أيضاً قداسته عند المصريين وخاصة عند عبدة أنوبيس فقد كان للكلب في هذه العبادة منزلة رفيعة ولكنه فقدتها وفاز باحتقار المصريين وكرههم له لأنه كان الوحيد من بين الحيوانات الذى أكل من لحم أبيس بعد أن ذبحه قبيز ورماه (فقرة ٤٤ = ٣٦٣) .

يبين ذلك مقدار ما يكنه المصريون لأبيس من قداسة واحترام كبيرين وما زادهم استفزاز الفرس لهم باحتقار أبيس وقتله إلا تمسكاً بعقيدتهم وإيمانهم بالعجل واحتقاراً للفرس واشمئزازاً من جرائمهم بتدنيس مقدساتهم ومما حدى بالأستاذ در يوتون أن يقول أن إصرار المصريين على عبادة الحيوانات كان تحدياً ومقاومة وطنية ضد الفرس وغيرهم من الأجانب .

لم يكن مسموحاً لعجل أبيس أن يعيش أكثر من مدة معينة يحددها الكهنة كما يقول بلينى (٨ / ٨٠) و يذكر بلوتارخوس أن هذه الفترة كانت مدتها ٢٥ سنة وذلك في كلامه عن العدد خمسة الذى إذا ضرب في نفسه كان ضربه مساوياً لعدد الحروف الأبجدية المصرية ثم مساوياً أيضاً لعدد السنين التى يعيشها عجل أبيس (١٢١) . كما سنرى فيما بعد عند دراسة ثالوث الخلق — ثم في نهاية هذه الفترة كان يغرق في بحيرة المعبد وكذلك يقول أيضاً Budge بادج موافقاً على أن أبيس كان مسموحاً له أن يعيش لمدة ٢٥ سنة فإذا تعداها دون أن ينفق قتل ودفن في بئر مقدس لا يعلم موقعه إلا قليل من ذوى الشأن وهو في ذلك يعتمد على ما ذكره بلوتارخوس واميانوس (١٢٢) ، وكان كل ذلك يجرى بين بكاء الكهنة وحزنهم ثم البحث عن عجل يكون خليفة جديداً له كما يروى لنا ذلك بلينى في تاريخه الطبيعى (٨ / ١٨٤ — ١٨٥) ، فيقول « يظل الكهنة على أحزانهم هذه وحدادهم عليه ويخلقون رؤوسهم حتى يجدوا إلهاً آخر يحل محل الأول ولم يكونوا يسمحون بالبحث عنه مدة طويلة » (١٢٣) ، فلا يحدد بلينى زمناً معيناً لنهاية حياة أبيس إنما يعلق ذلك على قرار الكهنة أما عن أحوال أبيس فيقول بلينى أنه كانت تقدم إليه بقرة مرة كل سنة يعنى كل سنة مرة وهذه البقرة تترين بعلامات خاصة وإن لم تكن بنفس زينة أبيس وكان تقليداً أن يبحثوا عنها ويقدمونها إليه ثم يقتلونها في نفس اليوم (٨ / ٨٨٥) وكان هذا الزواج الترفيهي يقصد به ألا يكون لأبيس سلالة لاتصلح لخلافته .

أما عن تنبؤات أبيس عما يسأله الناس من أمورهم كما يقول بلينى وكذلك كما يقول الأستاذ در يوتون بالنسبة لتنبؤات العجول الأخرى مثل ثور منتو Montiu في هيروموتيس في الكرنك (١٢٤) ، فبالنسبة لأبيس كان إذا دخل إحدى مقصورتيه المسماة بغرف النوم المخصصة لعجل أبيس وكما يذكر سترابون كانت واحدة من هذه الغرف مخصصة لأبيس نفسه في فناء المعبد (١٢٥) ، وأمامها في نفس الفناء مقصورة أخرى خاصة لأمه أى أم أبيس التى

ولدت (١٢٦) ، وقد كانت هاتان الغرفتان مصدر التنبؤات للعامة فالحجج إذا دخل واحدة منها تفاعل الناس واعتبروا دخوله فيها فالأحسن وأما إذا دخل الأخرى تشاءم الناس وتوقعوا حدوث أحداث مكدره لهم (١٢٧) .

ثم هو يعطى تنبؤاته لما يسأله عنه أحد الشخصيات البارزة الخاصة بأن يأخذ الطعام من يد من يستشيرنه وقد أعرض وأزور عن يد الامبراطور جيرمانيكوس الممدودة إليه بالطعام — وكان ذلك تنبؤاً بموته أو برحيله قريباً من الدنيا » (١٢٨) ، وكان جيرمانيكوس قد زار مصر عام ٤٩ ق . م وقد اغتاله Piso ، بيزو السورى بعد ذلك بقليل .

أما الشعب فكان يستمد تنبؤات أبيس أيضاً من عبث الصبية الذين يسرون خلف الثور أثناء نزهاته مع الكهنة المرافقين له فعند كل فرد داخل نفسه فكرة ما يريد أن يعرف مصيره وما قدر له فكانوا يتفألون بما يتفوه به الأولاد المرافقون للعجل كما يخبرنا بذلك بليني (مرتلين أناشيد المديح والتعظيم له) عندما يخرج من صومعته التى يعتزل فيها (١٢٩) ، وفجأة تنتاب هؤلاء الصبية نوبة تخرجهم عن صوابهم فيهدون فى أناشيدهم بتنبؤات عن أشياء مقبلة (١٣٠) ، وهكذا كانوا يأخذون من أفواه هؤلاء الصبية المتحمسين لأبيس تنبؤات عما يضمرون فى نفوسهم من نوايا وعندنا نحن الآن مثل « خذوا فالكم من عيالكم » تماماً كما نعرف أيضاً نحن فى عصرنا عندما كان الزار والذكر منتشرين فينشد المنشدون والمنشدات نشيدهم على ايقاع الدفوف وفجأة تنقمص الجودية (شيخه الزار) روح الجن أو كما كانوا يسمونه أحد (الأسياء) وتهذى هذياناً مصطنعاً بكلام فيه وصفة شفاء للمريضة نفسياً وكذلك رجال الذكر كانوا يفعلون كما كان يفعل الميناد اليونانيات فى عيد ديونيسوس وهن (مجدوبات) يخرفن أثناء رقصهن حول المذبح المحمل بقناني الخمر وهذين بتنبؤات وهن سكارى (١٣١) .

أما الدور الهام الذى اشتهر به أيضاً أبيس وكما نعرفه عن غيره من الآلهة المصرية اليونانية الرومانية كما سنرى ذلك تفصيلاً فهو التنبؤات العلاجية الشفائية للمرضى والتى أكدتها تلك اللوحة التى كشفت عنها الحفريات الاثرية التى قام بها الأستاذ مرليت فى صقارة أنها لوحة شفائية تدل على ما كان لأبيس من مكانة وقدرة على علاج وشفاء المرضى عن طريق التنويم والأحلام أى ما يسمى بالانكوباتيو [Incubatio] باللاتينية /وكيمسيس koimesis باليونانية فى معبد أوزيريس بمنفيس .

أما كراماته فأنظر قول بليني من أنه فى أثناء السبعة أيام التى يحتفل فيها بعيد ميلاد أبيس بمنفيس فان « أجداً من التماسيح لا يهاجم أى فرد من المصريين » (١٣٢) . إلا أنه « فى اليوم الثامن بعد أيام الاحتفال السبعة وبالتحديد بعد ظهر هذا اليوم — تعود الوحشية إلى هذا الحيوان — التماسيح — » (١٣٣) .

هذا هو أبيس بلسان كهنة مصر للمؤرخين الذين أتوا مصر لتسجيل التاريخ ولدراسة فلسفتهم ولكن المصريين لم يكونوا يجدونه إلا كرمز للقوة والخصوبة الأرض فجعلوا منه كفلاجين شعارا للالهية يحى الأرض بنشاطه وعمله الدؤوب تماما كما النيل أوزيريس ثم هو شعار الملكية عند هؤلاء الفلاحين من ملوك المصريين .

هذا هو أبيس أعرق وأشهر الحيوانات المصرية المقدسة وسيدها في العالم كله ثم هو يمتد في تقديسه وعبادته إلى عصر ما قبل التاريخ إذ صور على الباليات أى لوحات تستعمل لزينة السيدات من الشيست قبل الأسرات مقدساً بل نجماً في السماء فقد صورت فوقه أيضاً خمسة نجوم ثم يسجل التاريخ ابتداء من الأسرة الأولى الشواهد التاريخية وأولها لوحة نارمر ثم بعد ذلك حجر باليرمو من الأسرة الأولى فيذكر ايليانوس أصل عبادة أبيس من عهد مينا أول ملوكها (ملاحظة ٩٥) ولوحته تمثل مينا نفسه مندمجاً في الثور وقد ذكرت أولى الاحتفالات بعيد أبيس على حجر Palermo باليرمو وقد ذاع صيته وانتشرت عبادته في كل العالم القديم شرقاً وغرباً وأقيمت له المقصورات ملحقة بالمعابد الهامة في مصر القديمة كلها واتخذة الأباطرة الطموحون وسيلة لنشر نظرية الحق الإلهي في عالمهم الامبراطوري الروماني كما اتخذ أيضاً هؤلاء الرومان أبوالهول الإله Hor-em-akket هور إم آخت وأبوالهول يعنى باليونانية الأندروسفنكس أى الأسد ذى الرأس الآدمية وسيلة أخرى لهذا الحق فاندماج آمون في الامبراطور كان اعلاناً لهذا الحق فاندماج آمون في الامبراطور كان اعلاناً لهذا الحق الإلهي أمام شعوبهم في بلادهم وكذلك فعل الهكسوس الأجانب في مصر عندما مثلوا بجسم الأسد رمز الشمس (آمون) أما شهرة أبيس كرمز للقوة الخارقة فقد أطالت فترة وجوده بيننا حتى الآن في عالمنا الحديث في أسبانيا فقوة أبيس الجسدية وفحولته الجنسية واعجاب الناس وتقديسهم له وعراقة وجوده جعل الناس يعجبون بالشور أياً كان عندهم أو عند غيرهم ولا يفرقون بينها وبين أبيس المصري فأكرموا الثيران عندهم وأحاطوها برعايتهم كما فعلوا بعجل مثرأ واتخذوا من أسلوب مثرأ في ذبح الثور في عبادات الفرس مدخلاً لهم إلى مصارعة الثيران حتى الآن وكذلك كان الأمر في جزيرة كريت وقد انتشرت عبادة مثرأ الفارسية وعرفها الناس من احتكاك الجيوش الرومانية مع الفرس في حروبهم معهم ومن هنا اختلطت عبادة أبيس المصرية المعروفة لديهم بعبادة مثرأ الفارسية وتقاليدها هذه العبادة التي يخطف أو يسرق مثرأ الثور من حظيرته ويركبه إلى كهفه (١٣٥) Bouklopos كما يفعل الرعاة و يذبحه بأمر الإله أى الشمس فتونع الدنيا بهذه الضحية كما الربيع وتخضر الأرض و يسبب تناسخ الأرواح (النحل) (ملاحظة ١٣٠ / ٨٦) فيطلقها من أماكنها لتدخل دائرة مجال الحياة منذ وجود العالم ولكننا لا نرى نحلأ تخرج من العجل بل هو دمه وسنابل القمح المغذية في طرف ديله هي كل ما نرى (١٣٠ ص ٨٦) دليل على انبعاث الحياة في الكون و يزيد الانتاج الزراعى و يكون لحم الثور شفاء للعابدين ودمه حياة لهم وتطهيراً وبعثاً

روحياً جديداً فهو إذا ما أكل كان قوة أنه رمز البركة وسبب الرخاء والوفرة ودمه شفاء وحياة تماماً كما يفعل المصريون بعجل أبيس ضحيتهم الكبرى تمثيلاً بأوزيريس المخصب أو الشمس رمز الماء والخصوبة والنماء يخصب الأرض بمائة فيكون زواجه بازيس الأرض فينتج القمح والثمار المختلف فأنظر قول ايليانوس (١٣٥) . في اختلاف ألوان أبيس وتفسير المصريين لهذه الألوان المختلفة أن « هذا الاختلاف إشارة خفية ترمز الى اختلاف المحاصيل » وهذا وفقاً تماماً لما يظنه الفلاسفة الفلكيون من أن مشرا ذابح الثور يقف وظهره إلى برج الكبش عندما تدخل الشمس نصف الكرة الشمالي في السماء فيكون الاعتدال الربيعي فلما إن تدخل الشمس في برج الكبش (ملاحظة ١٣٠ ص ٨٥) تزدهر الدنيا في الربيع وتتعدد ألوان الثمار وتغطي النضرة الدنيا وتونع الزهور وتتفتح فتبدو يانعة في الربيع كما سنذكر ثم كما يحدث في وادي النيل من ازدهار الأرض المنبسطة بألوان ثمارها ففي مصر هذا هو اكتمال الثالوث الأزلي الماء والأرض والانتاج أو الخلق كما سنرى أما إذا مثل أوزيريس بالحبوب فيعتبر دفنه في الأرض ضحية كبرى فزواجه على هذا الوضع من الأرض فناء وتحلل له و يعد ذلك بعثاً للحياة له جديد في القمح الجديد في سنابله وإعادة خلق للكون فيما يسمى بحورس أى الحياة المتجددة في صورة نباتية رمزاً للبعث البشرى .

وهكذا يظهر تأثير العجل المصرى أبيس في روما واختلاطه بمراسم عجل مشرا (ذابح الثور) (١٢٦) ، فثرا كما يقول كونراد إله رعوى خصب وفي التقاليد المزدوية يظهر جلياً انتماء الشور إلى إله الشمس فلكياً ودينياً وهو الإله المخصب وتلك عقيدة كانت عامة في الدنيا القديمة فكان مشرا الفارس ديمبورجاً باعثاً للحياة والوفرة والبركة والثمار للأرض وللحيوان وللنساء فذبحه الشور له صلة بالبعث الربيعي للدنيا وتجدد العالم في آخر الأيام (ملاحظة ١٣٠ ص ٨٥) وواهب الصحة ومساعد على تناسخ الأرواح والحياة المباركة والثروة والنور والحقيقة والحكمة وبصفاته هذه فثرا دائماً في نزاع من إله الشر وهكذا استمد الأولون البدائيون زراعاً ورعاة من الشور الإله كل القيم التي هي سعادة البشر وهذه هي خلفية عقائد الرعاة في رعيهم وتقديسهم للعجل أياً كان يرون فيه الخير .

وعلى لوحات مشرا أى ما يسمى بالمشرايا Mithraea ذات الحفر البارز ترى مشرا بعد صراع ومخاطرات مع عجل متوحش ينزل عليه الأمر من إله أصله وتليد الخير أنه رمز إله النور الذى يعبر عنه بلوتارنجوس الإله الخفى الذى لا يسمع ولا يرى ولكنه ملئ السماوات والأرض ، ينزل على مشرا أمراً من إله الخير يذبح الثور وبعد تردد (ملاحظة ١٣٢ ص ١٤٥) وهذا التردد كما سنرى عند اليونان أمر شائع أيضاً يتصلون من جريرة التضحية بهذا الثور النافع لهم جميعاً كما كان عند المصريين القدامى فيما كانوا يسمونه بالضحية الكبرى كما سنرى بعد

قليل فليس من السهل الاقدام على القضاء على حيوان نافع هو سيد الحيوانات المقدسة وأنفعها وأجلها وأقواها .

ثم يوقن مثراً كما يقول الأستاذ Conrad بضرورة تنفيذ أمر السماء فحكمة ذلك الأمر أن الثور فدو عظيم لصالح الحياة البشرية والكون جميعاً وأخيراً يصرع مثراً العجل أرضاً ويضع ساقه على صدره ويضغط بركبته عليه وقد أمسك بغشمه وذبحه بسكين متجهاً إلى السماء ببصره يشهدها على الخضوع لأمرها وتنفيذ وصيتها إليه فيصبح هو الشمس المنتصرة أى Aniketas ذابح العجل بتضحيته لأبيه ويكون خالقاً باعثاً للحياة من جديد أى ديميجور يجدد نبض العالم في حياته في آخر الأيام بعد شتاء يابس وأما الثور فتصعد روحه إلى السماء في حمى كلب مثراً ويصبح بذلك الإله Silvanus حامى القطعان (ملاحظة ١٣٢ ص ٨٥) .

تلك كانت نظرة البدائيين من وراء ذبح الثور والتضحية به في سبيل سعادة وجودهم ولكن علاقة الثور واتصاله بعبادة كل الآلهة المخصصة في العالم ، في مصر كروح أوزيريس وبتاح وجميع آلهة الانتاج والخصوبة في العالم جعلت ذبحه تضحية كبرى لها رهبة تهز قلوب الناس ومشاعرهم فهو عندهم رمز الحياة حتى أننا نجدهم في اليونان يخترعون المواقف الدرامية يتصلون بها ارضاء لشعورهم الوهمى من جريرة ذبحه فكما يظن ويتخيل الأستاذ كونراد فيما ذكرنا أن مثراً وهو الإله الباعث يبدو متردداً في ذبح الثور ثم يدعن لأمر إله النور العلى فيذبحه وهو ناظر إلى السماء يشهده على تنفيذ ما أوصى به إليه ثم نجدهم في اليونان والثور عندهم روح وتجسيد ديونيسوس الإله الأكبر إله الخصوبة وهو في مصر أوزيريس الإله النيل المخصب .

والشور عند اليونان أيضاً يمثل الماء والأنهار الجارية في قوة اندفاعها وصوت الماء ذى التيار الجارف فيها فالثور عند القدماء ذو قوة خارقة سحرية وخصوبة جنسية وفحولة عارمة غير عادية ففي أعياد اليونان الدينية للتضحية بالثور تجرى مراسم تشبه إلى حد ما مراسم ثور مثراً الطقسية وأول ما نلاحظه في ذلك محاولة التنصل من جريرة قتل الثور فتقوم بعد التضحية بحاكم صورية لتحديد على من تقع مسئولية ذبح هذا الحيوان المقدس في احتفال ديوبوليا فيبراً كل شخص من العابدين في هذا الجمع الدينى ويقع عقاب هذا الذنب على السكين التى قطعت حنجرة العجل وهكذا كما ترى في أسلوب مثراً في هذه التضحية أنه يشهد السماء على أنه ينفذ وحى الإله الأكبر . ففي الحاليتين لا يريد أحد ما أن يقع عليه وزر قتل الثور المقدس ومن ضمن الاحتفالات الدينية في عبادة زيوس في أثينا يقام احتفال ديوبوليا ، Deopoleia وأهم مراسم هذا الاحتفال أن يذبحوا ثوراً كما في مثراً ويسمون ذلك Bauphania أى ذبح الثور فيقيم العابدون في ساحة الاحتفال مذبجاً من النحاس ويضعون عليه فطائراً وفولاً وقحاً ثم يأتون بعدد من المعجول المنتقاة يطلقونها في ساحة الاحتفال والثور الذى يقترب من المذبح ويبدأ في أكل ما عليه يكون قد اختار لنفسه أن يكون الضحية فيفصلونه عن بقية الثيران ويحيط به جماعة

العابدين لتكريم الإله الأكبر الثور (زيوس أب ديونيسوس) ومن بين هذه الجماعة فتيات
جhillat يدعون (حاملات المياه) فهن اللاتي يحضرن الماء ثم يوجد في تلك الجماعة أيضاً رجال
يكلفون بشحذ البلطة والسكين ثم يقوم أحدهم بتقديم البلطة إلى رجل يسمونه (ذابح الثور)
فيضرب بها الثور ضربة مميتة ثم يترك البلطة بجوار المذبح ويهرب إلى خارج ساحة الاحتفال
فيأخذ رجل آخر سكيناً يقطع بها رقبة الثور ثم يقومون بسلخ الثور ويفرق لحمه على العابدين
كلهم . يأكلونه نيئاً ثم يحشون جلد الثور بالقش و يوقفونه على أرجله و يضعون على رقبته ناف
المحراث كمهمته في خدمة الأرض في حياته وقد يشبه هذا تماماً في مغزاه تخنيط العجل بعد موته
بمصر واستمرار دوره في احياء الأرض وانباتها كما كان يحدث لأوزيريس بعد أن تمتصه
الأرض ماء أو حباً فينبعث منها نباتاً جديداً كحورس رمز الحياة المتجددة كما يذكر بلوتارخوس
فكرة رمزية للبعث البشرى .

وفي فارس تجدد نفس الفكرة من ذبح ثورا مئرا هي الخصوبة وانتشار الرخاء و احياء الدنيا
وهذا الخير وتلك النتيجة تجعل منه أى مئرا وثورته رمز خير وبركة ومقاومة الشر مما يثير الإله عدو
الخير فيرسل بحيواناته المؤذية للقضاء على مكان الحياة في العجل ولكن ذلك لا يؤثر في العجل أو
من استمراره في دوره بعد الحياة كما يتصورها المصريون كأوزيريس أبيس . Osirapis في
عالم ما بعد الحياة وصوروه على أحد التوابيت عجلأ يحمل جثة إلى العالم السفلى حيث تتجدد
الحياة (ملاحظة ١٣٦ ص ٨١) يبدو هذا أنه نفس دور ثور مئرا الذى يسبب تناسخ الأرواح
و يدفعها الى دائرة الكون الحيوية أى الميتانسوماتوز Metensomatose فيحنطون العجل في
مصر بعد ذبحه وبعد أن يأخذوا جانباً من لحمه يأكله الملك فيشتد ويتجدد نشاطه و يشرب من
دمه فيرتد إليه شبابه و باقى هذه الأضحية الكبرى يدفن في قدسية وهكذا كان ثور مئرا عظيماً
مقدساً أيضاً فبعد ذبحه تصعد روحه إلى السماء في حى كلب مئرا و يقدر فيها فيصبح نجم
Silvanus . راعى المواشى وحاميا (١٣٦ ص ١٤٩) .

وكما رأينا وجهة النظر اليونانية بأن يحشو جلد العجل بالقش بعد سلخه وأكل لحمه نيئاً ففيه
قوة سحرية خارقة خلقة تبعث فيهم من قوته وحيويته التى لا حد لها قوة ونشاطاً وشباباً فيهم ثم
يحشون جلده وكأنه حيا لم يميت و يعلقون المحراث في رقبته فعمل الثور عندهم مصدرا للحياة
والرزق الزراعى ودوره في ذلك خالد ما وجد العجل في الدنيا كما كان عند المصريين والآريين
الرعاة وهذا دور العجل الأزلئ في الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض .

وبعد الانتهاء من عملية البوفونيا Bouphonia أى ذبح العجل أو ما يمكن أن نسميه
باغتتيال العجل والمهرب من مكان ذبحه والتوصل من هذه الجريمة تقوم محاكمة صورية فأحد لم
يتسبب في أن يصل الثور إلى هذا المصير بل هو الذى اتجه بنفسه إلى قدره هذا باقترابه وأكله مما
وجد على المذبح ثم إن الذى ضربه بالبلطة غائب فقد هرب من الساحة واختفى من مكان

الاحتفال وتبرأ بذلك البلطة من هذا الجرم ثم توجه التهمة إلى حاملات المياه فتسرعن بدورهن بالقضاء اللوم على من يشعذ السكين و يدفع هذه التهمة عن نفسه و يتهم من قدم السكين لذابح العجل وهذا بدلاً من أن يلقي الاتهام على من ضرب الثور بالبلطة يلوم الذى قطع حنجرة العجل وهذا بدوره يتهم السكين وهى التى لا تملك كلاماً تدفع به عن نفسها هذه التهمة فتدان و يقضى عليها أن تلقى فى البحر عقاباً لها على ذبح العجل المقدس (ملاحظة ١٣٦ / ١٣٨) .

إنهم ليسوا كمثرا الديميجورج يذبح العجل بأمر إله النور وهب هو الحياة مرة أخرى فهم فى اليونان يعدون ذلك جرماً فالعجل لم يذبح بل يبدو كما لو كان قد اغتيل فقدسيته توحى بالخوف من ذبحه والتضحية به ويحاول ذابحوه دفع تهمة ذبحه عن أنفسهم أنه ضحية كبرى يخافونها لحبهم له ولكن مثرا نفسه ديميجورج يذبح الثور بأمر الإله الأول .

انه نفس دور ثور مثرا الذى يبعث الحياة فى الربيع فتخصب الأرض وتخصر بماء المطر وتنتعش وتزدهر فذبح الثور كما يفعل مثرا وكما يفعلون فى مصر من أيام ما قبل التاريخ وفى اليونان وأرض الجزيرة وعند الساميين وفى الشرق الأوسط ضحية كبرى والتضحية به تضحية بمصدر هام لحياة البشر ولكن ليس ذلك جرماً يطغى الشعور به على فاعلوه فقد ظلت أثينا كما يقول كونراد (١٣٦ ص ١٣٨) ظلت أثينا ألف سنة تحتفل بعيد Bouphonia فى وقت قمة الجفاف كل عام و يضحى الاثينيون بالعجل رمز الخصوبة الأزلى معتقدين أنه تجسيد زيوس الأب ملك السماء ومرسل المطر وهذا ما يفعله الساميون وفى كل مناخ يعتمد على المطر وانهم بذبحهم الثور فى هذا العيد يرجون زيوس ويتوسلون الله أن ينزل عليهم المطر فيخصب الأرض فى هذه الفترة القاسية من السنة فالرطوبة هى الحياة (١٣٦ / ١٣٨) عند المصريين واليونانيين كما عند الساميين والعالم أجمع قديمه وحديثه فللثور إذن مكانة خاصة وتقديساً عظيماً له حتى أن زيوس يمثل وعلى رأسه قرنان فهو عندهم ثور السماء كما كان رع ثور السماء فى مصر ومن أكل لحمه امتص جسمه قوة العجل وحيويته وفحولته الجنسية الخلاقة ولا سيما وأن الثور شىء هام جداً فهو بالنسبة للفقير كالعبد عند الغنى وسوء تربة اليونان وشح أرضها وقلة رزقها يجعل للثور عندهم نفعا عظيماً فيحصلون بخدماته وقوة احتماله من الأرض على أكبر قدر وأوفر محصول يستعينون به على الحياة كما يفعلون بالنسبة للجدى المقدس عندهم ويستغلونه كما يفعلون بالبحر الذى يعيشون عليه و يقدسونه كمورد رزق يجزره المتعددة وجعلهم مواطنين عالميين فى العالم أجمع . وقرون الثور التى تتركز فيها قوته والتى تزين مع جبهة الثور كما فى أسبانيا واجهات المعابد ولها أيضاً قوة سحرية تدفع الشر وتبعده وتوحى بالقوة والشجاعة وارهاب الأعداء ولذا فقد تزينت بقرون الثور رؤوس الآلهة والأبطال والمحاربين كذلك فإن قرن الثور رمز للبركة والوفرة كخصوبة الثور ووفرة انتاجه الحيوانى والزراعى Cornucopiae وهى رمز للحياة كعلامة عنخ عبد المصريين القدماء وذلك لأن الثور (أبيس) يحمل علامة تدل على موعد

الفيفضان الذى هو حياة المحاصيل والمصريين جميعاً ، بالاضافة إلى أن كونراد (٧٦) يعطينا تفسيراً لعلامة عنخ هذه إذ يرى أن هذه العلامة مكونة من عضو تذكير الرجل المسمى بالهندية Linga والرحم أى بالهندية Yoni . تماماً كالحرية ذات التلاشعب بشكل عضو تذكير الرجل عندهم علامة الانتاج الجنسى المائل للإله Shiva أى الإله الثور الكامنة فى الثور نفسه (٧٦) وهذا الإله الثور الهندى كما تقول الخرافة ينبع من رأسه نهر الجانج Gange وهذا تماماً كما فى تقليد مصر واندماج أوزيريس النيل بأبيس وهذا القرن الذى يرمز الى البركة والرخاء والوفرة كثيراً ما نجده على الأنواط الذهبية والفضية التى تضرب لمناسبة تألية الحكام مثل عملة ارسنوى فلاد لفوس الذهبية والفضية التى أخرجت لمناسبة تأليها بعد موتها ثم نجد على النقود أيضاً فى يد الآلهة والآلهات وخصوصاً مع إله النيل الممثل على عملة الاسكندرية الامبراطورية فى الثلاث قرون الأولى الميلادية أما عند اليونان فقرن الوفرة كان قرناً للعزأمالثيا Amalthia التى كانت ترضع الإله زيوس ثور السماء ومرسل المطر أيضاً ثم أصبح القرن ينطبق على كل ما يشبهه حتى قرنى هلال القمر الذى هو أيضاً ثور السماء ذو الانخصاب المهيمن على كل انتاج وكذلك مثل حورس حاملاً قرن البركة أيضاً .

وهكذا فقد تجتمعت فى الثور كل مراسم احتفالات الانخصاب فى العبادات المختلفة فقامت الصلة بين الثور والإله مين Min (الإله الثورمين) ، ففحولة الثور وقدرته على النسل نشهد بها فى مصر آثار كثيرة ففى طيبة اكتشفت فى مقبرة جثة سيدة محنط معها عضو تذكير الثور وقد كان ذلك أيضاً دور زهرة اللوتس السحرى لشفاء العقم باستحمام النساء فى بحيرات ينمو فيها اللوتس فقد وجدت جثة سيدة فى مقبرة بين فخذيها زهرة اللوتس (ملاحظة ٥٤ / ١٩٧٣) .

وقد شهد وأيد دور الثور فى الشفاء من العقم ووفرة النسل عند النساء المؤرخون القدامى ايليانوس وغيره فيما ذكرنا إذ رووا أن الكهنة كانوا يسمحون بمثول النساء عاريات أمام عجيب أبيس مدة وجوده لأربعين يوماً فى معبد النيل قبل وصوله إلى منفيس كما ذكرنا فرمزية القوة الخلاقة الخارقة للثور الإله وقدرته الجنسية الهائلة كانت مع صفة الألوهية أى التعبد أو العبادة رابطتان تجمع الملك بالثور فى ثالث الحق الإلهى الذى يتمثل فى الملك الفلاح ملك الرعويين فى مصر القديمة منذ فجر التاريخ أى الملك والثور والإله فبما أن الملك هو الثور فهو أيضاً إله وهذا هو الحق الإلهى الذى استمد منه الاسكندر الأكبر حكمه الإلهى من مصر بتقديمه الأضاحى لعجل أبيس ارضاء للمصريين وارضاء لطموحه أن يكون كوزموقراطى أى حاكماً عالمياً مهيماً على هذا العالم القديم .

فصر منذ آلاف السنين كان للملوك فيها وضع الآلهة بين المصريين وكانوا أى الملوك يوصفون و يتمثلون بالثيران فالملك الثور كان رمزاً للقوة والحياة الخلاقة والانخصاب والخير تماماً كالثور روح أوزيريس الحية (النيل) وهذا الجبروت إذا وجد وجدت معه الألوهية والملكية مما

أدى إلى التكوين الثلاثى الثور الإله الملك وفى ذلك يرى كونراد (١٣٦ / ٧٢) أساس الحضارة المصرية منذ الدولة الأولى وتلك نظرية صائبة تماماً .

وذلك أيضاً أساس تمثيل أبوالهول أى الأندروسفنكس Androsphinx أى الأسد برأس انسان فالأسد رمز للشمس والقوة الخلاقة وفى مصر كما نخبرنا بلوتارخوس أن الشمس عند أول اتصالها ببرج الأسد Leo ليو تظهر نجمة اريس صوثيس أى نجمة الكلب سير يوس اليونانية باعثة الفيضان مطره (بلوتارخوس) (فقرة ٣٨ = ٣٦٦ أ) و يرى فى ذلك Loeb سبباً لتزيين أبواب المعابد برأس الأسد رمز الفيضان لنبل الخلاق ولذا فان اندماج الأسد رمز آمون بالملك يعادل التكوين الثلاثى الثور الإله الملك أو ثالوث الحق الإلهى لفرعون مصر وحاكمها الذى اتخذ الاسكندر وغيره من الأباطرة الأجانب الذين وصفوا أنفسهم بالثيران متخذين الآلهة المصرية الحجة لاقتناع شعوبهم بقبول نظرية الحق الإلهى أو الحكم الثيوقراطى وكان ذلك أيضاً سبباً فى عملهم على انتشار الديانة المصرية فى امبراطورياتهم .

وكان من اندماج الثور وتمثيله لكل آلهة الخصوبة أن تجمعت وقامت به الاحتفالات التى تقام للإله مين كما ذكرنا ممثلاً للإله المخصب الأكبر وهو ثور هو الآخر فكان يتحرك موكب كبير فى عيد الحقول على رأسه العجل الأبيض والملكة والملك وتتبعهم أعلام وتمائيل الآلهة ثم تمثال للإله العجل يحمله الكهنة على أكتافهم فاذا وصل الموكب إلى نهايته يقدم الملك بعض النباتات للعجل وربما كان ذلك اعترافاً للعجل بفضل له لموسم وافر النتاج ثم يجتمع الملك بالملكة اجتماع تزواج رمزاً للانتاج فالملك هو ثور الملكة المخصب الأكبر وهو أب الحياة وواهبها (١٣٦ / ٨٥) كالنيل الثور أيضاً ، فالحياة فى الحقل وعند البشر ثم البعث تتمثل فى النيل الذى يتضاءل إلى أقل مستوى ثم ترد إليه مائه بانتظام مرة كل عام فيفيض على الدنيا بالحياة والرزق وكذلك رجع الشمس ثور السماء التى تغرب وتعود يومياً من المشرق جديدة المولد صباحاً فيذب نورها وتتبعث الحياة حرارة وقوة و يصحو الناس فى القرى والحقول ببعث آخر يوحى عملاً وفكراً وانتاجاً أى حورس ثور السماء الذى هو « زوج لأمه التى تلده مرة أخرى » ولذا سمي « عجل أمه التى تحمل منه وفيه أمه » و يعلق كونراد على ذلك (ملاحظة ١٣٦ / ٨٦) بأن هذا الشذوذ بمضاجعة الأمهات والاخوات والبنات إنما هو غير شرعية دنيوية سياسية كان انعكاساً واضحاً فى التقاليد الملكية ولكن ذلك كان على خلاف مبدأ كمبدأ الوحدةانية التى لا تنقسم عراها والتى هى أساس ثالوث السماء — غير الزواج الدنيوى تماماً من أول العصور إلى آخر عصر البطالمة فى مصر وكان أيضاً سارياً بين حكام الأقاليم المصرية فكان زواج الأخ من أخته « جفط لدم أولاد الشمس » الملكى الإلهى .

وهكذا كان عجل أبيس من وجهة النظر الدينية يؤكد البعث والحياة الجديدة مصحوباً بعبادة وتقديس الخضرة واخضرار الأرض الدورى أى الزراعة التى يحياها أوزيريس الذى

نشأت عنه عبادة سرامبيس في العصر المتأخر فكان ذلك في نظر المصري القديم ولادة وحياة للزرع والحيوان والنيل والشمس وللملك جديدة وبعثاً وكل ذلك من الأسرار التي يمكن تفسيرها من ناحية قوة الثور الخلاقة الهائلة ثم يقول كونراد أن هناك وحدة أساسية تجمع الحياة والموت ثم الحياة مرة أخرى أي البعث هي دوائر قوة كبرى في مصر الشمس والملك والنيل والزرع والماشية فشكل واحدة فيها قوة قابلة للموت ولكن قوة الثور الجنسية تديم دائماً حياة الماشية وتزيد في تنمية القطعان رغم تعرضها للذبح والهلاك فالخصب الأكبر وأهم نموذج للاخصاب هو الثور فكان أبيس هو الذي يمثل هذا العجل المخصب كاله النيل مخصب الأرض وواهب الحياة بمائه الذي يولد نفسه كالشمس والليل في دوران الشمس اللانهائي يومياً وعلى مدار السنة الزراعية . و يقول كونراد أنه في كل صباح عند الفجر أي اللحظة التي يسميها المصريون « ساعة العمل » في هذه الساعة عند الفلاح المصري كان الاعتقاد السائد أن بعثاً جديداً يكاد يظهر بشكل ما من انتاج فحولة العجل ومن قوته الخلاقة في العمل وتلك عقيدة باقية إلى الآن من عبادة الشمس واستقبال الشروق بالأمل والنشاط الجاد في العمل والاستبشار بدورة حياة يومية بانجاز أعمال الحقل وكان ذلك بطبيعة الحال مرتبطاً بعبادة العجل الذي يمثل القوة الخارقة الفذة والذي ارتبط كما عرفه الناس بعبادة أوزيريس النيل الخلاق إله المواسم الزراعية الدورية التي أوجدت عبادة سرامبيس في العصر البطلمي فكان المصريون يتمثلون في العجل القوة الهائلة في الانتاج الزراعي واخصاب الأرض بالجهد الشاق وكان القاسم المشترك الذي يرون فيه دورة الشمس والنيل وبعث الملك والنبات والحيوان فالكل ثور ومن أبنائه وهو ممثل لهم جميعاً وواهب الحياة لهم .

فأنظر إلى مشرا إله الشمس الفارسي الذي يذبح الثور فدواً عظيماً يذهب به الجفاف وتخضر الأرض وتونع الأزهار وتثمر الزراعة وتلد القطعان ويذهب العقم عن الناس ويحل ربيع مزدهر يحل فيه الرخاء كما عجل أبيس الذي يفتدي به فاذا هو الضحية الكبرى والذبح العظيم كأوزيريس الذي تمتصه الأرض أريس ماء أو حبوباً فيفنى فيها فاذا به يبعث قمحاً جديداً ونباتاً أخضر فيه حياة للناس ورزق لهم . كما نجده ممثلاً في آخر ذيل عجل مشرا وهذا شبه كبير بين الضحيتين في مصر وفارس فما أشد أثر تلك التقاليد المصرية على غيرها في منطقة الشرق الأوسط وتلك معجزة عند المشتغلين بالأرض أساسها قوة الثور الذي يذبحه مشرا مستلهماً أمر السماء بذلك فاذا ما أرسل إله الشر رسله للقضاء على مكان من الحياة في الثور لا يؤثر فيه ولا تنال منه انها معجزة البقاء الدائم في عجل مشرا وأبيس بعد ذبحه كما كان يحاول المصريون بتحنيطهم الثور الإبقاء على أبيس بعد موته أي التضحية به ليصير في الحياة الثانية أوزيريس وهكذا كانوا يتمنون له الدوام بحيويته وبجبروته الذي لا يكل عند المصريين وعند الرعاة من الفرس والذي تنسبت من جسم الثور وبدمه كل النباتات التي يجد فيها الناس نفعاً كثيراً فمن عموده الفقرى عند طرف ذيله تنبت سنابل القمح أساس حياة الانسان .

أليست هذه صورة تامة لعبادة وعقيدة مصر في العجل الذى هو قاسم مشترك أعظم في عقيدة
الرعاة والمشتغلين بالأرض في العالم كله ثم ترتفع روح العجل الى السماء يحميها كلب مثراً
Psychopompos ثم يكرم في السماء كأبيس الأبدى عندما يصير أوزيرابيس
فيصبح ثور مثراً سليلفانوس Silvanus حامى الماشية والغاب كما هو عند الأسبانيين
خاصة .

فحب الناس للعجل وتدليلهم المستأنس منه كما يفعل هواة الخيل الذين يرون في وجود
الخيال في بيوتهم عزاً وعظمة أما الرعاة والمزارعون فالعز عندهم الثور يرون فيه الخير والبركة
والرخاء ولقوته التى لا حد لها يعتبرون الانتصار عليه عظمة وشجاعة ما بعدها شجاعة وفي ذلك
بحال يظهر في بطولات مدوية في اصطلياد المتوحش من الثيران واستئناسها وترويضها
بركوبها في براريهم ويتفاخرون بشجاعتهم في مصارعة الثور والانتصار عليه أنه عندهم رمز لكل
ما هو حسن وجميل وشر أيضاً ثم يظهر أبيس في العالم الغربى بعراقته وما يتمثل فيه المصريين من
قداسة حتى لينتسبون اليه أبناء وذرية ثم يدخل إلى هذا العالم عبادة أخرى للثور مشابهة لأبيس
هى عبادة مثراً الفارسى بطقوسها ذبح الثور بعد اصطلياده أو سرقة من حظيرته ثم مصارعته وذبحه
بأمر إله الشمس فهذا الحيوان في تلك الطقوس الفارسية رمز الخير والرخاء وذبحه هو انطلاق
للخير وللرخاء فيأتى الربيع ويعم الخير ويكثر الرزق بحلول هذا الربيع الأخضر اليانع .

فيتطور اعتزاز الرعاة للعجل وتتمشى تقاليدهم مع تقاليد دينية واردة من مصر وفارس فيكون
اصطلياد العجل ومصارعته في المدرجات ثم يخذون من ذلك ملهاة يتسلون بها كما كان قديماً
ويتفاخرون بالانتصار عليه أسوة بمثراً « مصارع الثور الإلهى » الذى يقدم « الفدو الكبير »
وهكذا يرى هيرمان استمرار عجل أبيس في أسبانيا في مصارعة الثور Toro كما قدمنا
فتنتشر مصارعة الثيران وإذا بهم في الحروب يطلقون الثيران المتوحشة كالفيلة في الهند في
هجومهم قوة لا قبل لاعدائهم بها .

كانت غريزة قوة العجل الانتاجية نسلًا وعملاً في الأرض ونفعه للناس هى الرؤية
الصحيحة للواقع الملموس كما نراه نحن الآن وخاصة في الأوساط الزراعية وانتاج اللحوم خاصة
عندنا رغم ميكنة وسائل الزراعة الحديثة كانت كل هذه الصفات عند الأسبان في مراعيهم التى
يرتفع فيها الأبقار قديماً كما كانت أيضاً عند المصريين في مراعيهم خاصة في سخا بكفر الشيخ
وهى عاصمة الاقليم السادس في الوجه البحرى قديماً في العصر اليونانى الرومانى ، هذه الفرائز
كانت معروفة وكانت سبباً في تقدير العجل والاعجاب به والاهتمام العظيم الذى يوليه العجل
والأبقار عامة مما أدخله في عقائدهم وذهب بين الناس جميعاً في الغرب واعجبوا به وتهافتوا على
مجنالات عرضه في الألعاب والمصارعة حتى أنه دخل عنصراً مميزاً له مكانة خاصة في فنونهم
الرفيعة كالباروك فتمثلت مقصورة أبيس في هذا الفن الرائع بشكل مديح دلالة مصرية أصل

أبيس العجل المقدس الدينى وقد اعترض الأستاذ هيرمان فى هذه العصور المسيحية على ذلك بقوله أن هذا التشكيل لمقصورة أبيس لا معنى له وذلك صحيح بالنسبة لوجهة النظر المسيحية ولكننا لا نجد فى هذا التكوين لمقصورة أبيس مساساً بالمسيحية إذ أنها قد شكلت على غرار تمثيل أبيس المقدس وأمامه المذبح الذى نجده ونراه بكثرة ممثلاً على النقود اليونانية الرومانية أى نقود الاسكندرية المضروبة خاصة بمصر فى الاسكندرية على مدى الثلاثة قرون الأولى الميلادية وهى نقود وثنية ثم أيضاً نرى مثل هذا المذبح أمام أبيس على النقود الرومانية التى ضربت خارج مصر فى روما وغيرها من المدن التى بها مضارب للعملة الامبراطورية فى عصور الردة عن المسيحية بعد انتشارها وهذا من الوجهة التاريخية دليل على مصرية الثور وأصله الدينى وصدق تصور ذلك فى فن الباروك .

أما أن هيرمان يعيب على عائلة يورجيا الأسبانية تقديسها للعجل Hochschätzung بالنسبة لأنها عائلة دينية بابوية فيها البابا الاسكندر الرابع بالذات كما سنفصل ذلك فما وصفه هيرمان بأنه تقديس Höch-schätzung أو تقدير ليس إلا إعجاباً واعزازاً وشغفاً عظيماً بالعجل كاهتمام الهواة بما يهون كرمز للقوة التى تفوق شجاعة الآلهة قديماً ، والبشر الذين يقاومونه بعد أن دخلت التقاليد فى اللعبة الشعبية بعيدة كل البعد عن أصولها الدينية القديمة . تماماً كما نرى الآن بين الناس وقديماً جداً فى اليونان من مصارعة الديكة وشغف الناس بهذه المصارعة حتى لقد استغل ثميستوكليس Themistacles هذا العراك بين الديكة فى استشارة حماس وشجاعة مواطنيه ضد الفرس قبل معركة سلامين معرضاً إياهم أن يقلدوا هذه الديكة للدفاع عن حريتهم فى اصرارها على الاقتتال لمجرد لذة الانتصار وكانت أقوال ثميستوكليس هذه سبباً فى إقامة حلقات مصارعة الديكة كل عام فى ساحة ثياترون (مسرح) أثينا على حساب الدولة فيتعلم منها الشباب كيف يكافحون حتى النهاية (١٣٧) كما يقولون فلم يكن فى ذلك الشغف والهوى التى سجلتها اليونان على نقودها بهذا النوع من المصارعة أى مغزى أو دافع دينى .

لم يكن الثور فى مصر فقط ذا معنى عظيم ورمزاً سامياً بل كذلك كان خارج مصر معبوداً مشتركاً أعظم فى دنيا الزراعة والرعى بين البدائيين فاليك ثور مينوس ملك جزيرة كريت المسمى مينوتور Minotaurós وكيف كانت عبادته هامة جداً شهدت بها كثرة صور صراعه ومكان اقامته الذى يقيم فيه اللابيرنثوس Labyrinth وقد فاضت بكل هذا النصوص الأدبية والأشعار الدينية وكانت الأصاحى التى تقدم لهذا العجل الخرافى كلها من البشر ثم أن الثور رغم مكانته الجليلية بين الناس فى كل مكان كان يقدم ضحية وكانت طبيعته عند اليونانيين تشبه تماماً طبيعة أتيس Attis وأدونيس Adonis أى طبيعة الآلهة التى تنطلق بالموت قواها لنفع البشر فطبيعة الثور الخرافية ذات فوائد جمة للبشر يهبها الثور أيضاً بموته

للناس فأصبحت بذلك البلطة ذات الحدين مع رأس العجل عند البدائيين رمزاً دينياً (كوك
الثنائي ملاحظة ١٣٦ ص ٥٢٨) فالإله الذى يقدم الناس من أجله الأضاحى يقدم نفسه للبشر
ضحية . فالثور يحتوى على قوة كامنة إذا أطلقها بعد ذبحه اعتبرت إنباً له و يتصور البدائيون جميعاً
أو كثرة منهم أن هذا الإبن الذى نتج عن ذبح الثور كان بهيئة البشر (جود إنف ٧/٧٩) .

وقد تنطبق هذه الفكرة أيضاً على التصور المصرى فاعتبار الثور تجسيداً حياً لروح أوزيريس
(النيل) المخصصة كما ورد فى بلوتارخوس ثم حورس بن أوزيريس وتكون هذه الفكرة قد سقطت
هذا التصور المتأخر فى عقيدة الشعوب الأخرى وهكذا نجد العجل منذ أول التاريخ عند القدماء
حتى عصر الامبراطورية الرومانية مصدراً أصيلاً للحياة الأولى والعالم القديم أى من بعد مصر
عند الفرس وعند اليونان فالإله زيوس اليونانى ثور وديونيسوس إله الطبيعة المنطلقة ثور
وبوسايدون إله البحر ثور كما أن كل إله عند القدماء كان ثوراً فى قوته الخارقة فعند موت
العجل كما قدمنا تنطلق حياته لخلاص البشر فأنظر كيف يسمى سويداس المؤرخ الفقيه اللغوى
عضو التذكير والتأنيث فى البشر بالثور المخصب المنتج بدون توقف أنه رمز للحياة ثم أن دمه ولحمه
عند المصريين والفرس عطاء للحياة وللجنة والعافية للأبطال فمثل ذلك فى مصر مجسماً فى
أوزيريس وفى اليونان فى ديونيسوس يفتيان فى الأرض بذراً وماء وهذا يرمز لرجوع الإلهين
وبعثهما ثانية فى شكل نبات أخضر جديد فيه الحياة للناس وقد شبت أمواج البحر أيضاً بالثور
فى قوته وصوته وفى اليونان وإيطاليا يشبهون الأنهار باندفاعها وصوت مياهها بالثور وكذلك
الأمطار فكانت الأضاحى للماء ثيراناً وفى مدينة أفسوس بآسيا الصغرى كانت تقام سنوياً
احتفالات مصارعة الثيران مع بعضها تناطحاً ثم مع الرجال ركوباً وألعاباً بهلوانية وذبحاً و يقدم
للناس الخمور فى هذه الحفلات شبان يسمون الثيران (جود إنف ٧/١٦ Goodenough)
وقد ورد ذكر المناطحة الثيران المقدسة بمنفيس مثلاً فى المعابد المصرية وهذا أمر طبيعى فحيثما
توجد الأنعام تفرض طبيعتها هذا العنف بينها كما يحدث ذلك مع الخراف والماعز أيضاً وفى الطيور
الديكة وغيرها .

وفى مدينة اليس Elis باليونان كان النساء فى المعبد يتوسلن إلى ديونيسوس أن
يحضر اليهن بأرجل الثور رمز القوة الجنسية المخصصة وكانوا فى اليونان — كما ورد فى بلوتارخوس —
يصنعون تماثيل الإله ديونيسوس بشكل ثور ثم إن البلطة ذات الحدين كسكين مشرا التى يذبح
بها الثور شعارات مقدسة فلكية وهى أيضاً أى سكين مشرا كانت تشبه سيف آرس أو مارس إله
الحرب وقد استمر مشرا يذبح الثور فى طقوس عبادته حتى القرون الأولى الميلادية فيحى بذبحه
الدنيا من بشر وجماد وهذا هو المعنى البدائى والمغزى من هذه العملية أى
Tauroctonie فالإله يهب نفسه من أجل أحياء المخلوقات والطبيعة وهكذا كان

أوزيريس يتحلل و يفنى في الأرض وقد تجسدت روحه الحية بشكل الثور الإله الكبير فقد
خصص لمثرا منزل الاعتدال مستقراً له في الفلك خاصاً به ثم هويمسك سكيناً وهي علامة البرج
المفضل آرس (ملاحظة ٤٧) إله الحرب أى برج الكيش ثم يمتطى مثرا ثور أفروديت لأنه هو
مثرا كثور حقيقى يكون ديمبورج وسيدا للخلق (١٣٤ / ٥٥ ملحوظة ٤٧) فالثور عند مثرا هو
نفس الضحية الكبرى أو الفدو العظيم أى أبيس ملك الحيوانات المقدسة ومثرا بذلك يكون هو
الشمس عندهم أى الديمبورج عقل الكون المدبر وهو المشرع Nomothetes
نوموثيتيس وعند الفلاسفة البيتا جورين هو الذى يعيد زرع و يبعث كل ما غرسه الإله الأول
الأب الخفى فهو الروح الحية للإله الأب الكبير .

وفي التقاليد المشرقية كما في مصر نجد أن دم الثور غذاء الحياة والخلود Natus
Aeternus (البعث الخالد) ففي هذه التقاليد المشرقية يموت الرجل عندما يدفن
فاذا أريق عليه دم المعجل ولد إلهاً جديداً فثرا عند ليكورج وكيكرو Cícero
الخطيب الرومانى متبعاً في ذلك أفلاطون يكون ديمبورج Demiourgos إذ يقول عنه هذا
الخالق الثانى المنوط به تناسخ الأرواح وإعادة تجسيدها كالثور خالق (ديمبورج) وسيد الازدهار
والنماء والخلق (١٣٤ / ٧٧ ملاحظة ١١٨) .

أما الديمبورج أى الخالق الثانى أو الباعث عند نوميونيوس الأفلاطونى الحديث فهو الذى
يكمل المسيرة لنا عندما تنحط المدارك إلى الخفيض فهو كوسيط يقوم بدور الرسل في الديانات
السماوية فينقذ البشر عندما تضل العقول سبيلها في ظلام البصيرة وهذا يتفق ونزول الرسل
و بعث الأنبياء في الديانات السماوية الذين أرسلوا رحمة للعالمين صدق الله العظيم بالهدى والحق
لانتقاذ العالمين من الجاهلية التى يهيمون في ظلماتها وهم النور الذى يرشدهم إلى الصواب
والابتعاد بهم عن تيارات الكفر والضلال وهديتهم إلى السراط المستقيم السوى واهدائهم الخلق
العظيم ذلك في الأديان السماوية دور الرسل والأنبياء صدق الله الذى ليس له كفواً أحد ولكن
ذلك عند الوثنيين هو دور الديمبورج كما سترى .

فعند نوميونيوس Nomenius يدخل مثرا بدبجه الثور الأرواح الى عالم التكوين
Genèsis فهو يكمل المسيرة ومن ذلك نجد أن التضحية تنقذ البشرية من أن تلقى
شقاءها فقدم العجل فدواً كما ذكرنا وغذاء للعقول ، وهذا الدم الخالد المخلد يحفظ الروح من
التورط في حياة بشرية أخرى ولعمري تلك فلسفة مصرية فالأضحية تساعد الروح على الدخول
في الحياة الأخرى الخالدة ومن هنا تظهر نظرية أن الآلهة جميعاً كانوا بشراً خيرون نافعين للناس
رفعوا إلى السماء بعد موتهم فأصبحت أرواحهم نجوماً فوقنا فأنظر قول نوميونيوس ومطابقته مثرا
فلكياً مع الأبراج السماوية فقد خصص له مكاناً خاصاً هو وضع الاعتدال .

أما ايوبول Eubule فتبع زرادشت في القول بأن مثرا هو الإله الخالق لكل شيء وهو الذى صنع العالم بذبحه الثور الذى يحتوى على أسس الحياة وجرثومتها ثم أن الثور عند اتباع مانيكانوس له دوره كالروح الحية التى تحمل في طياتها المقاومة والمناهضة كما كان عند اليونان والرومان وكما الشور في مصر الذى يحمل في لحمه ودبه وأعماله حياً قبل التضحية به وبعدها جرثومة الحياة والبعث ومثرا بركوبه الثور أى في برج الثور الذى يطيب لأفروديت النزول فيه ، يلي مباشرة برج الكبش وبذلك يصبح مثرا في رأيه ديمورجاً مثل الثور تماماً .

أما مثرا الكوزموقراطى الذى وحده اليونانيون مع إله الشمس الذى لا يقهر Sol Invictus فيمثل العنصر المذكور للشمس (١٣٤ / ٧٩) .

والشور يحتوى على مادة الحياة وهذا ما قصد به الأرواح أو النحل فالدم الذى تشربه الحيوانات المثلثة على لوحات مثرا ذابح الثور أى المثرايا Milhraea يرى فيها الفيلسوف الأفلاطونى المحدث نومينيوس حياة المادة فثرا عنده هو الإله الثانى أو القرين أو الإله الآخر المشابه المكرر Dittos باليونانية أى القوة التى تحيى المادة من جديد يعنى تبعثها حية كما يقول Ptolmèe Valerianis فاليريانوس بطليموس .

كما يفسر ذلك تيزركان (ملاحظة ١٧٢) (٨٠) أنه « أعطى الحياة للمادة والروحيات » ومثرا ذابح الثور يعتبر عند البيلاجوريين والأفلاطونيين المحدثين صانع هذا الكون كله أو خالقه كما يقول نومينيوس وهو عند بطليموس فاليريوس مشرعة أيضاً أو المقنن إذ أنه يغرس في كل واحد ما سبق أن غرسه فيه الإله الأب الخفى وهذه هى مسئولية الديمورج أو الإله الآخر أو الثانى أو الوسيط Mesites المتوسط ابن الخير كله أو هو الخير الذى يعاديه الشر في شخص الشيطان المخادع فهو ديمورج أى في الأساس الإله العادل الذى ينظم الكون كله ومن هنا أمسك مثرا أحياناً في يده الكرة الكونية Globe دلالة على هيمنته المطلقة على العالم أجمع وهذا ما كان يتشبه به الأباطرة أى بمسئوليتهم عن العالم كله كما كان يعتبره جوليانوس المرتد أنه الشمس التى لا تقهر المهيمنة أو الكوزموكراتية كذلك كان عند الرومان .

وعند بلوتارخوس كان مثرا وسيطاً بين العالم النوراني العلوى وبين عالم الظلمات السفلى انه هرمس اليونانى أو في مصر الإله توت Thot ثم هو هيلبوس ايولون أو هرمس عند انتيوخوس الأول ملك سوريا ثم عند الكلدانيين هو وسط Mesos في سجل مجموعة الأفلاك وفي خط سير الكواكب ثم أن الشمس تبث النشاط الحيوى في الكون فثرا بذبحه الثور ينشر الحياة وينثر الأرواح في العالم المادى (١٣٤ / ١٩ — ملحوظة ٣١) .

أفرايت كيف عايش أبسح بعراقته وأصالته كل منطقة الشرق الأوسط والبحر الأبيض

المتوسط وهى منطقة عبادة العجل بكل شعوبها ودخل حياة الغرب القديم سياسياً ودينياً وشعبياً خاصة حتى عصرنا هذا وكيف كان اعجاب الناس باصالة وفلسفة الديانة المصرية واقتناعهم بها حتى اتخذوا من الثالوث المصرى فلسفة لديانتهم وظلت حتى الآن بعد أن طورها اليونان وفلاسفتهم وأصبح الثالوث المصرى أساساً لأروع وأسمى أشكال الطبيعة الإلهية كما سئرى وقد تطور ذلك على يدى الفيلسوف الأفلاطونى المحدث جامبليكوس Jamblichos السكندرى فى القرن الرابع الميلادى فظهر ثالوث عقلى أو روحى من الأب ثم القوة Dynamis الروحانية المرشدة أو الأم الطباقة الوسطى ثم العقل الأبوى المدير للكون والمقنن له والهادى فيه أى الابن (زيوس) .

وقد احتفظ العالم كله بأبيس ووحده بكل ثيرانهم المقدسة نتيجة تلك الذكرى البالغة القدم ذكرى التصور الأزلئ التى كان فيها العجل عماد حياة المصريين ومغوض ضعفهم ومحدود جهدهم وقدرتهم على الانتاج الزراعى بجانب فحولته فى الانتاج الحيوانى وحفظ النوع والبقاء الذى من أجله قدسوه فى عبادتهم له لينالوا منه تلك القوة وهذه الفحولة فيصبح فى تصورهم روح أوزيريس الحية الزارع الأول والإله النيل المخصب منتج الزرع وواهب الكثرة والوفرة فى الرزق ثم يأتى على غزاره مئرا عند الرعاة فيمثل نفس الدور متأثراً بالخرافة المصرية فيتخذ مئرا من الثور وسيلة لالاخصاب والفيض العميم فى القوت والحياة الطبيعية ورمزا للبعث والحياة المتجددة فيجعل من العجل فدوا عظيما كما كان فى مصر يجلب الخير والرخاء والحياة بعد قحل وموات (١٣٤ / ١٧٦) .

فبعد ذبح العجل يولد أول آدميين آدم وحواء (١٣٨ / ١٧٧) وقد قاوم مئرا البلاء والنار اللذين أرسلهما عليهما أهرمان وانتصر عليهما مئرا فى إبطالها فأهى مهمته على الأرض كما يتصور ذلك جرانت فثور مئرا وذبحه المرسى إذن يصور البعث والخلق الجديد ثم هو يحمى هذه الحياة من الشرور كما يرى جرانت وغيره من المؤرخين لابل هذا كان دور الثور فى كل العالم الشرقى والغربى القديم وقد وضع اثر هذا على فكر الناس فى الامبراطورية الرومانية فيما انتشر من الرسومات والتمايم لصراع مئرا والثور حتى لئرى بيننا صورة من آثر ذلك ظاهرة بوضوح فى الفن المعاصر إذ يمثىل تمثال ثيسئوس البطل الأثنئى وهوى ذبح المئنتور أى ثور مئنتوس فى الخرافة الكريتئية اليونانية بأسلوب مئرا الفارسى وبشكله وتكوينه المختلط من الفن الفارسى والفن الحديث فى حديقة التويليرى ببازئس وقد كان يومئى أول من أدخل تلك العبادة المئروية ومصارعة الثور التقليديئة فى روما ثم انتشرت بعد ذلك فى أنحاء الامبراطورية ثم ما كان من آثر طقوس الاستحمام بدم الثور الذى كان يسيل من دم ثور مئرا ففى يوم تعميد المؤمنين فى عبادة مئرا ينزل المبتدئون الى حفرة تحت العجل ثم يأتى العجل مزئناً بالأغصان وصفائح الذهب ومعه الكاهن الذى يقوم بذبح العجل مقتئياً فى ذلك بكل دقة خطوات مراسم ذبح مئرا للثور فى

خرافته ، والمؤمنون بالحفرة يتعبدون برؤوسهم المرفوعة إليه يترنمون بالأناشيد والدم المتفجر من العجل يراق عليهم يدخل في أفواههم المفتوحة و بعد أن يغمرهم دم العجل الذى يسيل عليهم يخرج العابدون من الحفرة و يأخذ كل منهم جزءاً من خصيتيه وجانباً من لحمه نيئاً يأكلونه وبذلك يدخلون في دينه وتم عليهم نعمة العجل بما يكتسبونه من قوة وخير و يصبحون عبدة لمثرا الثور مخلصين .

يسبث مثرا ذابح الثور الحياة في كل شيء و يشرب عبده خمراً أعد من دم الثور فيكتب لهم الخلود فدم العجل كما ظهر من تأثير طقوس ذبح أبيس الضحية الكبرى في مصر فيه شفاء لهم وخصوبة لمراعيهم ورمزية تدل على سعة العيش ووفرة الرزق وفيه لهم فحولة وقوة كالعجل يتباهون بها ثم فيه شفاء لنفوسهم .

ولكن لم يكن ذلك فقط في العصور المنصرمة القديمة جداً بل ظل ذلك أيضاً في خرافتنا المعاصرة فلا زال من تقاليد الزارعندنا وقد أوشك على الزوال الآن ذبح الضحية الكبرى عجلأً أو جملأً أو خروفاً أو حتى بطة أو ديكاً ثم يراق دمها على المريضة التى تجلس في طشت بملابسها ثم تشرب قليلاً من دم الضحية التى كانت تقدم للأسياد حسب طلبهم ارضاء لهم فيهبون المريضة الشفاء و يذهبون عنها شر الأرواح المؤذية نتيجة ذبح هذه الضحية بسحرها الشافى فكل ما يخرج منها دماء ولحماً خيراً وبركة ونفع لجميع من يأكله وخاصة شيخة الزار التى كان لها نصيب الأسد من لحم الضحية إن لم تكن تستحوذ عليه كله تبعة لحسابها وهذا أثر من خرافات كثيرة ترسبت في عادات الناس من ساحق العصور فالقدوا انما يفتدى به ليحفظ على الناس حياتهم وصحتهم وسلامتهم من كل شيء .

إلا أنه ليس من الممكن اغفال السياسة في أمر وضع مثرا في العصر اليونانى الرومانى فاتحاد مثرا مع الشمس (هيليوس) بالنسبة للملوك والأباطرة أى دلالة ككوزموقراطى أى المهيمن المسئول عن العالم الذى يحكمه بعيداً عن النظرة الدينية الفارسية القديمة كما كان يريد الأباطرة أن يتشبهوا به وهى نظريتهم التى يريدون بها اكتساب الحق الإلهى أى الحكم الشيوقراطى ففى ذلك الوقت كان الملوك والأباطرة يستغلون الديانات الشرقية لتأييد نظريتهم الاستبدادية في الحق الإلهى فيحيدون بهذه الديانات العريقة إلى وضع السياسة الدينية أو الدين السياسى أى الشيوقراطية أسوة بالاسكندر الأكبر واعتناقه الديانة المصرية الشمسية وسيلة ليصبح حاكماً عالمياً أى كوزموقراطياً فحذا هؤلاء الخلفاء من بعده حذو سلفهم العظيم في الديانة الفارسية وكان الاسكندر نفسه عدواً لأهلها ، لارتباطها بالفلك الذى كانت الشمس فيه أعظم وأهم كوكب والمحرك المركزى فيه .

أما الأرواح فلا نجد في لوحة مثرا ذابح الثور ما يمثل النحل التي هي الأرواح تنبعث عن ذبح الثور وهي جوهر حيوية العالم بل هو دمه كما سنرى . ويعرف الفيلسوف الأفلاطوني الإله الديميورج بأنه هو الذى يحفظ للعالم الاستمرار في مسيره (١٣٤ / ٨٧) وهذا يعنى طبعاً أنه القوة الدافعة أى الطاقة المحركة والشمس عند أفلاطون هي بنت الخير كما هي أيضاً ممثلة بخيرها ونفعها ودفعها العالم إلى الأمام كما ذكرنا من اجتماع كل آلهة الخير بكل رموزها وصفاتها حول رأس الامبراطور الممثل للشمس على جسم الأسد أى أبو الهول في لوحة التوحيد .

أما نوميونيوس فبالتحديد يقول أن الديميورج هو مقلد الخير وابنه أى هو الشمس المجهولة الأب .

فالإله الأكبر صورة للخير وهو ذاته إما الديميورج أى المكرر فهو المقلد (١٣٤ / ٧٩) وعند Nunenius الشمس هي المهيمنة واهبة الحياة وعقل الكون المدبر وقلبه النابض Hegemoiks . وهيلوس أبوجميع الأشياء كما عند سوفوكليس وأيضاً هو أب الآلهة وخالقها وهذه الألقاب الديميورج في Timée وهي أوصاف أيضاً يضيفها نوميونيوس على مثرا .

والشمس عند بوسايدونيوس هي الأب فهيلوس سيد النجوم السيارة ونظراً لوضعه الأوسط يكون هو المحرك لها وهذه الأبوة خلقت له مهمته كموجه أى كونه مركز سلطة وحركة وسط في مسار العالم ، كذلك كان رع بالنسبة للفلاسفة اليونانيين فكما يذكر بيرين فإن رع هو روح العالم وضميره إنه الباعث والحقيقة (معت) وهو يعنى قولاً لفظ الفاعل Loges أو السبب كذكره عند الفيلسوف هراقليدس ، الذى خلق العالم فالحقيقة الحققة ليست إذن العالم الذى خلق ولكنها الفاعل الذى نشاء عنه الخلق (١٢٠) كما كان أوزيريس النيل والماء الخلاق صانع الحياة وأصل كل حي .

وأخيراً فإن ذلك كله له صلة بالقمر الذى تخصصه الشمس التي تهب الناس العقل والذكاء Nous المدبر فيلد القمر الأرواح وكذلك مثرا بتضحيته الثور يسبب ولادة الأرواح في العالم وكما تذكر البونداهيشن Boundahishn . فإن هذه الأرواح تمر بالقمر لتظهر (١٣٤ / ١٢ ملحوظة ٨٩) هذه هي آراء فلاسفة اليونان في الشمس الديميورج أو الوسيط المتحرك وهي الخير وبنت الخير ومسيرة العالم بقوتها الدافعة التي لا تتوقف وهي الأساس وهي السبب Loges . وهذا تهيمن على الأرض والسماء فهي للعالم وفيه كل شيء كما كان يعتمدها القدماء في مصر وفي فارس والعالم القديم كله في عبادتهم الشمسية وأخيراً يوحد بوسايدونيوس الشمس بمثرا كما يقول بذلك أيضاً الجغرافي الفيلسوف سترابون (١٣٩) أى

« هيليوس الذى يسمونه مشرا » و يعتقد فيلرميكوس ماتيرنوس Firmicus Maternus أن هذا العنصر النارى الذى يعبد الفرس ينقسم إلى قسمين مؤنث وهذ كرو يجب أن نذكر أن هذه تقريباً هى وجهة النظر المصرية فمثلاً العنصران النارىان فى السماء هما الكوكبان الشمس (العنصر المذكور والقمر هو العنصر المؤنث) وعند الفرس كقوله يمثل مشرا العنصر المذكور بينما الوجه المؤنث أى القمر تمثله أنثى ذات ثلاثة وجوه تلتف حولها ثعابين ضخمة (١٣٤ / ٩٠) وهذه هى أناهيتا قاعدة الانتاج فى الثالوث الفارسى .

وهذه الطاقة أو القوة Dynamis ذات الثلاثة وجوه أى هيكات اليونانية وأم الأرواح فى رأى أفلاطون تمثل أوجه الروح الثلاثية (١٣٤ / ٩٠ ملحوظة ٢٣ — ٢٤) فالوجه الأول يمثل كإلهة محاربة مسلحة بالجن والذرد تقف على قمة قلعة العقل Nous نوس تشحذ الهمة وتبعث الشجاعة والحمية أنها Thymos الهمة والشجاعة والطموح أما الوجه الثانى فوجه مشاركتها فى دولة الغابات والوحوش أى تمثيل تعدد الأفكار الوفيرة والنشاط العقلى أنه تمثيل للعقل أو الذكاء والطموح .

وأخيراً الوجه الثالث الذى يمثل الشهوة والرغبة والاختصاص Epithy metikore أى أن هذه الوجوه تمثل الثلاث آلهات اثينا وارتميس وافروديت اليونانيات .

أما عند الفرس فالعقل فى الرأس والرغبة أو الطموح للمعرفة فى القلب والشهوة فى الكبد (١٣٤ / ٩٣) كما يرى Firmicus Poternius وهذا الثالوث الأفلاطونى يطابق إلى حد ما خطة جامبليكوس فى التقسيم لهذه الوجوه الثلاثة أى الأب والطاقة والعقل كما هو واضح أيضاً فى كلام وتعليق الفيلسوف بروكلوس إلا أنه لا ينطبق تماماً على خطة هذا التقسيم الثلاثى الأفلاطونى أى أن ذلك لا ينطبق مع نفس تقسيم أقسام أوجه الروح عند أفلاطون .

- فخطة جامبليكوس هذه تتكون من الأب والطاقة الوسطى أو القوة الوسطى ثم العقل :
- (١) فن الوجود الأزلى الذى هو الأب كان أصل هيكات أى أن الأزل أصل نشأة هيكات .
 - (٢) ومن القوة الوسطى أو الطاقة الوسطى تأتى الروحانية .
 - (٣) ومن العقل تنبعث الشجاعة والفضيلة (١٣٤ / ٩٥ ملحوظة ٩٣) .

هكذا كان تفرع أوجه الروح فى نظر أفلاطون فأثينا العقل فى الرأس وارتميس تمثل اختلاف الأفكار وتطورها فهى تسكن القلب ثم يرى أفلاطون باجماع كل الفلاسفة على وجهة نظره على أن الشهوة فى الكبد وهى وجه الروح الثالث (١٣٤ / ٩٣ ملحوظة ٢٧) أى وجه هيكات الثالث الذى تمثله افروديت وفى هذا يبدو التوازي بين العالم الصغير أى

الميكروكوزموس والعالم الكبير أى المنطلق الماكروكوزموس كما نلاحظ ذلك أيضاً في القابال عند اليهود من توزيع السفירות العشرة وتطبيقها على مواضع جسم الانسان المختلفة .

ولكن الفلاسفة قد اختلفوا على تمثيل هذه الوجوه الثلاثة للروح في أعضاء جسم الانسان أى أن أثينا في الرأس وأرتميس في القلب وأما الشهوة واللذة فتتمثل باجماع الآراء في الكبد وهذه الآلهات الثلاث بصفاتها التي تتصف بها أى أثينا وأرتميس وأفروديت تدخل بصفاتها المتعددة ورموزها المختلفة في صفات اريس الالهة المصرية وهى الشخصية التي لا حصر لاسمائها وصفاتها فقد جمعت في قدراتها كل الآلهة اليونانية والرومانية وغيرها عند الشعوب القديمة الأخرى فتمثلن فيها جميعهن في كل العصور حتى العصور المتأخرة وزيادة على ذلك فهى الإلهة ذات الطبيعة كأرض مصر تتأثر بالعناصر الأربعة ومن هنا كانت سيطرتها على هذه العناصر كما فصلنا ذلك حسب ذكر المؤلفين القدامى ثم بعد ذلك فان نجمها في السماء هو نجم صوثيس أو سير يوس كما ذكرنا من قبل منزل المطر وهذه هى قاعدة الانتاج وأما حورس فهو مشرق في هذا المثلث الفارسي المكون من أهورامازدا ومثرا وأناهيتا الذى مثل على الآثار في عصر الملك (البارثى Vorod) فنجد أهورامازدا ينصب الملك على عرشه البارثى بحضور مثرا وأناهيتا في لباس جربى كأثينا (١٣٤/ ٩٩) وقد شرح Wikander ما يميز العبادة الفارسية عن العبادات الهندو يوروبية بقوله أن النار تعبد في فارس لأنها العنصر الوحيد الطاهر الذى لا يتدنس باحتكاكه بأى عنصر آخر ومن هنا تظهر الصلة بين النار الطاهرة وبين أناهيتا Anahita التى يعنى اسمها النقاء والطهارة وهى العنصر المؤنث الفارسي ذات الثلاثة أوجه أى هيكات اليونانية وأما الثالوث الفارسي أهورامازدا ومثرا وأناهيتا فقد ساد في العصر البارثى فكان هذا الثالوث معبراً تماماً عن الثالوث المصرى الذى قال عنه اليونانيون أنه أحسن أشكال الطبيعة الإلهية كما ذكرنا ثم أن الثالوث الفارسي قد مثل على النقود الفارسية كما مثل الثالوث المصرى (ثالوث الاسكندرية) سرابيس ، أوزيريس ، ثم اريس ثم هاربوكراتيس (حورس) على نقود الاسكندرية أى النقود الرومانية التى ضربت في الاسكندرية أثناء الثلاثة قرون الأولى الميلادية وهذا يعنى تغلب الفكر الفلسفى اليونانى في العصور المتأخرة وتأثيره على الديانات القديمة قبله .

وفي الثالوث الفارسي نجد أن أناهيتا الوجه المؤنث في هذا الثالوث تتمثل فيها وجوه الروح كما رآها أفلاطون كالشلاثة وجوه لهيكات اليونانية فتكون أناهيتا مثل هيكات أم الأرواح (١٣٤/ ١١٩) كما ذكرنا أنها قاعدة الانتاج وأنها العنصر المؤنث في الثنائى النارى فهى تمثل قاعدة الانتاج في ثالوث مصر فتمثل القمر في الثنائى النارى المضىء في السماء الشمس (المذكر) والقمر (المؤنث) عند الفرس وعند المصريين أيضاً فهى اريس المصرية (القمر) وقد رأى أفلاطون كما ذكرنا في عناصر هذا الثالوث المصرى الأب أو اللوجوس المصرى ثم الأم أو

(المرضع) اريس أى قاعدة الانتاج ثم حورس الابن أو الانتاج أو الكوزموس وهو مثيرا في الثالوث الفارسي ثم أن حورس يوجد في كل العبادات والتقاليد الدينية في كل دين قديم فهو الابن أو الخلق أى الكوزموس وفي اعتقادي فإن هذه التشابه في كون أناهيتا قاعدة انتاج في الثالوث الفارسي كان سبباً في أنها قد تمثلت بأوجه الروح في الثالوث الفارسي أهورامازدا ومثرا وأناهيتا كما يرى بحق أفلاطون في هذا التمثيل الثلاثي الوجه : العقل ثم المعرفة ثم الحب واللذة والاختصاص فهي تتمثل كائنا بملابسها الحربية كما نجدها على الآثار وخاصة النقود كذلك وجدت تمثل ارتيميس إلهة الغابات والوحوش وهنا يذكر فيرميكوس ماتيرنوس تعبير ملكة الوحوش وقد كان توحيد أناهيتا بارتيميس سيدة الوحوش في الأدب والتصوير الشخصي ايكوتوجرافي (١٣٤ / ٩٩) تجسيد الشكل هو السائد فيجدها ممثلة وبيدها القوس وتحمل على ظهرها الكنانة على ظهور العملة الفارسية في العصور المختلفة (١٦٧) كما تظهر ارتيميس نفسها على نقود الاسكندرية دون أن تكون لها صلة بأناهيتا أما وجهها الثالث أى بصورة أفروديت وهي وجه الروح الذي يمثل الشهوة والاختصاص فأمثلته كثيرة كما يوردها توركان (١٣٤ / ١٠٠) إذ يذكر تمثالاً لها بشكل أفروديت ثم يقول أن الكوكب Venus الزهراء يعرف عند الفرس باسم أناهيتا ورغم أنها تمثل كرمز للقمر نجد أنهاهيتا على بعض الأواني الساسانية تمثل بهيئة ومميزات أفروديت وهي عند فيرميكوس ماتيريتوس تسيطر على اللذة والاختصاص ويذكرها بعض الفلاسفة والمؤرخين لصلة أفروديت بالبذر التناسلي فلغويًا يسميها لانج Lang أفروديت نسبة إلى الرغبة أى الزبد المنوى الذي هو بذور خلق الأحياء (١٣٤ / ١٠١ ملحوظة ٨٨).

ثم أن أول من أقام تمثالاً لأناهيتا كافروديت هو ارتركسير كسيس الثاني كما يخبرنا بذلك كلمنت السكندري .

أما المؤلف Trever فيقول بخصوص معابد الإلهة أناهيتا أنها الإلهة التي تشخص الحب والخلق واللذة الجنسية وتجدد الحياة كما يذكر البعض بخصوص معابد أناهيتا وجود الدعارة المقدسة في عبادة أناهيتا . كما أن أناهيتا أفروديت مرتبطة أصلاً في الخرافة الخاصة بالعنصر الرطب أى المائي كالإلهة اريس المصرية تماماً وفي بلاد أرمينيا كانوا يخصصون هناك بعض الأشهر للشمس وبعض أيام للقمر أى أنه من المحتمل أن يكون ذلك التخصيص كانا للإلهين مثرا وأناهيتا .

وفي فارس يجعلون في تقاليدهم من الكوكبين النيرين (الشمس والقمر) أول ما ولد أهورا مازدا .

وكما يذكر أيضاً بيديه (٩٨/١٣٤ ثم ٣/١٠٦) أن الملوك الساسانيين كانوا يسمون أنفسهم اخوات الشمس والقمر حسب قول اميانوس « Solis Fratres et Lunae » .

وعند سترابون في ترتيب العبادات الفارسية السماوية يكون زيوس وهواهورامازدا سيد السماء تأتي بعده الشمس التي يسمونها مثراً ثم بعد ذلك القمر ثم أفروديت ثم النار على الأرض (١٦٩) ثم الرياح ثم الماء .

أى أن ترتيب العبادة في السماء التي يسودها زيوس أى الإله الأكبر هوارامازدا يقدسون فيها الشمس التي هى عندهم مثراً ثم القمر وأفروديت (وجهى أناهيتا ثم بعد ذلك يقدسون النار والأرض ثم الهواء والماء وهذه هى عناصر تكوين الكون التي تتجمع كلها تحت سيطرة ازييس المصرية في الثالوث المصرى الأزلئ أما في الثالوث الفارسى فتأتى هذه العناصر في ترتيب العبادة كما يذكر سترابون وتشملها قدرة أناهيتا لسعة مساواتها بالآلهات الأخريات وقدراتها في التأويل اليونانى وتمثيلها الثلاثى الوجه لأثينا وأرتميس وأفروديت مما قد يبعدنا عن التقاليد الفارسية ويجعل من أناهيتا مجرد اختراع فلسفى أفلاطونى حسب ما ورد في روث Wroth (٢٤٢) ثم غيره من علماء النقود فيما يخص شكل أناهيتا الثلاثية الوجه Triformivultus الممثل على النقود الفارسية .

كانت أناهيتا تتصف بالرطوبة أو المائية Aredvi والقوة Sura والنقاء Analita فهى أصلاً مخصصة الحيوان والزريع والانسان أى كل المجتمع الأرى تلك كانت النظرة الفلسفية الخالصة التى لم تتأثر بها التقاليد الفارسية كثيراً إلا عندما تختلف وجهات النظر الفلسفية عند الفرس وعند غيرهم من الفلاسفة الباحثين في أصول اللاهوت القديم أما عندما تتدخل السياسة في تأويل هذه التقاليد الفارسية وما تمثله عند الفلاسفة اليونان والفلكيين منهم فالأمر يسير في اتجاه آخر متغيراً تغيراً محسوباً فينحوب بالتقاليد إلى ناحية دينية سياسية أى ثيوقراطية تستمد وجودها من السماء أى الحق الإلهى .

بعد الاسكندر كما سنفصل ذلك هذا حذوه الملوك والأباطرة من خلفائه يونانيين ورومانيين الطموحين إلى الحكم العالمى والحق الإلهى أى في الكوزموكراتية أى الحق الإلهى والحكم العالمى كما كان عليه الفراعنة وملوك فارس في الشرق ولذا نرى أن عند جوليان الامبراطور الرومانى المرتد وهو فيلسوف وثنى يعتبر مثراً الشمس ذاتها التي لا تهزم Sol Invictus أى باعتبار مثراً رمزاً لعبادة الشمس كالامبراطور نفسه الذى كان يعتبر نفسه تابعاً للشمس بل حتى رفيقاً لها أى باليونانية Opados وباللاتينية Comes وهذه الكلمة التي تأتي دائماً صفة للشمس من الأباطرة على ظهور عملاتهم الممثل عليها رمز الشمس التي لا تقهر من قبل جوليان بل انه كما ورد في نشيد الشمس Sol Roi يقول جوليان أن « للشمس في نفسه أعمى وأصدق

الابمان» (١١١/١٣٤) فصول Sol الذى لا يهزم له أفضال على الامبراطور فقد أنجاه من محنة مذبحة (سنة ٣٣٧ م) التى كادت أن تقضى عليه فأنقذه هيلوس منها . فثرا بالنسبة للامبراطور جوليان المرتد ليس إلا شكلاً جديداً أو لفظاً حديثاً لهذا الإله الشمسى الذى يدين به ويقدسه بكل اخلاص تحت اسم سرابيس Sarapis أو أبوللون كما يقول ديديموس (١٠٥/١٣٠) لقد كان جوليان يكن ويحفظ فضلاً جميلاً وكبيراً لإله الشمس فظل مخلصاً تابعاً له ورفيقاً بل كان ابناً له باراً حتى انحرف قنسطنتين الأكبر إلى المسيحية عندما انتصر على منافسه الامبراطور ماكسانس تحت أسوار روما فكان هذا النصر تاريخاً لاستقرار المسيحية (٣١٢ م) ثم ظهر قانون ميللا بحرية المسيحيين الدينية وصار قنسطنتين الأكبر الأول مسيحياً (٣٢٣ م) ثم أصبح حامى حى المسيحية ولذا فقد ارتد الامبراطور جوليان الذى ترعرع في أحضان الوثنية ورفض المسيحية إذ يقول أن زيوس قد طلب من هيلوس أن يرعى جوليان وينقذه ويشفيه من مرضه وكان ذلك المرض كما يقول توركان (١١١/١٣٠) هو المسيحية وأن شفاؤه (١١١/١٣٤ ملحوظة ٤٦) ودواءه كانت هذه الردة « Apostosie » .

لم يذكر جوليان في نشيده مثراً بل كان هيلوس هو من ناداه فالأسمان عنده لها مدلول واحد هو الشمس هيلوس الذى هو ملاذه والذى توسل إليه زيوس أن يرعاه ويسدد خطاه ويزيل عنه المرض .

فأنظر كيف كانت نظرة هذا الحاكم الفيلسوف في عقيدته وإيمانه بمثرا (هيلوس) الذى هو إله النور وكيف كان إيمانه بالشمس كإله مخلص أنقذه من الغموض المظلم وأثار الطريق له فكان مثراً عنده إله العدل والحق وهما فضيلتان مكفولتان في أخلاقيات المازدوية وبالنسبة لجوليان فان فضيلة الفضائل جميعها هي العدل (١١٤/١٣٤ ملحوظة ٦١) فالحاكم عنده يتصف أول ما يتصف بفضيلة المساواة أى أن يساوى بين الجميع ثم بعد ذلك شيمة الطيبة ثم تكون الانسانية في طبيعته فيكون انساناً بالنسبة لمن يستحق ذلك (١١٤/١٣٤ ملحوظة ٦٢) فالحاكم يروح الاخوة يحقق العدالة الإلهية بين الناس بالمعنى الصحيح للاخوة أى Confraternité فكانت انسانية جوليان على غرار الاحسان وهبة الإله للخير ولطفه بعباده ورعايته للناس جميعاً فهو الذى يراقب كل شىء أى أنه هو الشمس وشمس العدالة Sol Justitae (١١٤/١٣٤ ملحوظة ٦٠-٦٥) .

أما الفضائل العسكرية والصفات الحربية من قوة تحمل وعفة وظهر وزهد وشجاعة واخلاص ونسك وإيمان بالواجب فكل هذه الصفات والخصال الفاضلة كانت من لدن مثرا ومن

حساب شيسمة وفضائله وأخلاقياته (١٣٤ / ١١٥ ملحوظة ٦٦) فالامبراطور أراد أن يفكر و يعمل كجندى لربه مخلص وانه حاكم ملتزم بمنصبه الذى وضعه الإله فيه .. أن هذا كله من أخلاقيات مثرا التى اتصف بها جوليان وحققها فى حياته .

فأنظر كيف كان الحكم الإلهى أى الثبوقراطية ونظرية الفرد المستبد الصالح فى أساسها نزاهة ونعمة وكيف أن أخلص الحاكم الالتزام بهذا المثل الأعلى يصبح الشمس وظلها على الأرض من فراعنة وبعدهم من ملوك وأباطرة أشبه ما يكونون بالإله عدلاً ورحمة وإنسانية بما وهبهم الإله من حق إلهى فكانت تلك الخصال أيضاً هى ما كان يريد الاسكندر الأكبر أن يتصف بها ويحققها أى حبه للبشر وإيمانه بالآلهة جميعاً عند كل الشعوب التى حكمها ومن هنا كان نظره دائماً متجهاً إلى السماء ومثلها العليا شمس العدالة وحب الخير وتحقيق العدل بالمساواة بين الناس فبالعدل والانسانية كانت هيمنته على شعوب العالم .

فكان جوليان ينادى ربه « مولاي » وربه هو الشمس التى لا تقهر أى مثرا كما ورد فى الكرونييا أى وليمة القياصرة و يظن توركان أنه اذا كان كرونوس فى الثالوث الروحى والعقلى لجامبليكوس (القرن الرابع م) قد أخذ مكانه فى النظرية الجوليانية لكان قد وضع بحيث يطابق إله جوليان الأول أى الأب ثم ريا Rhea الأم أى القوة Dynamis المادة المتحركة تكون الشخصية الثانية ثم الشخصية الثالثة زيوس هو العقل الأبوى (١٣٤ / ١٢١ ملحوظة ١١٤) .

فالشمس كما يقول نوميونيوس هى الابن الحق لإله الخير وهذا الفيلسوف الأفلاطونى المحدث الذى يعتبر الشمس ديمورجا وكذلك جوليان يستقيان ذلك عن أفلاطون نفسه ولذا فقد اعتقد جوليان أنه « ابن الشمس » وذوقرابة وصلة كبرى بمثرا الأفلاطونى وأما الآلهة القدامى اليونانية الشرقية فقد مثلها جوليان على نقوده - ازيس وسرابيس ثم عجل أبيس وقد أكد كيمونت (١٧٠) أكد تقديس وعبادة جوليان لازيس وسرابيس .

فكان الامبراطور هو نفسه الشمس Sol Roi لشدة إيمانه بالخلق والأخلاقيات المشروية وهذا هو المثل المتأخر لسياسة الحكم الدينى وهو الشاهد على نظرية الفرد المستبد الصالح التى أقامها الفراعنة وملوك الشرق ثم مشى على منهاجها الاسكندر الأكبر وقلده فى ذلك واعتنق مذهبه السياسى خلفاؤه من ملوك اليونان والأباطرة الرومان حتى العصور الوسطى وقيام سلطة الكنيسة الدينية .

نفهم من قول بلوتارخوس فيما سبق عن الإله الخفى أنه ليس هو الشمس بعينها فمثرا كما يراه

الفيلسوف بوزيدونيوس وكما يعتبره جوليان هو المشابه للشمس فكونه الإله الثانى المتحرك أى الإله المتحرك فى الوسط (١٣٤ / ١٢١) يكون هو المهيمن على العالم والمنظم لشرعية الحركة المهيمنة Hegemonikos أى خالق كل شىء أى باعثها من جديد فكما يذكر بلوتارخوس عن المصريين اعتبارهم المحصولات الموسمية آلهة وفى نديهم اياها وبكائهم عليها عند انتهاء موسمها يتوسلون طبعاً إلى الإله اعادتها لهم مرة أخرى فإذن لابد أن يكون هذا الإله هو الباعث الأول الخفى الذى يرجونه أن يعيد خلق الأحياء سيرتها الأولى بوساطة الإله القرين الشمس فهى الإله الظاهر أمامهم حتى لقد تشابه هذا الفكر مع وصف الإله المهيمن وعقل العالم المدبر بتسميته نوس وماورد فى نشيد الشمس عند جوليان من طلب لعون النور المهيمن (١٣٤ / ١٢١) .

هذا هو الإله الثانى فى مصر . الظاهر وخلفه الإله الخفى كالنور للمصريين الذين يطلبون عونهُ أى الـديميـورج عند أفلاطون الذى يعيد الخلق و يغرس فى الخلق ما وضعه فيهم الإله الأول الخفى أى الأب المجهول .

إذن فوراء كل ديمـيـورج الإله الخفى كما يعتقد المصريون وهم فى طلب عونهُ ممن يمثله من رموز حيوانية فهم انما يتمثلون فيها وسطاء أو رموز آلهة قرينة أو مكررة أى ديمـيـورج كل يمثـل قوّة معينة من الإله الخفى ولكن كلها للخير كالشمس بنت الخير الحقيقية ذات الأب المجهول كالفرعون أو كالامبراطور فيما بعد الذى يمثـل الشمس بحقه الإلهى فى الحكم المستمد من الشمس فى تمثال أبوالهول فكان ملاذ الناس يتقربون اليه و يعبدونه و يتوسلون اليه أن يفرج كربتهم ويهب الخير كابين للشمس وديمـيـورج لهم .

فهذه النظرة إذن إنما تجعل من الالهة مكررة أو قرينة أو وسيطة بين السماء والأرض كمثراً أو كهرمز وهذا نتيجة لعقيدة المصريين فى الإله الخفى Amoun أو الخفاء أو ما لا يرى وما لا يسمع وكقول الفلاسفة الأفلاطونيين بأن الشمس مجهولة الأب أى كالفكرة الأفلاطونية الحديثة التى تجعل من الشمس ديمـيـورج وسيط وهى أيضاً فى التصور الأفلاطونى تشبه مثراً أو هى مثراً نفسه إله الضوء الذى هو بالنسبة للعالم المنظور الحقيقة بعينها لعالم الفكر أى عالم الإدراك والفهم فهو من الناحية القدسية الإلهية يمثـل مثراً خاصة الوسط أو الوساطة أو التوسط بين عالم الحس وعالم الإدراك فهو يجمع بين الالهة والمخلوقات فى دنيا التوافق والانسجام الكونى كما يذكر توركان (١٣٤ / ١٢٢ ملحوظة ١٢٤) .

وهنا يتفق تماماً بلوتارخوس فى ذكره أن مثراً هوروج العالم وهو الوسيط أى Mesites بين العالم العلوى والأرضى بين النور والظلام وبين الخير والشر وبين العالم

الحسى عند جوليان الامبراطور الفيلسوف وعند الرمزيين أى أصحاب الأسرار
 Gnostiques فإن هذا العالم الحسى هو دنيا الفساد والخطيئة و يذكر
 Turcan قول بروفيروس prophyros فعالم الروح مقدس إلهى وأما الجسد
 فظلام وغموض أى دنياه كلها خطيئة (١٣٤ / ١٢٢ ملحوظة ١٢٧) وفى الانسان يقوم صراع
 بين الخير والشر ولكن الكون أيضاً يعكس لنا كمال هذا النموذج المتصارع أو هو يصور هذا النموذج
 كاملاً فهيليسوس يعطى العالم كله جانباً من جمال الادراك والفهم الحسن لهذا الكل من الخير
 والشر .

ان هيليسوس هو مركز التجمع الذى يقرب هذه الأبعاد فى هارمونية وتوافق يقضى على التنافر
 وعلى نحو ما كما يقول Impedocles يستبعده فى هارمونيته فهذه الوحدة بين الإله
 الأب الخفى وبين الإله الوسيط أو الديميورج أى الإله المكرر يسخر فيها هيليسوس قوة وسلطان
 هذا الإله المكرر ليكمل ويجمع وينشر الحياة وأن يسمو بالجوهر أى كعمل الروح الكونية عند
 البينوس وكما يقول به الإله الديميورج عند نوميونيوس الذى حفظ الكون متماسكاً فى وجوده
 وكيانه غير متنافر فتشابه الشمس ومثراً عند فلاسفة اليونان يجعل من مثراً مهيمناً على الخلق
 جميعه .

ثم أن صحة ما ذهب اليه بلوتارخوس من قول الكهنة المصريين وعقيدتهم فى وجود إله خفى
 لا يرونه ولا يسمعون وزاء كل هذه الآلهة المكررة أو القرينة قد وضحت بوحدتها ومطابقتها لهذه
 النظرة عند الفلاسفة اليونانيين بيثاجورين وأفلاطونيين أزاها وضوحاً قول الفقيه اللغوى
 Martianus Capella مارتيانوس كاباللا فى احدى الابتهالات لإله الشمس
 يطلق فيها على ملك الكواكب أو النجم الملك كل الأسماء التى نسمعها مصرية و يونانية : آمون
 Hammon ، أوزيريس سراجيس أبوللون - Phoebos ثم أتيس Attis ثم
 مشرا الذى دخل الفلسفة اليونانية كديميورج وهكذا يتضح أن الشمس إله ثانى وسيط ولد من
 أب مجهول أى أنه « ذو أصل خفى » كذلك كان آمون العريق عند بلوتارخوس عن الكهنة
 المصريين يشير إلى خفاء الإله الذى هو ملهى السموات والأرض لا يراه أحد ولا يسمعه أحد وهو
 الذى يرى و يسمع .

وهذه التسمية تدل على نظرة واحدة بالنسبة لكل ديميورج أو إله ثانى مكرر عند المصريين
 أولاً ثم الفرس واليونان فالكل مكرر والأصل أو الإله الأول أى الأب خفى لا يعرفه الناس
 ولا يدرك بالحواس والديميورج هو الوسيط بين الإله الخفى فى العالم القدسى انه النور المعلق فى
 الهواء فوق هذا العالم الحسى المادى انه النور للعالم الظاهر ولكنه الحقيقة بالنسبة للعالم المدرك أو
 هو الفاروق بين النورانية والمادية بين الخير والنقاء والشر والدنس وهو الروح الحية الخلاقة
 المتحركة والعقل المدبر أى عقل الكون ومثراً ليس إلا اسماً للشمس التى ترشد النجوم فى مسيرتها

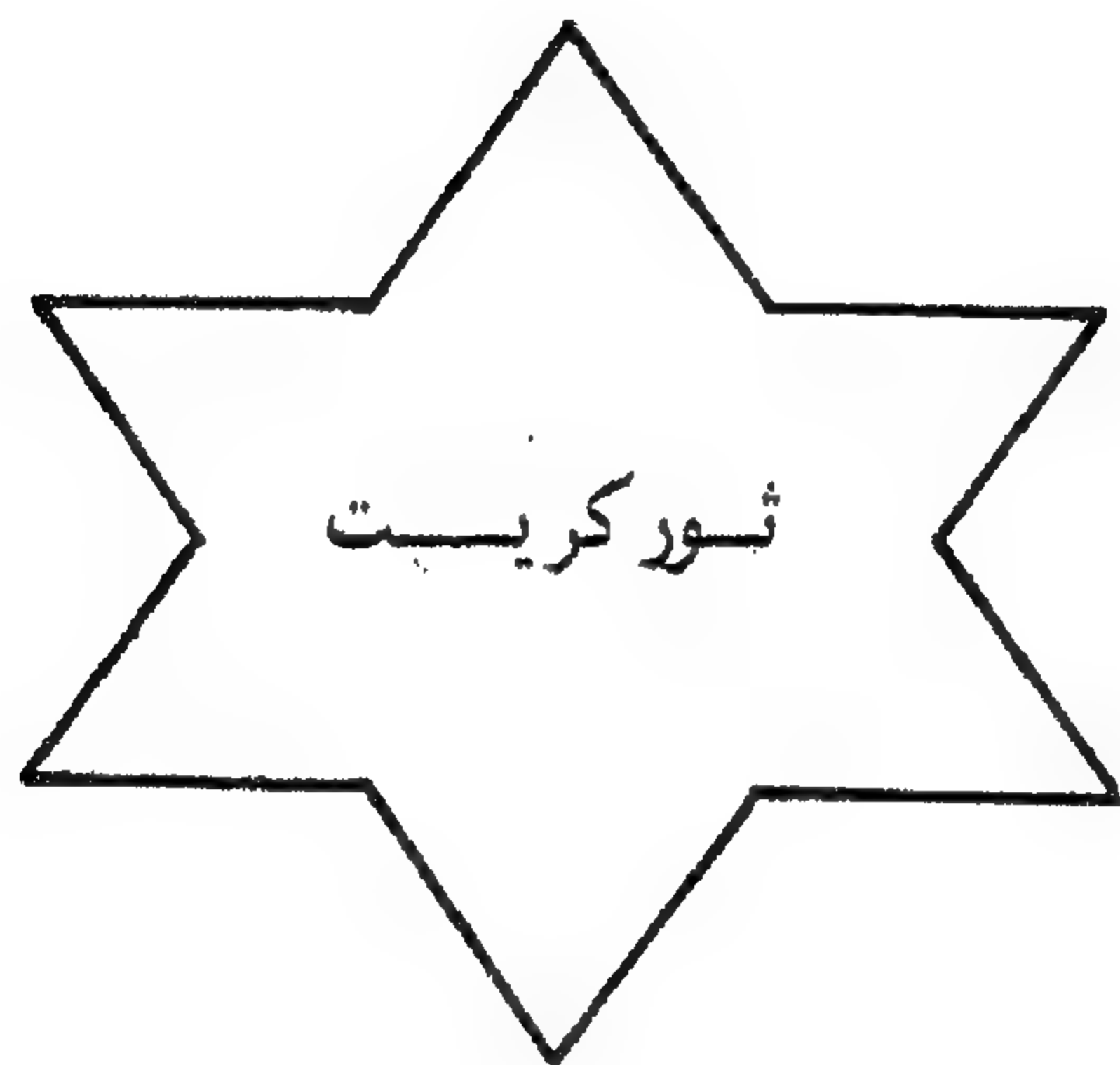
كقول كلوديانوس إلا أن تور كان يشك أن مشرا ذا الثلاثة أوضاع أى لابس الثلاثة كاببات أو القبمات المخروطية كما يسميهم Trois Pileati أى ثلاثى مشرا الممثل على لوحات مشرا فى الوسط مشرا ذابح الثور بين مشرا Gautés أى رافع الشعلة ثم Goutopates أى الذى يخفض الشعلة ينطبق على ثلاثى الشمس عند جوليان أى المدرك Intelligible والعقلى Intellectuel ثم الحسى Sensible وفى اعتقادى أن هذا التردد لا مجال له هنا فالفكرة المصرية عن بلوتارخوس فى هذا التمثيل واضحة بمعنى المدرك ثم العقلى أى الديميورج ثم الحسى المظلم تطابقاً تاماً مع لوحات مشرا أى المثرايا Triplasiou Mithrou وهو فى هذا الوضع الوسط بين النورانية الإلهية وبين العالم المظالم أى الحسى وفى هذا الوضع بين النور الإلهى والظلمة المادية الحسية يكون الوسيط مقلداً الخير أى العقل المرشد إلى الحقيقة ينير الأبصار وبصيرة الناس بالحق و يضى عقولهم بالحقيقة فتتكشف لهم سبل الخير من الضلال والشر أى هو النور أو الوسيط وعلى حد قول بلوتارخوس الذى يخبرنا بأن مشرا كما يسميه الفرس وسيط أو المتوسط بين الاثنين أى بين أهورامازدا وأهريمان فعند المصريين الشمس الظاهرة الخفية الأصل هى مشرا أيضاً إله الشمس الفارسي وكذلك كان مشرا دائماً فى العصر اليونانى الرومانى ثم أن فى البونداهيشن Boundahishn نجد أن عالم الوسط أو العالم المتوسط هو الذى يطابق قول بلوتارخوس عن مملكة مشرا الوسيط وهذا هو المجال الذى يحمل النور ومن هنا كما يقول تور كان أن الإله عند الفرس « هو النور الذى يحمله الهواء فى الفضاء » كما يؤكد هيبولينوس .

إن دور مشرا ذابح الثور مماثل تماماً دور أبيس الذى هو عند المصريين روح أوزيريس الحية والاثنان كما ذكرنا أى أوزيريس وأبيس هما الضحيتان قربان أى كل منهما قدوة عظيم للبشرية ولكن الفلاسفة الأفالطة والبشاجوريين القدماء يؤولون أيضاً مثل بورفيروس السكندرى (٢٣٣ — ٣٠٥) الذى يرى فى مشرا كما تمثله لوحات المثرايا ذات الحفر البارز ما نجده متمشياً فلكياً إلى حد بعيد من التأويلات الفلكية لعجل أبيس وأوزيريس وحورس وست وأغلب الظن أنهم كانوا جميعاً ديمورجيين أو آدميون صالحين خلدهم أعمال الخير والمنافع التى أسدوها للناس ثم بعد حياتهم جعلوا من أرواحهم نجوماً مخلدة فى السماء ترتبط بالديميورج الأكبر أى الشمس ذى الأب الخفى الغير معروف وهى مركز الحركة فى مسيرة الأفلاك السماوية والتى يرتبط بها العالم كله علويه فى السماء وسفليه فى الأرض بدورانها الموسمية التى تأتى بتغيير الفصول والمحصولات الزراعية الغذائية والتى أول المصريين اختلاف ألوان أبيس من أبيض وأسود باختلاف هذه المحصولات الزراعية المتنوعة والتى ترمز إليها ألوان سيد الحيوانات المقدسة وملكها رمز القوة الخارقة الخلاقة والمخصب الفحل جنسياً وجسمانياً عملاً

في الأرض على حد قول المؤلفين القدامى على لسان الكهنة ومن عقائد المصريين التقليدية فأنظر أيضاً كيف نشأت فكرة حاكم واحد Monarchos في السماء والأرض ثم كيف يفسر بروفيروس Propyros السكندري تمثيل ميثرا على إحدى لوحاته فيقول أن وضع ميثرا في تكوين هذه اللوحة أمام برج الكباش ووجهه متجهاً إلى الشرق أى إلى برج العذراء افورديت (فينوس) بهذا الموقف نجد أن الكوتيه Coutés أى ميثرا رافع الشعلة يكون على يمين ميثرا ذابح الثور وكما يذكر توركان أن مجموعة الأبراج تبدأ دائماً ببرج الكباش Walbrook الذى يمثل دائماً أما على يمين ميثرا أو أن يكون على شماله وفي بعض اللوحات نجد أن ميثرا يدخل فعلاً دائرة الأبراج وعلى لوحة أخرى (١٧٢ / ٥٨) . كما تذكر النصوص الخاصة ببحر الجنبات (١٧٢ / ٨٥) تذكر أن ميثرا ذابح الثور على لوحة Walbrook الشهيرة في وضع منحرف قليلاً حتى يبدو أنه يدير ظهره لبرج الكباش يعنى أنه يبدو كما لو كان يتقدم مجموعة الأبراج على خط الاعتدال الربيعي وكما يقول بروفيروس كما يذكر لنا توركان حسب نمودجه التخطيطي أن ذلك عندما ينحني شريط الأبراج الدائري مع ميل سمت الشمس وحيث يكون ميثرا متجهاً إلى الشرق أى بعبارة أخرى مواجهاً لبرج العذراء على مستوى خط الاستواء بهذا الشكل يكون الكوتيه Cautés أى ميثرا رافع الشعلة على يمين ذابح الثور (في موقعه المفترض أمام برج الكباش) يرمز إلى صعود وارتفاع الشمس إلى نصف الكرة الأعلى في القبة السماوية وإذن يكون الكوتوباتيه أى ميثرا الذي ينزل الشعلة رمزاً لهبوط الشمس فأنظر كيف يرى فلاسفة الغرب في هذه الديانة السماوية الشمسية الفارسية وهى بنفس الوضع المصري الديني أخذت عنه وسارت على نحوه . إذن فذبح الثور الميثري يمثل الصلة بين مولد الربيع والبعث الجديد للعالم وتجدد الحياة الجديدة في فترة الاعتدال الربيعي فيتجدد العالم في آخر الوقت أى في آخر الشتاء وفي الفلك يولد العالم وبعث جديداً عندما تدخل الشمس برج الكباش كما ورد في الذكر المازدوى . وذلك مطابقاً لنظرة المصريين تمام المطابقة إلى الضحية الكبرى أو أوزيريس ممثلاً في فصول زراعة القمح وأبليس عندما يضحي به في مواسم معينة وارتباط ذلك كله بدورة الشمس وما تتطور عنها الفصول الزراعية بمواسمها وفي تطورات القمر المحددة بفترة حياة العجل المسموح له أن يعيشها ولا يتعدها حسب أحكام الكهنة . فدور ميثرا هو بعث الأرواح لتتناسخ ولتدخل في دائرة وجود العالم الحيوي المتحرك وهذا هو دور الشمس عند قدماء المصريين فعقيدة المصريين في وجود الإله الخفي Amoun كما ورد في بلوتارخوس على لسان الكهنة المصريين جعل من الشمس عندهم إلهاً ثانياً أى ديمورجاً كميثرا الإله الثاني أو الشمس في الفكر اليوناني . ثم أن دور ميثرا في الفلك يتفق مع دوره كذابح الثور مما يدل على أن العالم كان موجوداً قبل التضحية بالثور فالعالم خلق ليكون قطعة أو جزءاً من أهرمان (الشر) كما يذكر توركان ولذا فبعث الأرواح للتتناسخ في دائرة وجود العالم كان ضرورياً لتشارك في المعركة ضد العدو وهذا هو الصراع ضد

الشر والمساهمة في المحافظة على هارمونية العالم وتربطه فيجب اذن أن نمنع النظر في انتباه شديد لفهم مرامي العبادات القديمة وأقدمها وأولها العبادة المصرية فيما انطوت عليه من أسرار وفلسفة درسها فلاسفة اليونان في مصر ومعابدها ودأبوا على دراسة وبحث تلك الفلسفة الدينية الشرقية القديمة التي دخلت في عقيدتهم مع ما حملته اليهم تيارات الفكر الشرقي وخاصة من مصر فتأثرت أفكارهم بها وضمنوها فلسفتهم الغربية حتى اعترف بعض فلاسفة الغرب بأن الديانات المتأخرة يونانية ورومانية ليست إلا تكملة واستمراراً للديانة المصرية القديمة (١٢) في فلسفتهم ونظريتهم البيثاجورية والأفلاطونية القديمة والوسطى والحديثة وكان هذا الدأب على دراسة فلسفة الديانة المصرية خاصة في أحضان الدراسات الفلسفية المتتالية حتى عصر الديانات السماوية سبباً في تغلغل هذه الأفكار والنظريات المصرية فيها .





أما الثور في كريت فكان شمسياً أى يتبع الشمس في دائرتها كما كان في مصر وقد ظهر على نقود هذه الجزيرة متحلياً بأشعة الشمس بدلاً من قرص الشمس في مصر على رأسه فهو اذن معبود يرمز للخصوبة وليس إلهاً للعاصفة المدمرة وأن ظن بعض العلماء أن له صلة بالزلزال الذى تقع في منطقته جزيرة كريت وكان الحكام في كريت يلقبون بلقب مينوس Minos كما يحتمل الفراعنة في مصر لقب فرعون وقد كان مينوس أى الحاكم هو عماد عبادة الثور كالفرعون إلهاً دينياً وحاكماً دنيوياً .

ولشدة تأصل الثور في كريت نشأت عنه بعض القصص الخرافية الدينية المتعلقة به والتي كان منشئوها اليونان أنفسهم تجاراً أو مسافرين بالنسبة لما رأوه من تغلغل مناسك وطقوس عبادة الثور في الجزيرة فكانت هذه الخرافات تتعلق مثلاً بقصة يوروبا European الفتاة اليونانية التي أغراها الإله زيوس فأخذها عبر البحار وهو في شكل الثور يحملها على ظهره وفي كريت أولدها مينوس Minos - الأول بن زيوس الذي أصبح فيما بعد عجل الجزيرة .

ثم ضمن هذه الخرافات قصة المينوتور أى ثور مينوس الذى ولدته Posiphae زوجة مينوس من عجل فتن الملكة وتدهلت فى حبه كما تقول الخرافة فاخترأت داخل هيكل بقرة من الخشب صنعها رئيس الصنائع بالجزيرة (دايدالوس) فأتى إليها العجل وأولدها المينوتوروس وقد وضع مينوس هذا العجل الآدمى الرأس فى اللابيرانت أى المتاهة بمدينة كنوسوس وفى هذا اللابيرانت كان يقدم لهذا العجل أضاحى أو ضحايا آدمية من الاثنين كل مدة معينة (ربما كل عشرة سنين) . ثم أنه نشأ عن صلة زوجة الحاكم باسيفاي بالعجل وجود طائفة من العاهرات تتصلن بعبادة العجل يسمون Diklriades لا يرضين أن يقرهن إلا العجل دون الرجال وربما كان العجل هنا هم العابدون فى طقوسهم يتخفون فى هيئة العجول ؟ ولذا فقد

أجمع العلماء على أن عبادة الخصب بطقوسها ورقصاتها أهم العبادات عند الكرتيين ومن الطبيعي أن يكونوا بموقع جزيرتهم وسطاً بين مصر واليونان قد تأثروا بعبادة الثور في مصر فعلى مر الزمن حتى العصور المتأخرة كان الكريتيون يهتمون بعبادة ازيس وأوزيريس في معابد أقيمت بجزيرتهم وفي العصر اليوناني كان معظم المختصين من كهنة رسميين وغير رسميين في تفسير الأحلام هم الكريتيون وقد أوردنا فيما سبق رجل كريتى يعلن عن نفسه أنه مختص بتفسير الأحلام على لوحة وجدها الأستاذ مريت في صقارة ويقول النص المكتوب على هذه اللوحة أنه يفسر الأحلام (هبة من الله وأن هذا المفسر من كريت) أى أنه يستغل نسبته إلى كريت دليلاً على قدرته الموهوبة له في تفسير الأحلام وتحت هذا النص عجل أبيس أمامه مذبح .

وقد صمم قصر مينوس كله أو جزء منه في مدينة كنوسوس على أساس الحركة الشمسية اليومية والسنوية إذ كان مينوس والشمس يعبدان كثورين فكان طابع قصر الملك دينياً ولذا كان القصر المعبد هذا تصميماً وهيكلًا معقدًا تماماً لمشايبته مسار الشمس في دورتها في السماء فكانت له خبايا كبناء مقدس وترتيب خاص فكان هذا القصر الملكي هو ذلك الذى يعرف باللابيرانثوس السىء السمعة في الخرافات (١٣٦ / ١١٧) وقد لاحظ العلماء أن تصميم القصر الكامل كان محيراً ومربكاً بالنسبة للزوار من الأجانب ومن هنا ظهرت نواة فكرة تصور اللابيرانثوس وبما أنه هذا القصر المقدس كان مركز عبادة الثور الرئيسى فكان الملك أوما ينوب عنه يتخفى في شكل الثور إله كريت الأكبر ويقوم بالرقصات الطقسية في هذا القصر المتاهة (اللابيرانثوس) وفي بعض الاحتفالات الخاصة بالثور يقوم الملك بالاجتماع بالملكة وهما في شكل ثور وبقرة وكانوا يربطون في رقصاتهم بين الشمس والثور إما بالتوقيت الحركى للشمس في الفصول الأربع تماماً كما يفعل المصريون في الاحتفالات بعيد الحقل مع الثور الأبيض أى ثور الإله مين . Min . الخصب (١٣٦ / ١١٨) .

وفي هذا الاحتفال يتزاوج الفرعون مع الملكة وقد كان ذلك أيضاً رمزاً لخصوبة الأرض والمخلوقات جميعاً مرتبطاً كل ذلك بموعد فصول تطور الشمس ويظهر ذلك بوضوح أثر مصر على عبادات البحر الأبيض ولا سيما في كريت القريية من مصر والمتصلة بها فكان الغرض من هذه العبادات والطقوس الشمسية في كريت أن تثمر الأرض وتخصب الحيوانات كما بينا في فلسفة عبادة ميثرا الثور وطقوسها المرتبطة بالحركة الشمسية .

ففى كريت أن تزيى الرجل إذا تخفى كالثور بجلده وقرونه أصبح في نظر الآخرين ثوراً تماماً كما كان أيضاً عند اليونانيين القدامى ولذا فقد كانت الأقنعة جزءاً هاماً لازماً في الأداء لازماً في الأداء المسرحى في التياترو اليونانى القديم وكان ذلك ظاهراً أيضاً في تخفى الكورس الأول المسرحى في الاركسترا بزي الجدى والحصان لفريق الانشاد في تياترو ديونيسوس في أثينا وفي

غيره في البلدان الأخرى في تمثيل هذه الطقوس الدينية القديمة . ولذا فالتزاوج بين مينوس والملكة مرسميا كان في كريت كما كان في مصر في احتفالات الربيع هذه رمزاً لتجديد الحياة في الجزيرة وأرضها والناس والمخلوقات التي تعيش عليها كثور مثرا .

فأنظر كيف كانت هذه الاحتفالات الطقسية ترتبط بالربيع أو الاخصاب والخصوبة والازدهار والتجديد وقد ذكرنا فيما سبق كيف كان مثرا ذابح الثور يقوم بذبح الثور في الاعتدال الربيعي فيخصب العالم كله و يدفع الأرواح ويثرها إلى التناسخ والتكوين الخلقى فاذا هو بعث جديد من آخر أيام الشتاء وفي كريت تجد ذلك مجسماً في رمز الثور ، في مصر وكريت ، وارتباط ذلك في الديانات الشمسية بفصول تطور الشمس الزراعى ثم تجسيد البعث والتناسخ وتجديد الحياة للمخلوقات كلها انسانا وحيوانا كل هذا يرمز إليه بتزاوج مينوس أى الملك بالملكة كما يفعل الفرعون والملكة في مصر في عيد الحقول تزواجاً طقسياً مرسمياً في مصر كما يتزوج النيل الأرض أى أوزيريس وايزيس في موسم الفيضان فتخضر الأرض وتنبت بعد ذلك ثمرات فيها حياة للأنفس وبعث جديد وفي تزاوج مينوس والملكة في كريت متخفيان بشكل ثور وبقرة في طقوس عبادة الثور حيث تقوم الاحتفالات بمصارعة الثور فيما يشبه أسلوب مثرا في مصارعة ثوره بما يتفق وحركة الشمس في الأبراج في الربيع باحتفالات مصارعة الثور أى مراسم خصوبة الثور الطقسية التى تقام في كل ربيع وهذا هو توقيت دخول الشمس برج الكبش في الطقوس الفارسية التى يذبح فيه مثرا ثوره تماماً .

فهذه الطقوس الشمسية الشبيهة بالمشروية الموسمية كل ربيع يقيم الكريتيون أيضاً حلبة مصارعة الثور أى Corrida كما يفسر ذلك كوتراد (١٣٦ / ١١٩) ، وقد صور الفن الكريتي كل هذه الصور الطقسية من أول اصطيد الثور ومصارعته ثم قتله تماماً كما يحدث في الطقوس المشروية الفارسية التى يذبح فيها مثرا ثوره إذ يبدأ مثرا بصيد الثور أو سرقته Klopé من حظيرته ثم ركوبه حتى الكهف المشرى ثم مصارعته كما يصور لنا ذلك التمثال البديع المقام في حديقة التويليرى Tuilirie بباريس البطل ثيسوس الأثينى بأسلوب يونانى حى رائع عارى مجرداً من ثيابه ولكن بتمثيل حركة ووضع مثرا الفارسى ذابح الثور وهذا يوضح ما كان لعبادة مثرا في الغرب القديم من أثر ظاهر في الامتزاج بالفن اليونانى إذ نلاحظ أن الثور هنا في هذا التمثال يذبحه ثيسوس بأسلوب مثرا تماماً المصور على لوحات مثرا الفارسية الرومانية بالمتحف المصرى .

قيد الفن الكريتي اليونانى أوجه هذا الصراع المقدس في مصارعة الثور وهذا شاهد على تشابه الفكرة في عبادة الثور في مصر وفارس واليونان وكريت وفي روما وأسبانيا أى في حوض البحر المتوسط طقوس دينية واحدة أساسها قوة الثور وخصوبته وفي كريت وفارس نجد أن هذه المصارعة أو التضحية بالثور يأتى في الربيع فصل الخصوبة والازدهار وقد سجلت الآثار التى

وجدت في كريت وسجلت على التحف الأثرية كما نجده على سبيل المثال مصورا على كوبين ذهبيتين من كريت وجدت في بلدة في اليونان تسجلان صيد الثور في البداية يربط شبكة من الحبال في شجرتي زيتون ومطاردة المطاردين شبابا مع شابات للثيران نحو هذا الشرك فإذا وقعت الفريسة اقتادوها الى حلبة المصارعة تماماً كما نجده مع الوضع المثلث في اقتياد الثور إلى مصيره وعلى كوب آخر وجدت في غرفة العرش في قصر مينوس بمدينة كنوسوس ثلاثة مناظر تمثل صيد الثور بوسيلة بقرة مستأنسة لاغراء الثور الوحشي فيقترب منها متودداً إليها فإذا اعتلاها ربطوا رجله الخلفيتين فإذا به أسير كذلك زينت جدران القصر الملكي بهذه المناظر لاصطياد الثور في فن رائع فائق الجمال تشكياً وألواناً مما كشف عنه أكبر الآثرين الأستاذ (Arthur Evans) الذى قام بالكشف عن قصر مينوس في كنوسوس عاصمة كريت كل ذلك بتفصيل يفوق كل شبيه له في بلدان عبادة الثور الأخرى يمكن أن ترى من خلاله صورة تمثل الثور الوحشي في اصطياده ومصارعته في جميع أنحاء العالم القديم في كريت وفارس وأسبانيا أما في مصر فقد كان الثور وديعاً أليفاً لعبادته تتوقف على لونه ورموزه وذبحه طقسياً يشترط فيه أن يكون لونه أحمر لا شية فيه إنه عجل مستأنس ذلول تربى على أرض خصبة وكان هو منذ الاستقرار الأول بعد الترحال عاملاً في الأرض وخادماً لها يخصبها كخصبه الجنسى بقوته وعضلاته ودمه كما هو الآن في مصر فيما ذكرنا فان شرد واحد من قطعان الأبقار في الأحرار الواسعة في شمال الدلتا مثل بلدة كسيوس (بلدة سخا الآن) فلا شك أن ذلك كان نادراً فطبيعة أرض مصر تغاير البلدان الأخرى الجبلية التضاريس القليلة الماء والأرض الزراعية .

كانت تقام أعياد مصارعة الثور في كريت في الربيع بجوار القصر الملكي المقدس في كنوسوس ويحضرها العابدون للثور الإله أى الملك تكريماً له وفي نفس الوقت تكريماً لكل الثيران التى يتقمصها الملك وهكذا فهذه الأعياد الطقسية لعبادة الثور عند الكريتين هى أعياد للربيع وترجمة لما كان يقوم به مشرا في السماء وعلى الأرض عندما يتمثل وهو يذبح الثور وارتباط ذلك بتطور الشمس ففي كريت الملك ثور كما كان الفرعون في مصر والمالكة والشخصيات البارزة والأقوياء من الناس ثيراناً أولاد ثيران فكل ذى قوة ثور في حدود قدرته وكل ذى سلطان كان أو عامل ثور كما كان مشرا ثور وفي كريت كانت الثيران صورة للملك مينوس في خصاله من شدة وقوة اخصاب وفحولة وانتاج كالشمس في مراحل تطورها في السماء وتقليد ذلك في مراحل صيد الثور وصراعه حتى نهايته المخصبة باعثة الحياة وعمية الأرض ومجددة الخلق بتناسخ الأرواح في فصل الربيع .

ولقد كان في عقيدة البدائيين أن سر قوة الثور وجبروته تتركز في قرنيه فاتخذوا من قرن المعجل رمزاً لقوته وخصوبته ونشأ عن ذلك قرن البركة Evans وقد وجدت هذه القرون المقدسة في الأماكن المقدسة وفي المقابر ولمفعولها السحري للقوة والشجاعة كان المحاربون

يلبسون فوق رؤوسهم خوذات عليها قرنى الثور ولأنها رمز للثور فكانت رمزاً أيضاً للوفرة والكثرة وتمثل وقد فاضت منها الفواكه والخيرات الزراعية وكان الاعتقاد أنه إذا وضع أى شيء بين قرنى الثور يشتد ويقوى إلى أقصى حد وفى حلبة المصارعة يقوم المصارعون الكريتيون بحركات مرسومة على قرون الثور كالأكروبات القصد منها أن تحل القوة السحرية الكامنة فى قرون الثور بملامستها لنفع البشر .

وكان لاصرار الكريتيين على الاتصاف بالفحولة يظهر فى العجول التى تمثل بعضو تناسلها منتصباً كأوزيريس *Ithyphallia* وقد كانت أهم الأعمال الموسمية فى كريت هى ذبح الثور وهذا هو الطريق الذى يحصل منه العابدون على قوة العجل وحيويته التى تنطلق بالتضحية به .

و يورد كونراد نقطة هامة مميزة للتفرقة بين الأضحية الدينية الطقسية وبين الألعاب الرياضية فى حلبة المصارعة فيقول إن قتل الثور بأن يلوى المصارع رقبتة فيقتله مباح للمصارع أما إطلاق الروح المقدسة المانا *Mana* فلا يأتى إلا عن طريق الطقوس الدينية فى الألعاب أساس قوة العجل هى قرنيه أما قتل الجسم فى مصر أقدم بلد قدس العجل وكان فيها سيد الحيوانات المقدسة فهو أعرق وأقدم خادم للأرض منذ عرف الإنسان الأول الاستقرار وفى الشرق (الأناضول) وفى سومر وعند الساميين والحيتيين أقطار الشرق الأوسط وفى فارس أيضاً إذا مات الثور عاش الإنسان فالأضحية سبيل للحياة الأخرى (الخشاب ١٩٧٢ J.E.A.) وإذا انتهت بالموت كل تجسيدات الثور الإله تنبعث فى الدنيا حياة جديدة فكانت التضحية بالعجل فى كريت نعمة تعم الناس والأرض فيها تنطلق الروح المقدسة المانا *Mana* من العجل لحظة قتله فتتبع الناس جميعاً وهذا تصوير بديع لحلول الشمس فى برج الشور وحلول فصل الربيع وعلاوة على ذلك فإن أكل لحم الثور نعمة وفضل ما بعده فضل لأن هذا هو جسم الإله (١٣٦ / ١٢٤) وقد كان ذلك واضحاً حتى عند يوريبيدس فى رواية (الكريتيون) يجرى القول على لسان الكورس من عبدة العجل و يصف تحولهم الدينى إلى هذه العبادة ويوجهون هذه الشهادة إلى مينوس قائلين « أنهم قد رفعوا إلى درجة القداسة لما أن شاركوا فى احتفالات ولائم اللحم النيء » (١٣٢ ص ١٢٤) وهذا يشبه تماماً ما يحدث فى حفلات التعميد المشروية كما ذكرنا . يوضح ذلك كله أن الأضحى والانتخاب والولائم كانت تقام لمحاولة أن تندمج جسدياً قوة وخصاب العجل فى العابدين له وفى الأرض وفى الحيوان بأرض كريت وربما كانت التضحية بالعجل أثراً باقياً من تقليد مسمى لقتل الفرعون فى مصر قديماً أو الضحية الكبرى ومينوس فى كريت وربما يكون ذلك محتملاً فالعجل فى مصر وفى فارس وفى كريت يعتبر الضحية الكبرى كما كان أوزيريس ضحية كبرى وفدواً عظيماً ينال فيه الناس أمناً غذائياً وقد بقى للعالم من هذا التراث الدينى أثر فنى عظيم رائع كهذين الكأسين الذهبيتين

اللذين وجدا في Paphio بأسبارطه و يعتبران من أرقى الصناعات المعدنية القديمة ثم ما وجد من مناظر مخفورة على تابوت من كنوسوس تمثل عجلًا قيدت قدماء وقد وضع على مذبح وذبح والدم يسيل من رقبته في اناء Setula على الأرض في حضور كاهنات يلعبن بالمزمار ويرقصن وهذه هي طقوس ذبح الثور الضحية المقدسة الكبرى على مذبح في احتفال ديني تنطلق به روحه وتحيى الأرض وتبعث الروح في الحياة كما كان في مصر أيضاً إذ يحمل الثور جثة على ظهره في طريقها إلى حياة جديدة ثم كأس بديع يحمل منظر الثور كضحية كبرى يطعنه كاهن بخنجر في رقبته في مناسبة دينية بعيداً عن حلبة المصارعة ضحية مقدسة ثم رأس عجل على كأس للانخاب من حجر الستياتيت Stealita من كنوسوس أيضاً وقد طعمت الرأس بحجر الكريستال وأصداف وحجر الدم وعيونها من حجر الكريستال وقد عثر عليها مع كثير من قرابين من البلط ذات الحدين .

وأما في الفن الحديث فنظرة واحدة على تمثال ثيسوس قاتل المينوتور الفائم في حديقة التويليرى بباريس تعطينا فكرة عن تأصل التقليد المشرقي في الفن اليوناني والحديث عن مصارعة الثور فهذا التمثال صورة صادقة للوحات الميثا التي تمثل ميثا ذابح الثور الفارسي واختلاط عبادته في أوروبا قديماً بالفن اليوناني الممثل في ثيسوس Theseus في صراعه وقتله المينوتور وانعكاس ذلك على الفن الحديث المعاصر .

فإن أردنا نموذجاً قديماً ترجمه الحاضر في أسلوب مصارعة الثيران الحديث في أسبانيا بطقوسها القديمة من ألعاب ورياضة وكفاءة ملؤها غرور الفتوة وشجاعة الاعتداد بالنفس عند المصارع في منازلته للثور في حلبة المصارعة ثم اباحة قتله أي النهاية السعيدة للبشر والحيوانات والأرض قديماً كما كان تقليد ميثا في فارس وتقاليد اليونان في كريت ثم السماح بممارسة هذه التقاليد في أوروبا قديماً مع انتشار الديانة المصرية التي حملت للعالم الغربي القديم فكرة البعث بعد الموت وأهم معالم عناصر هذه الديانة وأعرقها دينياً بمغزاها السياسي القديم رمز الحق الإلهي أي الثور أبيس وامتزاج كل هذه العبادات على أرض الغرب القديم وتقاربها واندماجها بتجمعها هناك بواسطة هؤلاء التجار البحريون القدامى من عبدة الثور أيضاً وهم الفنيقيون الذين كان لهم فضل انشاء صلة تعارف بين عبدة الثور في شرق وغرب حوض البحر المتوسط من مصريين وساميين ويونانيين وأسبانيين . ذلك النموذج القديم الذي ظلت ممارسة طقوسه سارية بيننا حتى الآن هو ممارسة عبادة العجل في كريت .

والواقع أن الثور لم يكن غريباً على أوروبا ولا أسبانيا خاصة فقد كانت الأبقار هناك دائماً في مراعيها وجبالها وأراضيها الزراعية بخيراتها ونفعها للناس وبألفتها المعروفة وحب الناس لها وشغفهم بمصارعتها حتى أن هيرمان (١٧٣) يذكر ما كان يوجه من لوم بسبب هواية عائلة آل بورجيا الأسبانية لتربية الثيران وباحثفالات مصارعها لا شيء إلا لصلة هذه الثيران بالأصل

الوثنى العريق في عباده أبيس خاصة الكور المصرى وكان المقصود باللوم هو بالذات البابا الاسكندر السادس آل بورجيا من عائلة بورجيا الأسبانية في روما الذى أصر على هوايته هذه وهو الشخصية المسيحية الأولى في منصبه الرفيع فكان اللوم الخوف من أن تشوب تصرفاته المسيحية ولو من بعيد شائبة وثنية تماماً كما حرص مترجمو التوراة على حذف كلمة الثور التى تمت للوثنية قبل ذلك .

وأيضاً في عصرنا هذا وشبيه بالكور يدا في أسبانيا نرى هذه المخاطر والفروسية التى يقوم بها رعاة البقر في أمريكا Cow-Boys . بما يشبه الألعاب التى كان يقوم بها الكريتيون في حلبة مصارعة الثور من ركوب الثيران الوحشية التى لم تستأنس بعد والتى يعدونها أيضاً للتنمية الحيوانية والغذاء كان هذا كله دلالات عما أخذ به الغرب في العصر الرومانى من أساليب الديانات الشرقية واليونانية وقد كان اثر العبادات المصرية بارزاً وخاصة فيما يتصل بعجل أبيس المصرى الذى كان الأباطرة الرومان يتشبهون به أسوة بالفراعنة و يعتبرونه رمزاً للحكم الإلهى فكان ذلك واضحاً في عقول الناس وخاصة ذوى الثقافة منهم فأنظر قول الشاعر في فترة تنصيب الكسندر السادس آل بورجيا الأسباني واقامة احتفالات مصارعة الثيران في أثناء هذه الفترة يقول الشاعر عن هذه الأعياد أنها احتفالات بظهور عجل أبيس جديد لا لتنصيب الباب (١٣٦ / ١٧٤) كما كانت تقام الاحتفالات والأفراح عند ظهور عجل جديد تنطبق عليه شروط وعلامات أبيس الأول بعد موته وانهاء مظاهر الحداد عليه وقد انتشرت في روما أثناء الاحتفالات بتنصيب البابا شارات له تحمل صورة العجل كما كانت تحمل النقود الرومانية الرسمية في العصر الوثنى صوراً لأبيس ابتهاجاً واحتفالاً بظهور عجل جديد بدلاً من الثور الذى نفق وأيضاً للاحتفال بذكرى هذه المناسبة وكان هذا القول الذى نطق به الشاعر تعبيراً عن الشعور العام المسيحى في القرن الخامس عشر الميلادى امعاناً في معارضة هواية البابا والسماح بإقامة مباريات مصارعة الثيران تكريماً لمناسبة تنصيبه هو بابا في روما وحتى في الفن فقد سجلوا اعجابهم وحبهم وتقديسهم بعجل أبيس بأن مثلوا مقصورة أبيس في فن الركوكو العظيم بهيئة مذبح مما يدل على مصرية العجل وعبادته قديماً فكانت هذه التقاليد القديمة تشكل عائقاً لمزاولة مصارعة الثيران بعد المسيحية إلا أن الأباطرة والبابوات والشعوب أقبلت على ذلك رغم معارضة المسيحية ثم أنه في وقت البابا الكسندر السادس كانت تلك التقاليد قد خلت من أى دلالة أو سمة دينية ولكن هذا الشعور رغم ذلك يدل على تأصل عبادة العجل عندهم في الوثنية قديماً فانبعثت تلك الذكريات المخالفة للدين مع انتشار حلبات مصارعة العجل إلا أنها أصبحت بعد ذلك في أسبانيا تقاليداً تجرى في دماء الشعب فصارت احتفالات شعبية لا سلطان للحكام عليها دينياً وزاد في انتشار الكور يدا Corrida de toros أى مصارعة الثيران في المدرجات الغزو القوطى لهذه الأنحاء من الامبراطورية وهم قوم حرييون يفاخرون

بالعباب القوى والشجاعة حتى انتشرت وامتدت مصارعة الثيران إلى شمال أفريقيا في المغرب الاسلامي أيضاً وهكذا تجردت مصارعة الثيران من هذه الوصمة الوثنية وأصبحت ألعاباً شعبية كما حدث للتياترو اليوناني قبل وبعد المسيحية حضارة منتشرة عند الشعوب ملوكاً وأفراداً وقد اتمحت تماماً فكرة الوثنية القديمة ونسى الناس ما كان من أصله وزالت مسحته الوثنية قبل المسيحية والاسلام رغم تشابه المصارعة قديماً وحديثاً وكان تمسك الأسبان بمصارعة الثيران كما يقول كونراد ناتجاً عن نزعتهم إلى رفض كل طغيان حتى إذا خالف الدين فكانت المصارعة بالنسبة لهم كما يقول كونراد (١٣٦ / ١٨٤) دراما رمزية ضد كل من يفرض عليهم أمراً وقد أصبح الميتادور Metador عندهم بطلاً قومياً وهذا رأى صائب فقديماً كما يرى دريوتون أن تمسك المصريين بعبادة الحيوان وأبيس خاصة كان عملاً قومياً ضد الفرس والأجانب وكان هذا ما يراه مؤيدو البابا الكسندر السادس فلا وثنية تتضمنها تلك الاحتفالات التي أحيها في روما لمناسبة جلوسه على كرسي البابوية فالثور بالنسبة للأسبانيين شيء عظيم كما كان عند الأقدمين رمزاً أعظم للخصوبة في الأرض والفحولة والمحافظة على النوع والتنمية الحيوانية فهو الأنفع الأول لحياة الإنسان ووجوده هو الذي جعل الناس الأول يتجهون بأفكارهم إلى وجود قوة أكبر من الجميع فالفرق واضح فقديماً كان الثور إلهاً يتمسح به الملوك واتخذوا من اسمه لقباً لهم يستمدون منه الحق الإلهي ففرضوا عبادته على الناس وحديثاً كانت قوة الثور كما كان يعبد من أجلها قد زادت من اعجاب الإنسان الحديث وتقديره لمن يصارعه ويتغلب عليه من الميتادور واعتباره بطلاً قوياً لا إلهاً وفي هذا لا وثنية ولا مساس بالمسيحية بل فروسية انهر بها الشعب الأسباني لا عقيدة رغم مظهرها الديني الشائع قديماً بل فروسية ضد حيوان مصيره أن يذبح يعد رمزاً لقوة هائلة ما بعدها قوة .

ثم أنه بعد اكتشاف العالم الجديد في أمريكا انتشرت فيه هذه المصارعة غير منتمية الى دين وثني أو أسطورة ما بل كانت شعبية خالصة كما انتشرت أيضاً في العالم الاسلامي بشمال أفريقيا يقيمها الأغنياء في أفراحهم وفي الموالد والمناسبات العامة الرسمية وتغنوا بالثور في أشعارهم الغنائية تماماً كما كان في أسبانيا يتغنون فيها بالثور وقوته وشجاعة المصارع في أفريقيا وفروسيته كبطل مغوار كما في الحروب وفي نفس الوقت كان يدلل جميع الناس نساء ورجالا العجل الوديع وتطلق عليه الفتيات أسماء التدليل حتى كن يعتقدن أن روح القديسين قد حلت به (كروح القديس ماركو) لما له من نفع ووداعة وبركة انتاجية فكر بدائي من شدة حبهم له كما كان القدماء يرون في الثور روح أوزيريس الحية الذي هو النيل المخصب ولكن فرق بين الفكرتين كبير فهناك قديماً عبادة وهنا مجرد تدليل وتشبيه بريثين و يطلق الأسبانيون على مصارعة العجل (عيد العجل Festa Toros) دليل على أنها احتفالات شعبية لا دينية (١٣٢ ص ١٦٦) إلا أن معارضة هذا التقليد وما تركته من تراث كافر في أفكار

الناس عند الفنيقيين والقرطاجنيين وكلهم كانوا من عبدة الثور كما كان الكلتيون Celts أيضاً الذين اشتهروا بخوذاتهم التى تحمل قرون العجل وقد وجدت فصائل كثيرة من العجول الوحشية فى أسبانيا القديمة وقد كان ذلك مدعاة لتقديس الأسبانيين للعجل أسوة بمن حولهم أيضاً من عبدة ونتيجة لذلك أيضاً ما يروى عن استعمال الثيران هناك كاستعمال الفيلة عند الهنود أدوات حرب فعالة فى القرن الثانى ق . م هزم الأسبانيون الموالون للرومان القائد القرطاجى هاملكار بيركا (٢٣٧ ق . م) بأن ساقوا ضده قطعاناً من الثيران الوحشية (١٣٦ / ١٦٣) ثم بعد ذلك بقليل استعمل ابنه هانيبال نفس الطريقة ضد القائد الرومانى فابيوس إذ أطلقت مؤخرة جيش هانيبال وكانت مؤلفة من قوات أسبانية ثيراناً متوحشة وقد ربطوا بين قرونها مشاعل زادت من توحشها فانهزمت القوات الرومانية وهكذا كانت الثيران بقوتها الخارقة وشجاعتها الغاضبة موضع اعجاب الأسبانيين وتقديسهم فهمى حامية لهم من أعدائهم منتصرة لقدرتها على تدمير الأعداد ودفعهم عنهم .

هكذا تجد جذوراً لعبادة العجل وتقديسها لقوتها الحامية ونفعها العميم حتى فى الحرب جذور عبادة تبدو متأصلة عند الأسبان فى العصر الرومانى بطقوس أضاحى الكوريدا أى المصارعة تماماً كما عند الكريتيين فى سالف الوقت وعندما غير الرومان كلية حضارة الأسبان كانت الحضارات التى جلبوها معهم فيها الثور أحد معالم تلك الحضارات وكان تقديسه قائم كما كان عند الأسبانيين على القوة والخصوبة لإله الأسبان الأكبر الثور مع طقوس عبادة مشراً وثوره الضحية الكبرى ومع أبيس وسرايس الذى اندمج فى إلههم الأكبر جوبيتر وقد أنشأوا له معبداً فى مدينة Olesō على ساحل البحر الأبيض فى قرطاجنة مما يدل على شيوع عبادة أبيس المصرى الرومانى فى أسبانيا وقد كان أهم معبودات الأسبانيين مع معبودات الرومان هو جوبيتر سيد الخلق ومارس إله الحرب وربما كان دليل وجود هذين الإلهين فى أسبانيا أنها كانا رمزين لإلههم قبل الرومان وهو الإله العجل القديم مما دعى أحد المتحمسين للمسيحيين فى وصفه مصارعة الثيران هناك أنها « بهجة جوبيتر الجهنمى » .

هذا هو الثور منذ ظهوره فى حياتنا فى مصر حتى وجوده بيننا الآن فى مصر والعالم آجبع أنه أقوى وأشجع من الأسد وأنفع منه للبشر وكان رمزاً للشمس فى مصر ورمز الحق الإلهى عند الملوك من الفراعنة قبله وظل كذلك حتى العصر المتأخر اليونانى الرومانى فاتخذ الملوك والأباطرة رمزاً لهم على حلهم من خواتم ملكية كما يفصل ذلك حفر للعجل غائر على فص خاتم مستطيل من العقيق ثمين فيما ذكره فيرماسيرن Vermasseren (١٧٥) ضمن مجموعة تماثيل أبيس اليونانية الرومانية إذ يقف أبيس معتداً بنفسه بحدى القوة والجبروت وقرناه يشبهان شكل القيثارة (الهارب) طويلاً مشبتان على كرة صغيرة فوق رأسه تعلوها كرة كبيرة بين قرنيه تبدو أنها كرة شمسية وفوقها كرة ثالثة صغيرة ربما كانت تشير إلى القمر الذى ينتسب إليه العجل فى ولادته

فالقمر هو الخصب الخصب حتى أطلقوا عليه (أم العالم) فيما يخبرنا يلو تارخوس فهو إذن ينتمى إلى الكوكبين النيرين أهم الكواكب في السماء ويحمل على كل قرن حية واحدة للشمس والأخرى للقمر وأما الكرة الأولى تحت القرنين على رأس الثور فتشير إلى الكرة الأرضية وذلك كله يشير إلى مجال الحكم العالمى بالحق الإلهى ، أى الكوزموكراتى أو الحاكم العالمى بأمر الله فحكمه ثيوقراتى يشمل الكون أى الكوزموس كله ولذا نجده يحمل رمزى فرعون الحاكم على كتفه الأيسر أى الهلب والمذبة رمزى عصا الراعى وسيادة القانون وهذا يشير إلى واجب الفرعون وأساس حكمه لشعبه كما يحملها كل فرعون يمسكها بيديه متمسكاً بها حرصاً عليها رافعاً إياها شعاراً لحكمه على كتفيه وصدره أنها رمزاً عدل الحكم الإلهى سيادة القانون والانسانية وعلى ظهر أبيس قرص الشمس المجنح رمز الهيمنة والانتماء إلى الكوزموجونى وتحت القرص المجنح على ظهره يظهر حورس الشمس المتجددة دليل السماء والحاكم على عرش أبيه أوزيريس من بعده ، تشكيل لأبيس يونانى رومانى ممثل لحق الامبراطور الإلهى وهيمنته على الكوزموس بأكمله وظل الشمس على الأرض كما كان الفراعنة أى عدالة الشمس وشمس العدالة .

وإذا ما رأى انسان أسداً حاول الهرب منه أو قتله فخطره دائم وقائم مهما أحسنت اليه وفرصة النجاة منه غير محققة فإذا ما لاقاه فرد واستطاعت ساقاه حمله بما هو عليه من هلع فإلى أين المفر؟ فلقاؤه مرعب مخوف وخطره داهم حتى أن المصريين مثلوه ضمن الحيوانات الضارة بالانسان على لوحاتهم الوقائية من شره مع العقرب والثعبان والتمساح والغزال أما الثور فمثلوه على لوحات شفائية يلوذ به الناس طلباً للشفاء والحماية حتى إذا ما رأى الانسان ثوراً استبشر به خيراً كذلك الفصص القيسية الذى يحمل الثور وفوقه دعاء (احنا) باليونانية فيما ذكرنا لا يتوقع منه شراً ولا يستشعر منه خوفاً بل يرى فيه خيراً ويحس منه معروفاً وألفة وحناناً بالبشر بادية البشر باطمئنيائيه واستسلامه وهدوئه حتى إذا كان وحشياً استؤنس ، لا أنه أنبل من الأسد وأسلم وأطيب ، حياته نفع وخير للناس وبركة وموته رزق لهم وخصوبة لأرضهم ، التضحية به خير للفقير والغنى وكل ما يتخلف عنه فوائد للناس ومنافع مادية كحياته أما الأسد فان قتلته فلا تفوز منه إلا بدفع شر واقع وتظفر من ذلك يلقب شجاعة يستمد من اسمه ليس لك فضل بتحديدك إياه فبالسهم أو البندقية تستطيع أن تقتله من بعيد أو من كمين النساء كما يفعل الرجال سواء بسواء فلا منازلة ولا مواجهة إلا من خيال الشعراء أما الثور فنزلته شجاعة والتفوق عليه فروسية وبطولة فان قتل فذاك مصيره لنفع العباد فلن يبقى ثور دون أن يذبح بيد انسان وتلك سنة الحياة فأين من الثور الأسد؟ أو أى وحش ضار غيره؟ إنه حيوان ذو قيمة وفضل فن كشرت مواشيه قديماً أو حديثاً فهو ذو مال وكان الثور أداة تبادل كالذهب بيننا الآن ومن أقوال اليونان السائرة « مشى الثور على لسانه » إشارة إلى نقود الرشوة التى تسكت الخطيب عن الإفصاح برأيه . وفى عصر التبادل بالنقود أطلق على خزائن الذهب « رأس المال » نسبة إلى الثور

الذى كان أغلى من الذهب قيمة عند البدائيين قبل أن يعرف الناس من المعادن فضة أو ذهباً
إنه « رأس المال الغذائى العتيد » .

فما جدوى زيادة مليون أسد لنا ؟ إذن لانتشر الخوف وامتلأنا ذعراً من مهاجمة هذه الكواسر
للأرواح من بشر وحيوان ولهرب الناس فراراً من خطر جوعها وجف الزرع بعد أن هجروا
الأرض . أما إذا زيد هذا العدد عندنا ثيراناً إذن لاسعدتنا هذه الثروة ولنعمنا بهذا الرخاء
واستمتعنا بالوفرة واليسر وعشنا رغداً وذلت أعناق القصابين .





كان مصرياً ضميمًا ورد في أسانيد المصريين الأسطورية فيذكر بروجش (١٠٤) أن التقاليد في مدينة أبيس كانت فيها عبادة أوزيريس في ثالوث أو مثلث مكون من :

(١) أوزيريس يشكل عجل أبيس .

(٢) . ازيس البقرة المقدسة مغذية ابنها حورس (Horsecha حورسخا) .

(٣) الطفل حورس أو أبيس الصغير أى العجيل .

هذا هو المثلث الإلهي الأزلي سر وجود مصر الذى بنى عليه المثلث اليونانى . وقد ورد أيضاً في نصوص الواحات أن المفهوم في تصور الناس جميعاً أن ازيس لم تكن وحدها بل أن زواجها من النيل فكرة مجازية متضمنة في مفهوم الجميع وكما ورد في كشوف المدير يات في مصر السفلى في مدينة أموت Amut حاضرة المديرية الثالثة (الليبية) أن ازيس كانت تسمى حتحور الذهبية (أى نوبت) وحورس الطفل كان هو العجيل الذى ولدته ازيس كما كان يمثل في تصورات العصر اليونانى الرومانى وقبل ذلك على لوحات العصر الفرعونى بالمتحف المصرى ففى تصويره على لوحات ونصوص خواتم العصر الرومانى يذكر فيرماسيرين Vermaseren (ملاحظة ١٧١) الجزء الثانى ضمن مجموعته من تماثيل أبيس (فى خاتم) من الأونيكس نقش عليه العجيل واقفاً وقرص الشمس بين قرنيه وأمامه ازيس جالسة على عرش ترضعه أى العجيل (حورس) من ثديها (لوة ٢٠٨ رقم ٥٧٨) وهو (حورس) الذى ولدته أمه ازيس للعالم كما ورد في نصوص حورس Horus Texten ولكن بصورة أخرى غير صورة ازيس الآدمية التى ترضع العجيل في العصر المتأخر اليونانى الرومانى .

فحسب هذه النصوص يصف بروجش صورة العجيل الذى يقف بين أرجل أمه المضيفة من فوقه ويعقب على ذلك فيقول « أى بعبارة أخرى شمس الصباح اليومية وفى سير الشمس فى دورتها السنوية التى تشرق من الشرق يكون هو الشمس المبكرة » أى شمس باكورة الصباح (ملاحظة ١٠٣) وكما أوردنا يكون هذا أساس التصور الديوى الحسى (الأب والأم والابن) الثالوث الديوى وعلى غراره أى انعكاساً للثالوث أو المثلث الإلهى الذى وجد في طيبة أيضاً مكوناً من آمون (زيوس اليونانى) الأب ثم من موت Mut (هيرا اليونانية) الأم ثم الابن خنسنو (هرقل اليونانى) كقول بروجش ولكنه يعقب قائلاً « أنه يجب ألا يخامرنا سوء فهم من وجهة نظر فكرة عدم تجزء أو انفصال الوحدة الالهية : هؤلاء الأعضاء الذين تتكون منهم هذا المثلث فقد استبعدت كل فكرة أو تصور فيما يتصل بتكوين هذا الثالوث الإلهى كالبشر نهائياً الذى فيه تتشمل قوة الوجدانية الإلهية واضحة ففى الخرافة يظهر رع بأنه رع موتيف Ra-mutu أى زوج أمه موت وموت هى أم أبيها وأخت ابنها » تنمافاً كما كان بالنسبة للآلهة حتحور فى دندرة فهى أحياناً تكون « أم أبيها إله النور رع » وإن الابن خنسو

« والد أبيه » فالفصل في التصور بين الثالث الإلهي السماوى وبين المثلث البشرى الموازى له والذى هو انعكاس منه على الأرض — وهو ما نبه إليه بروجش أى هذا الثالث الإلهى كما قدسه وحده المصريون فى عبادتهم هو ما يشهد به بلوتارخوس أنه المثلث المصرى السماوى . والأكثر تقديساً عند المصريين فيما أراد قوله من أن أفلاطون قد اقتبس له شخصيات الزواج Gamelion Paragramma . عنده إذ أن المصريين حسب قول بروجش قد فصلوا بين المثلثين تماماً فى التصور وكان استنباط أفلاطون له فى سياسته (ملاحظة ١٧٧) فى أمر الزواج على غير ما تصوره المصريون بالنسبة لفصلهم مثلثهم الذى كانوا يقدسونه عن الثالث الدنيوى كما قلنا .

الواقع أن ما افترضه بلوتارخوس كان صحيحاً فهذا المثلث الذى ليس له مثيل فى أهميته والرائع التكوين والتناسب إنما كان أساس حياة المصريين منذ الأزل وهو أيضاً من وجهة نظر رمزيته أساس الكون ودعامة استقراره فإذا نظرنا إلى هذا المثلث من وجهة نظر الكوزموجونية أى الكونية تجده يتكون من الأربعة عناصر الهامة المكونة للكون وهى الماء والأرض والشمس (النار) ممثلة فى حورس وكذلك الهواء الذى يمثله حورس أيضاً فى رمزه كصقر .

والعناصر المكونة لهذا المثلث لها عند أفلاطون مسميات خاصة فاز يس عنده هى عنصر التأنيث فى طبيعة هذا العالم ويسمىها المادة والأم والمرضع ومكان الخلق قاعدة الانتاج (١٧٨) .

كما أن أوزيريس عنده هو العقل ويسميه العقل والنموذج وهو الأب (١٧٩) .

أما ما ينتج عن كليها أى ازيس وأوزيريس فيسميه الخلق أى حورس (١٨٠) ثم أن المثلث الرائع أو كما يسميه البيتا جورىون المحدثون مثلث الخلق يتمثلونه بشكل مثلث قائم الزاوية طول العمود فيه ثلاث وحدات طولية ثم طول القاعدة أربع وحدات طولية وطول الوتر خمس وحدات ثم أن هذا الوتر إذا ربع يكون مربعه مساوياً لمربع الضلعين الآخرين العمودى والقاعدة ومن الضرورى أن يمثل الضلع العمودى العنصر المذكور والقاعدة العنصر المؤنث والوتر يمثل انتاجها معاً .

وعلى هذا طبعاً يكون أوزيريس بمثابة الأصل أى أنه هو الأب وأن ازيس بمثابة العنصر المستقبل (الأم) وحورس الانتاج المنجز .

ثم أن العدد (٣) هو العدد الفردى الأول (١٧٨) الكامل Teleios والعدد (٤) هو مربع العدد (٢) أول عدد زوجى مؤنث وأن العدد (٥) جزء منه يمثل الأب أى (٣) والآخر الأم أى العدد (٢) إذ أنه مجموع هذين العددين (٣) و (٢) . (١٨٣) .

ثم يفسر بلوتارخوس معنى العدد (٥) فيقول أن العدد (٥) معناه في الأصل مشتق من فعل يعد باليونانية وذلك بالنسبة لعدد أصابع اليد الخمسة الوسيلة الأولى للعد عند البدائيين وأن هذا المربع أيضاً البالغ مساحته ٢٥ وحدة هو قدر سنين حياة عجل أبيس كما ذكرنا أى المدة التى حددتها الكهنة ليعيشها العجل ولا يتخطاها وفى اعتقادى أن القول بأن عدد (٢٥) أى (٥ x ٥) أى ما يساوى حجم مربع وتر مثلث الخلق من المحتمل جداً أن يكون مرتبطاً بفترة حياة عجل أبيس وهو الذى تربطه بالقمر صلة قوية كما ذكرنا فيما سبق ويمكن أن يكون هذا الأجل بخمس وعشرين سنة فترة تطور قري كما يرى الأستاذان هيرمان وكونراد فى تفسير العدد ٢٥ كمساحة لمربع الوتر فى هذا المثلث .

ثم يقول بلوتارخوس أن وتر المثلث إذا ربع كانت مساحته بقدر عدد حروف الهجاء المصرى ويعارض الأستاذ هوبفner Hopfner ومعه أيضاً Otto أتوبسبب أن عدد حروف الكلام كما ذكرها الأستاذ جاردنر أربعة وعشرين حرفاً وأحسب أن مربع الوتر هذا أى الكون (كوزموس) ربما كان مساوياً لعدد حروف الهجاء فى عصر بلوتارخوس كما أخبره الكهنة المصريون بذلك أو ربما قصد بلوتارخوس أن المربع يسع حروف الهجاء الذى تتكون منه لغة الخلق فى مربع الخلق هذا بإضافة علامة أخرى كمنح مثلاً تشير للحياة إن صح هذا رأى فتكون دلالة على الخلق الكونى كله كما نجد مثلاً لذلك فى تأويل لنظرية الخلق فى أسرار القابلا (القابل) أى التعاليم اليهودية وفيها تعتبر حروف الكلام وعددها اثنين وعشرين حرفاً مع العشرة أعداد (١ - ١٠) أى السفروت بمجموعها معاً تبلغ ٣٢ حرفاً وعدداً التى فسرها معنى الاثنى وثلاثين طريقاً خفياً التى ذكرت فى كتاب Yetzirah فيما ذكرت من أن « الله الخالد رب الشعوب إله اسرائيل الأعظم .. قد خط اسمه وخلق عالمه عن طريق اثنين وثلاثين طريقاً خفياً » إذ يعتبر اليهود أن شريعتهم وتاريخهم كانوا من كلمات الله باعتبار أن هذا الذكر لا يعدو حروف الهجاء والسفروت العشرة أى (٣٢) ففسرت هذه الشعاب الخفية الاثنتان وثلاثون شعبة أنها حروف للهجاء مع الأعداد (١٨٤) .

كما ذكر فى كتاب الصهيونية العالمية أن اليهود كتبوا تاريخهم بيدهم ويكادوا أن يكونوا الوحيدين فى ذلك ووضعوه فى اطاره الانسانى حسب هواهم بل وضعوه فى اطار المقدسات والغيبيات وجعلوه كله وحياً من السماء نازلاً بإرادة الله وبألفاظه بحيث يعلو فوق الجدل والنقاش « وسنرى أن ذلك كان على غرار ما كان يجرى فى مصر فيما ورد فى الكتابة المقدسة المصرية وهى التى كان المصريون يعتبرونها لغة الخلق أى اللغة المقدسة .

ثم يذكر أيبشتين أن هذه الشعاب فى علم الكونيات قد فسرت بحروف الكلام الاثنى وعشرين مع العشرة السفروت أى الكائنات غير المادية أى الشكل الذى يشكل المادة ويجسدها

ويذكر أن مصادر هذا قد وجدت في مراجع من زرادشت وعن الكلدانيين (٢٨٨/١٨٤) وأن نواة تعليم كتاب Yetzirah قامت على أساس قول ورد في كتاب ملحقات الآباء Epics of the Fathers أن الخلق قد تم بعشرة من النطق الإلهي وهذه المنطوقات العشرة قد فُهِمَت في سفر اليتزيراه بأنها تتضمن حروف الهجاء العبرية التي في تكوينها قد أوجدت اللغة العبرية المقدسة لغة الخلق وأن الأعداد أي السفروت قد أمدت كل التكوينات بالعدد إلى ما لا نهاية .

هكذا يفسر بوضوح بلوتارخوس معنى الأعداد في مثلث الخلق وأهميتها بالنسبة للفلسفات اليونانية التي عاجلت نظرية الثلاث مما قد يكون لما ذكر من عدد حروف الكلام له مثل عند اليهود في معنى عدد حروف الهجاء أو لغتهم ومع الأعداد مرتبطة ببعضها كانت الأدوات التي خلق الله بها العالم بمظاهره وبكل تكوينات وجوده المختلفة التي لا حصر لها وهذا ما أحسبه قول الكهنة لبلوتارخوس من أن مربع الكون في مثلث الخلق يسع كل حروف الهجاء الهيروغليفية وذلك يعنى خلق العالم فإذا كان ذلك هو ما قصد إلى قوله الكهنة فأولى أن تكون اللغة المقدسة (الهيروغليفية) هي اللغة التي توصف بأنها لغة الخلق فهي اللغة المقدسة والأصل السامي الذي نطق به آمون في ثامونه أو تاسوعة فتكون من تكوين خروفها لغة مقدسة أجمع العالم كله قديماً وحديثاً على اعتبارها وتسميتها باللغة المقدسة أو النحت المقدس (جليفى Glyphe .) أنحت (وهيرو Heiro) أى مقدس أى الكتابة المقدسة ومنها الهيراتيكية (المقدسة) وفرع منها يسمى الديوتيقية أى لغة العامة أو الدارجة فهذه هي اللغة المقدسة لغة المعابد والطقوس والدين وليست اللغة العبرية أو غيرها من لغات العالم فاللغة المصرية هي أقدم لغة وهي المقدسة باعتراف الجميع فإن نظر اليهود نظرة تقديس للغتهم فذلك لأنهم يقدسون كتابهم المكتوب باللغة العبرية التي كانت أمها وأصلها اللغة المصرية القديمة فشوا على نفس الدرب المصرى في وصف لغتهم بالتقديس وأيضاً دينهم العنصرى فوصفوا لغتهم بلغة الخلق بغير حق وهي اللغة الفرع لا الأصل وليست هي لغة الخلق بل هي لغة التوراة كما كانت العربية لغة القرآن وهما دينيان سماويان نعترف بهما وليسا قاصرين على شعب واحد بل للناس أجمعين فكانت تسمية اليهود تقليداً ساذجاً للغة المصرية القديمة المقدسة (الهيروغليفية) التي أرادوا وهم الأقزام أن يتناولوا وينافسوا لغة كانت لهم قمة وسيدة للغات السامية كلها استغفر الله فليس للخلق لغة يعلمها انسان فعلمها عند الله أما لغة الكتب المقدسة فهي اليهودية للتوراة وللانجيل والعربية للقرآن . وهما لغتان مقدستان باعتبارهما ترجمة للغة الوحي الذي أنزل بها الله هذين الكتابين السماويين التوراة والقرآن أما الوحي نفسه فقد نزل بلغة لا يعلمها إلا الله ورسله إنها لغة إلهية ترجمت إلينا بالعربية والعربية الدنيويتين كما يقول الأستاذ جينون Glyphe أنظر (ملاحظة ١٨٥) .

فمنذ الوجود ومصر تؤمن بهذا الثالوث الأول الأقدس الماء والأرض الخصبة والانتاج أو النسبات وقد أحبه المصريون بأعضائه الآلهة أوزيريس وازيس وحورس وآمنوا بهم في وحدتهم ووجدانيتهم فيه وعبدوهم فيه ثلوثاً أرضياً مادياً معهم ثم رفعوه إلى السماء بتصورهم الأرضي مصداقاً لما وصفته النصوص الهيروغليفية الخاصة بالمادة الأزلية فيما ذكرنا من قبل على لسان بروجش عن هذه المادة الأزلية أقدم كل الآلهة وتعتبر الأم الأزلية في شكل البقرة حتحور إذ يقول عنها « زوجة وبنت إله النور - رع - ثم هي أم أبيها وأخت ابنها الذي هو زوج أمه » فهذا إذن ثالوث تصوري قائم على فكرة تصور الفلاح المصري لثالوثه الأرضي لا يمكن أن تنفصل عناصره المكونة من رع ثور السماء وشمسها وحتحور إلهة السماء ممثلة المادة الأزلية وحورس العجيل وشمس الصباح فالكل واحد والواحد يشمل الكل فلا انفصال بين أفرادها حلقة لا يعرف أولها من منتهائها من ثلاثة هم الواحد والكل دائماً الحياة والتجدد كثالوث الأرض بمواعيد النيل المرتبطة بحركة الشمس في السماء وحدانيتها هي الحياة السرمدية والتجدد الأبدى لا أول لها ولا نهاية في الضلك هذا هو الثالوث المقدس عند بلوتارخوس والذي أخذ عنه الفلاسفة اليونان نظريتهم ثم أليس هذا التزاوج الفلكي السماوي الذي يصور المحافظة على الوحدة المجسمة للوحدانية الإلهية الخلاقة للعالم لهذه الآلهة العلية في سمائها والمرتبطة برع ثور السماء أي الشمس الإله القرين الوسيط عقل العالم المدبر والعقل الأبوي للإله الخفي الذي لا يرى ولا يسمع وهو وراء كل الآلهة فهذا ثالوث يمثل الوحدانية والوحدة التي كان لها صدى دنيوياً في عائلات الحكام على الأرض وكيف كان الزواج بالأخت والبنت صدى فيه أثر من هذه الصورة الشمسية السماوية للمحافظة على وحدة العائلة الفرعونية في الأرض صورة الملك ممثل الإله على الأرض واندماج الأسرة الفرعونية فيه للمحافظة على الدم الملكي الإلهي تصور دنيوي كما هو حادث دينياً بين الآلهة في هذا الثالوث المكون من الأب والأم والابن امتد (١٧٢) صداه إلى سياسة الحكم الدنيوي كما ذكرنا على أساس وحدة الدم الملكي في الأسرة الحاكمة ونظرية الحكم في مصر .

ثم كان له صدى فلسفي يكمل ما كان قائماً في الثالوث الأزلي المصري إذ يذكر بلوتارخوس أن أفلاطون قد استنبط هذا الثالوث في تكوين الزواج عنده وكان ذلك على غير ما فرضه التقليد المصري بالفصل بين التصور الدنيوي والتصور الإلهي لهذا الثالوث ففي مصر كان أيضاً تصوراً فلكياً قائماً على فكرة تصور الفلاح المصري لثالوثه الأزلي ذي الوحدانية التي لا يمكن فصل أعضائها عن بعضهم البعض وإلا هلكت الأرض ومن عليها فوجدانيتها هي سر حياته وبقائه كما لا يمكن فصل عناصر الثالوث السماوي الشمسي في توقيته اليومي والسنوي وانضباط سير الحياة الزراعية .

إنها حلقة فكرية مصرية متصلة بين الفلسفات القديمة والحديثة في الفكر الانساني كله روحياً ودنوياً سارية معنا في ديانا حتى الآن .

وفي هذا الثالوث الأرضي أيضاً يدخل كل مخصص يدور في فلك أعضائه أو ينتسب إليهم بخدمة الزراعة والتنمية في الحيوان والمحصول ورفعهم جميعاً نجومياً وكواكب في السماء تدور في دائرة المخصص المهيمن الأعظم وهو الشمس فكل مخصص يعين على الانتاج والوفرة قد اتخذ رمزاً للثالوث وأعضائه وأصبح الملك وهو الثور الكبير رأساً للثالوث ولكل بانثيون ومجمع إلهي ثامونا أو تاسوعاً في أى مكان في مصر فهو أوزيريس ميتاً وحورس حياً تجمععت فيه كل فضائلهم وقدراتهم فأصبح الإله الملك والملك الإله .

وقد كفر المصريون بكل من يعارض هذا الثالوث ويحول دون قطوفهم خيراته فهذا الثالوث منبوع حياتهم وأمنهم الغذائي وخيرهم ورخائهم ويسرهم فمن تدخل بشر في عمله أو حال دون اتمامه كان يريد لهم الهلاك فلا ماء مخصص ولا أرض مخصص فلا زراعة ولا محصول وهو عدوهم وعدو آلهتهم وقد كان وعماظهم وحكماؤهم أحرص على تحذيرهم في وصيتهم للناس بالتقوى وإقامة شعائر العبادة والولاء لهؤلاء الآلهة الخيرين حتى لا يتخلوا عنهم ويرضون عليهم ويفيضون عليهم بالحياة والرغد والخير العميم والرزق الواسع .

ثم يأتى الملك فيوحد الناس والأرض في حكمه ويتخذ من الثالوث إلهاً وينسب إليه بفضائله وعدله وإنسانيته ويعبد رموزه و يندمج فيها فيصير ثوراً كبيراً أى أبيس وروح أوزيريس الحية وزوجته اريس ويتخذ من الثالوث آباء وأبناء فيعبدهم الناس في شخصه و يصبح ممثلاً للآلهة على عرش مصر كحورس العظيم .





وفيما سبق ذكرنا ثالوثاً فارسياً على غرار الثالوث المصرى الأزلى مكوناً من أهورامزدا ومثرا وأناهيتا كقاعدة انتاج وهى العنصر المؤنث فى العنصر النارى الثنائى الفارسى المضىء فى السماء أى القمر وقد مثلت أناهيتا قاعدة الانتاج فى هذا المثلث الفارسى بثلاثة أوجه كالإلهة اليونانية المثلثة الوجه Triformi vultus هيكات Hecaté التى تعرف بأُم الأرواح كذلك مثلت أناهيتا الإلهة الفارسية فى المثلث الفارسى وقد فسر ذلك الفلاسفة الأفالطة كما فسر أفلاطون الثلاثة أوجه فى الإلهة اليونانية هيكات بأنها أوجه الروح وهى الأوجه التى تمثلها الآلهات اليونانيات الثلاث أثينا للعقل فى الرأس ثم الرغبة والطموح فى القلب تمثلها ارتيميس إلهة الغابات والوحوش والصيد ثم أفروديت إلهة الشهوة ولذة الاخصاب الجنسى وموضعها من جسم الانسان الكبد كما ذكرنا .

فإذا ما قارنا أناهيتا الفارسية بقاعدة الانتاج فى المثلث الأزلى المصرى وجدناها مطابقة إلى حد بعيد لازيس فى ثالوثها المصرى الأزلى مع أوزيريس وهورس أى مثرا الفارسى وقد حملت النقود الفارسية تمثيلاً لهذا الثالوث الذى كان ملوك فارس يستمدون منه الحق الإلهى إذ مثل أهورامزدا وهويتوج الملك Vorod (القرن الأول ق . م) وهو جالس على العرش بحضور أناهيتا ومثرا فى هذه الصورة كما ذكرنا من قبل (١٣٤/١٠٠) كما أن نجمة أناهيتا فى السماء هى أفروديت أو Venus أى الزهراء كما كانت نجمة ازيس فى السماء هى سير يوس أى صوثيس (الشعري اليمانية) وكما كانت أناهيتا هى القمر كما ذكرنا فإن ازيس فى مصر كانت القمر المنتج المنصب أيضاً .

أما هذه الآلهات الثلاث اليونانيات التى تمثل عند الفلاسفة الأفالطة أوجه الروح فتدخل

جميعها ضمن قدرات الإلهة اريس المصرية ذات الأسماء التي لا تعد وهي تتضمن في قدراتها كل قوى الآلهات اليونانيات والرومانيات في كل العصور التي مرت بمصر وتمثل جميعاً الآلهة المصرية اريس الأم الموضع كقاعدة الخلق في الثالوث المصرى وقد سار على الدرب هذا ثالوث أهورامازدا ومثرا وأناهيتا في العصر البارثى ومثل على النقود الفارسية كما مثل ثالوث الاسكندرية الروماني من سرايس (أوزيريس) وازيس وهاربوكرانس على النقود الرومانية التي تسمى نقود الاسكندرية التي كانت تضرب ما بين القرن الأول والثالث الميلادى في الاسكندرية كعملة خاصة بمصر دون بقية أقاليم الامبراطورية .

ونحن لا نعرف مدى تأثير هذا الثالوث المصرى الأول على مثلثات الخلق في العالم القديم كله ولكن تغلب النظرية الفلسفية اليونانية على كل الديانات القديمة قبلها في الشرق جعل هذه الديانات في العصور المتأخرة شبه موحدة عن طريق هذه الفلسفة أى الكليكتسموس التي قربت بين الديانات ورموزها أى السيسنكر يتزم Syncretism الذى نشأ عن نظرية الفلاسفة الإكليكتيكيين أى Eklektikoi الذين يوحدون أو يوافقون أو يقاربون بين الديانات والرموز المختلفة وكما ثبت فقد كان هذا التقارب على أساس مثلث الخلق المصرى الأول .

ثم أنظر كيف بقى هذا الثالوث بفكرته المصرية الأزلية الوجدانية التي لا انفصام لها بكل ما أضفته عليه الفلسفة اليونانية من تأثيرات الفكر الغربى وتوحيده بالتقارب Syncretism مع الثالوث الفارسى وما أعدته له في شروحها لصفات أعضاء هذا الثالوث من تأويلات حتى نصل إلى القرن الرابع الميلادى حين يصل تصور التشليث عند جامبليكوس الفيلسوف الأفلاطونى المحدث في الاسكندرية فيطبق هذا المثلث على ثالوث آلهة العقل والفكر أى الثالوث الروحى إذ يتخذ فيه كرونوس أو خرونوس chronos ساتورن الذى يتمثل في الايون Aion برأس الأسد والذى يتوحد مع زيرفان أكارانا Zervon Akarana الفارسى وقد رأيه فيه Chr. Loconbrade (ملاحظة ١٣٠/١١٧-٨٧) لا كومبرد وصاحب أحدث ترجمة لخطب جوليان المرتد كرونوس ساتورن Kronos Saturn أى الوقت الأزلى اللانهائى - اتخذ جامبليكوس من كرونوس هذا إلهاً أول أى الأب Pater في الثالوث (أو الأبدية) فهولوجوس Loges أى السبب ثم شخصية الثالوث الثانية Phea الأم وهي القوة Dijnamis الروحانية المرشدة ثم الإله زيوس الابن! ثالث هذا الثالوث الفكرى وهو الذى يمثل العقل الأبوى Patrikos Nous المدبر للكون .

هكذا نصل إلى ظهور مبدأ روحانى فكرى في التشليث كان له أثره في الحياة الدينية بعد ذلك حتى الآن (ملاحظة ١٣٤/١١٧ ثم ١١٨ ملحوظة ٩٠) .



يقول أشعيا :

« أشعيا ١٨/١٩ - ١٩ » في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود ، يقال لاحداها مدينة الشمس في ذلك اليوم يكون مذبح للرب وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها .

وقد ذكر جوزيفوس المؤرخ اليهودي هذه النبوءة و يؤكد اسنادها للنبي اشعيا فيقول « لأن هذا حقاً ما تنبأ به النبي أشعيا » (١٣٩) وربما يكون قوله هذا ناشئاً عن قول اليهود المعارضين ومن كان ضد اليهود من الرومان بمصر ممن كانوا جميعاً يقاومون ويعارضون انشاء معبد مقدس جديد في مصر كما أراد أونياس الرابع رئيس الكهنة من أن هذه النبوءة دست تأييداً لطلب ورغبة أونياس نفسه لاقامة معبده الجديد بمصر .

أما هذا التجمع اليهودي الثالث بعد ابراهيم وموسى فكان في عهد الكاهن الأعظم سليل عائلة رؤساء الكهنة في بيت المقدس من بيت آل أونياس Oniad والواقع أن Bevan بيفان (١٤٠) في كلامه عن اليهود في مصر في عهد بطليموس السادس (محب أمه Philopator) والملكة كليوباترا الأولى كان اليهود في عهد هذين الإلهين محبى أمهما Philomatores يتمتعون بعطف البلاط المصري وهذه سياسة للدولة قامت على مناهضة ملوك مقدونيا في سوريا بعد وقوع فلسطين تحت سيطرة سوريا وضياعها من مصر .

فعندما خرج ملك سوريا أنتيوخوس ابيفانوس على نظام توارث عائلة أونياس لمنصب رئاسة الكهنة في القدس وحرّمهم من تولي هذا المنصب عين فيه من اليهود من كان على ولاء له من طائفة اليهود الهيلانيين فبعد موت أونياس الثاني (هونيا بالعبرية) عين الملك أخاه أونياس

الثالث رئيساً للكهنة بعده إذ أن ابن أونياس الثاني آنذاك كان طفلاً كما يقول جوز يفوس المؤرخ اليونانى اليهودى ثم يقتل أنتيوخوس عمه أونياس الثالث الذى كان رئيساً للكهنة بعد عشر سنوات من شغله هذا المنصب وقد كان لاونياس الثالث هذا اسم آخر يونانى مينيلافوس Menelaus كما كانت العادة بالنسبة لليهود الموالين للمقدونيين فى سوريا من اتخاذهم مع أسمائهم اليهودية أسماء يونانية فبعد أن قتله أنتيوخوس ملك سوريا أسند منصب رئيس الكهنة إلى الكيموس Alkimos رغم أن هذا اليهودى من غير عائلة أونياس صاحبة الحق الأول فى منصب رئيس الكهنة .

هرب أونياس الرابع الصغير إلى مصر والتجأ إلى بطليموس السادس وكليوباترا الثانية وأصبح قائداً لجيوش الملك ثم بعد ذلك بسنين عدة قائداً لجيوش الملكة كليوباترا الثانية زوجة الملك الراحل . وفد طلب أونياس الرابع هذا من بطليموس السادس (محب أمه) أن يخصص له لمن معه جزءاً من أرض مصر شرق فرع دمياط أى فى إقليم جوشن القديم مستوطن اليهود القديم فى عهد الهكسوس وقد سمى هذا الجزء فيما بعد بأرض أونياس أو الأونيون Oneion وقد سمح بطليموس السادس لأونياس الرابع ببناء معبد لليهود فى مدينة كان بها معبد مهجور متهدم للإلهة (بوباستيس إلهة الحقول) Boubastis Agrias وكانت هذه المدينة تسمى ليونتوبوليس Leontopoles أى «تل اليهودية» الآن .

بنى أدنياس فى ليونتوبوليس معبداً مماثلاً تماماً لمعبد سليمان بالقدس وكان غرضه من ذلك كما سنرى أن يوحد ويجمع يهود مصر حول هذا المعبد المقدس الجديد فى مدينة بيت مقدس جديدة أيضاً وقد كان للطوائف اليهودية فى مصر معابد متعددة يتعصبون لها وقد خالف يهود الاسكندرية أونياس على بناء معبد جديد وكان منهم من يعتقد أن معبد بيت المقدس معبد مقدس لا يجوز أن يكون له مثيل وكان معهم فى ذلك طائفة أخرى من السامريين الذين بنوا معبداً فوق جبل جارىزاين وقد اعترفوا بأن أجدادهم بنوا ذلك المعبد بسبب الجفاف الذى أصابهم مضافاً إلى ذلك أنهم كانوا يعتقدون فى بعض الخرافات القديمة فاعتادوا أن ينتظروا اليوم الذى يسميه اليهود السبت ثم أقاموا معبداً ولكن دون أن يسموه فوق جبل جارىزاين Garizeim أو جارىريم وكانوا يقدمون فيه القرابين المناسبة وتعصبوا لمعبدهم هذا ضد الآخرين المستمسكين بمعبد بيت المقدس ولكن يهود الاسكندرية لم يوافقوهم على ذلك واحتجوا بأن « بيت المقدس هو أفدم وأشهر معبد فى العمورة كلها » (١٤١) وعند السكندريين من اليهود كان من أسباب خوفهم أن يقوم أحد بتهديم هذا المعبد الفلسطينى أما عن رأيهم فى معبد جارىزاين فإن أحداً من اليهود لا يشعر بوجوده كل يغنى على ليله إذ يختلف سكان الاسكندرية فيما بينهم فالسامريون منهم يتعصبون لمعبدهم على جبل جارىزاين والسكندريون اليهود تعصبوا لمعبد بيت المقدس ولكنهم يجتمعون مختلفين كل عند رأيه فى مواجهة مطمع أونياس بناء معبد بدلاً من معبد القدس

السامريون تعصباً لمعبدهم والآخرون يصرون على ألا يكون لمعبد المقدس بديلاً ولا قريناً وقد كان ذلك حال كل الجاليات اليهودية في مصر من اختلافات طائفية وتعصب كل طائفة لمعبدتها الذي أقاموه كما سنرى .

استغل أونياس الرابع المنافسة والعداء السياسى بين المقدونيين في مصر وفي سوريا فبنى معبده على غرار معبد القدس بدقة بالغة إلا أن هذا الذى أقيم في مصر كان أصغر وأقل مساحة من المعبد الأصيل في فلسطين وقد سمح محب أمه بذلك بعد اشتراطات وتوجيهات لمراعاة الدقة في تطبيق الشريعة اليهودية وتحميل كل المسؤولية لأونياس في عدم اتباع حدودها أو الخروج عليها .

والواقع أن اليهود لم يتفقوا فيما بينهم فأراد أونياس بطموحه أن يؤلف بينهم و يقوم فيهم كموسى في أول الأمر بأن ينشئ معبداً لهم يلتقون حوله و يتحدون و يتماسكون ضد الانتهاكات التى ارتكبتها المقدونيون من حكام سوريا في بيت المقدس القديم من محاولاتهم صبغ اليهود بالصبغة الهيلانية وتحويلهم عن ديانتهم ولذا فقد أنشأ أونياس معبده في ليونتوبوليس على أن يكون مطابقاً تمام المطابقة لمعبد بيت المقدس ومعترفاً به من يهود مصر جميعاً وقد شجعت نبوءة النبى أشعيا الذى عاش قبله بستمائة سنة كما ذكرنا في مطلع هذا الفصل و يعلق جوزيفوس تعصباً لعنصر يته على هذه النبوءة بقوله أنه من المؤكد أن سينشأ معبد في مصر للرب الأعظم على يدى رجل يهودى مؤيداً بذلك رغبة أونياس في اقامته المعبد غطاء شرعى لاقامة معبده فأنظر تكملة هذه النبوءة في أشعيا الآية (٢١) الاصحاح ١٩ « وفي ذلك اليوم يعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب » ليقنع كل اليهود بذلك ثم ليقنع أيضاً بطليموس ليوافق وهو غير يهودى على طلبه وكما سنذكر فإن اثبات بترى Petrie وجود أثر هذا المعبد الذى كشف عنه في تل اليهودية في ١٩٠٦ دليل صادق على صدق هذه النبوءة ونجاح أونياس في مسعاه لاقامة المعبد .

ولكن أونياس لم يسلم من معارضة مخالفيه من يهود الاسكندرية وسخريتهم منه وعلى وجه الخصوص معارضة أبيون Apion الرومانى أبرز ممثلى الغالبية المضادة والمناهضة للسامية في الاسكندرية فعلى عادة السكندريين على طول العصور كانوا يسخرون من الحكام والعظماء بالنسكيات اللاذعة فاتخذوا من مشابهة اسم أونياس في اليونانية وقربه من لفظ Ònos (أونوس) أى الحمار واتخذوا من هذه التسمية مادة للسخرية منه وأسموه بالحمار (أنظر جوزيفوس الثانى الفقرة الخامسة) وكانت تلك عادة أهل الاسكندرية التى جرت عليهم غضب الحكام الرومان من الأباطرة القساة مثل كراكلا وأمثاله وقد عانوا من جراء ذلك آلاماً ومذابح وقسوة شديدة اليمة .

وأما Bevan فيقول بأن اليونانيين قد حرفوا اسم Onias . أونياس على أساس صلة غامضة بالحمار . Onos . أونوس الذى حسب ظن سائد أو عقيدة عامة أن اليهود قد عبدوه أى عبدوا الحمار وربما يكون لقول بيفان صلة بانتماء اليهود أصلاً إلى الإله ست إله الشر عند المصريين والذى ربط المصريون اليهود به كأبناء له عندما أراد اليهود أن تكون لهم صلة بالتقاليد المصرية كما أسلفنا القول واعتبرنا أن هذا الربط بين اليهود وست كان بمثابة « قرار بإعلان مقاومة العنصرية » وكان الحمار حيوان ينتمى إلى ست ولذا كان أونياس في نظر السكندريين يهوداً ومعادين للسامية حماراً .

نجح أونياس في أن يقيم معبده في قدس جديدة مصرية في بلدة ليونتوبوليس بمنطقة عين شمس وكان بها معبد مهدم للإلهة (يوباستيس إلهة الحقول) وقد ورد اسمها في نبوءة أشعيا ضمن الخمس مدن التى ستتکلم لغة كنعان من مدن يسكنها اليهود في هذه المنطقة جوشن سابقاً وقد كانت مدينة يوباستيس الحقول أو ليونتوبوليس مليئة بالأشجار والحيوانات المقدسة بجانب معبدها المتهدم الذى أزاله أونياس بأمر الملك وبنى مكانه معبداً كما يقول جوز يفوس — فكان تصميمه صورة طبق الأصل من معبد القدس ولكن أقل منه مساحة وأصغر منه (١٤٢) ثم عين له أيضاً لاويين أو كهنة من جنسيته أى من اليهود .

أى أن أونياس قد أنشأ معبداً انشاء جديداً لمعبد أورشليم لأنه أولاً رأى فلسطين وقد أذاها ودمرها ملوك سوريا من المقدونيين وقد ذاق هو نفسه مرارة ذلك سابقاً وقد كان طموحاً كبير الاطماع فأشبع طموحه وكسب لنفسه شهرة واسعة وعزاً دائماً شامخاً كما يشهد بذلك جوز يفوس (١٤٣) .

كان ذلك الاضطهاد المقدونى في فلسطين لمحاولة أن يصبغوا اليهود بالمسحة الهيلانية مع الدين اليهودى والقدس أيضاً وتحويلهم عن ديانتهم . وقد كانت هذه السياسة سبباً في نشأة حزب من بين اليهود هيلانى فكان هؤلاء الرؤساء من كهنة أورشليم من هذا الحزب أسماء أخرى يونانية بجانب أسمائهم السامية أسوة بالهيلانيين كما ورد في جوز يفوس فيما سبق ويزيد على ذلك قوله أن بعضاً من هؤلاء الرؤساء كان يغرى القوم بالتخلي عن اليهودية ومن بين هؤلاء رئيس الكهنة السابق أونياس الثالث الذى كان يسمى أيضاً بالاسم اليونانى Menelaus وكان من أجل احتفاظه بالسلطة لنفسه يرغم قومه على معصية شريعتهم (١٤٤) .

استأذن هونيا بطليموس محب أمه وكليوباترا بعد أن أتى إلى مصر ومعه ناس كثيرون من اليهود من فلسطين الذين يصفهم جوز يفوس بالأرثوذكس استأذنها أن يبنى معبده فأذن له الملك ولكن بعد أن احتاط في أذنه له أن يكون المعبد حسب الشريعة الموسوية وحمل هونيا مسئولية أى خطأ أو مخالفة دينية من جراء عمله ثم يسدى إليه النصيح ويحذره من أن مدينة ليونتوبوليس مدينة

وثنية مليئة بالحيوانات المقدسة بالنسبة للمصريين حتى لا يتعرض هونيا لما تعرض له فيما سبق بعض اليهود وغيرهم من مضايقات عنيفة قاتلة من المصريين وهكذا كانت محافظة بطليموس في مصر على اليهودية وتشدده في مراعاة شريعة موسى في بناء المعبد على خط مستقيم ضد ما يقوم به ملوك سوريا المقدونيين في فلسطين من تحويل اليهود إلى الهيلانية فأراد البلاط المصري اغتنام هذه الفرصة لأن يحافظ على اليهودية سليمة دون أن يجحد أى إنسان قيد أنملة عن شريعة موسى أو أن تشوها شائبة من بدع حتى من اليهود أنفسهم ، ينافسون بذلك المقدونيين في فلسطين اظهاراً لما يقتربون من أخطاء وكسباً لليهود موحدين ضدهم .

ثم أذن الملك هونيا بإزالة المعبد القديم هناك ثم نبه هونيا بأن هذه المدينة مكان وثنى أى أنه لا يناسب إقامة معبد فيه ولكنه سمح له بعد ذلك بإقامة المعبد وكان ذلك خاصة استناداً إلى نبوءة أشعيا مشروطاً أن يكون هذا المعبد وفق شريعة موسى (١٤٥) .

وقد كان الملك وهو الوثنى وليس يهودياً في رده على طلب هونيا حريصاً على ألا يغضب رب اليهود محافظة منه على عدم اغضاب بقية القوم في مصر وحرصاً منه على اتحادهم جميعاً لصالح مصر ضمن سياسة البلاط المناهضة للملوك الشام أصحاب السلطة في فلسطين التي فقدوها الملك فيقول هونيا في رده : حتى « لا تظهر كمن يغضب الإله » (١٤٦) .

فكان حرص البلاط السكندري في اخلاء مسؤوليته من أى خطأ يقع من هونيا حتى لا يسمح لأى حساسية تغضب اليهود الموالين للملك ويخرج سياسة البلاط الذي يريد لهم متحدين ويخاف أن ينفطر تجمعهم فيتفرقوا متنافرين فيمكن اغراء بعضهم بالانحياز إلى بيت المقدس الفلسطيني فالملك وحاشيته والمصريون يعرفون سهولة تلونهم وعدم تجانسهم واختلاف مذاهبهم الشديد إذ أنهم قد أتوا إلى مصر من جهات عديدة كما حدث في فلسطين الحديثة في عصرنا وما نراه فيهم من خلاف بينهم في العقائد الخاصة والشئون الاجتماعية ورغم كل ذلك فقد سخر السكندريون (من أونياس) يهود و يونانيون ورومانيون معادون للسامية وعلى رأسهم Apion - أقوى أبرز ممثلى جماعة مناهضة السامية وقد خصه بالذكر جوزيفوس أنه سخر من هونيا في حين أنه يجب أن يشكره ثم أطلق كل السكندريين على هونيا اسم الحمار وقد كره المصريون العبرانيين قبل اليهودية فكانوا يسخرون منهم وهزءون بهم وكانوا يطلقون عليهم أيضاً فيما مضى لقب الحمار بعد أن نسبوهم في تقاليدهم وأساطيرهم الأولى إلى ست إله الشر والحمار من حيوانات إله الشر هذا وكان ذلك منهم اعلاناً بمعاداتهم للعنصرية ومقاومتها قديماً ولكن رغم ذلك أقام هونيا معبده ومذبحه في مصر اللذين يشبهان معبد بيت المقدس تماماً إلا في الحجم والمساحة فقد كان أصغر وأقل مساحة من معبد القدس في فلسطين (١٤٧) ولم يكن ذلك قول جوزيفوس فقط بل أثبت ذلك وصدق عليه الأستاذ - | Petrie في اكتشافاته في

ليوننتو بوليس كما سيأتى بدقة تامة فى مطابقة هذه الأوصاف وهذا أصدق دليل على صحة رواية جوز يفوس .

إن هذا لدليل واضح على ما كان يتمتع به اليهود فى مصر من مكانة وتسامح وكانوا هم أيضاً متعاطفين مع الهيلانيين وكان للهيلانية فيهم أثر كبير فكانوا مرتين فى معاملتهم مع المصريين واسعى الأفق فى معاشيتهم لهم حتى لنجد يهود أسوان وكانوا جالية يهودية كبيرة مصرية Juivrie égyptienne حارة يهود مصرية فى الصعيد لهم فيها معبدهم وشريعتهم نافذة فيما بينهم فكانوا يحلفون بيهوا Jahua إلههم ولكن فى معاملاتهم مع المصريين يحلفون بالالهة ساتى Sati احتراماً للإلهة الشلالات المصرية ودليل على هذا التعاطف أيضاً ما قام به الكاتب اليهودى فيلو Philo من محاولة الربط بين الفكر اليهودى والفكر اليونانى كما يذكر Petrie وعلى العكس من ذلك يستمر اضطهاد اليهود الذى بدأه انتيوخوس الأكبر خليفة الاسكندر فى فلسطين فى محاولاته أن يجعلهم يتجهون إلى الحضارة الهيلانية وأن يصطبغوا بها وما قام به من اغراء عنيف لتغييرهم فكان ذلك سبباً فى سخطهم عليه ولعنوا الاسكندر الأكبر معه ووصفوه بابليس فهو الذى أتى بانتيوخوس من بعده !؟ أما فى مصر فبعد أن أقام هونيا المعبد وعين اللاويين من اليهود طلب من الملك أن يعينه رئيساً أعظم للكهنة كما ذكر جوزيفوس فاكتمل معبد القدس المصرى وبإذن الملك بدأت ممارسة العبادة فيه وتم اجتماع الجالية الجديدة بأرض جوش مرة أخرى بعد عودة اليهود إليها بشكل يخالف تجمعهم الأول ويخالف أيضاً انغزالهم الثانى بقيادة موسى فى هذه المنطقة فكانت الصحراء الشرقية دائماً بالنسبة لهم نقطة تجمع دينى ففى هذه المرة كان التجمع بقيادة هونيا لقاء دينياً متنبأ به فى التوراة على لسان أشعيا النبى ومحددة مدته بخمس مدن « ستتكلم لغة كنعان واحداها يقال لها مدينة الشمس » وقد اسماها اليهود مدينة « معسكر اليهود » أى قلعة لهم جديدة فى مصر ولكنها لم تكن أرض ميعاد ، وبنى فيها هونيا المعبد والمذبح ثم قلعة أو حصناً للإله الأكبر كما ورد فى نبوءة أشعيا وثبت فعلاً وجوده فى ليونتو بوليس عن طريق كشف بنزى عنه فى (تل اليهودية) وقد ظل المعبد قائماً يعمل حتى عهد الامبراطور تيتوس Tithus الرومانى فى القرن الأول الميلادى فتوقف بعد أن أغلقه .

أثار تشجيع نبوءة أشعيا الكاهن الأعظم هونيا لبناء المعبد شكوك المؤرخين فى أن هذه النبوءة مدسوسة لصالح هونيا ولكن ذلك اغراق فى الشك فى كلام جوزيفوس الذى كان هو بدوره يحسن هذه الشكوك فى مجتمع عصره فأكدتها كما ذكرنا فى مطلع هذا الكلام مع أن الآثار التى اكتشفت فى تل اليهودية تؤيد صدق هذا المؤرخ فى هذا الصدد ولكن نبوءة أشعيا قد شجعت أيضاً البلاط السكندرى فى نفس الوقت فقد وجد فيها مبرراً خاصة بالنسبة لجميع طوائف اليهود بمصر الذين يصدقون هذه النبوءة فقد وجد فيها البلاط الملكى مبرراً للموافقة على

طلب هونيا وكان ذلك اقتناعاً من البلاط باجماع اليهود على الرغبة في تنفيذ هذه النبوءة التي وردت في كتابهم المقدس وكانت أيضاً أهم ما ساقه هونيا من حجج لتجميع اليهود حول هذا المعبد خاصة الذى يعبدون فيه ربه على طريقة وعادة آبائهم كما يقول جوز يفوس ثم يقول هونيا حاثاً الملك على الموافقة على طلبه أن اليهود بذلك سيزدادون تشدداً ضد انتيوخوس (١٤٨) الذى نهب ودنس معبد بيت المقدس وانهم سيكونون أقرب إليك بصدقاتهم وسيجتمع منهم نفر كبير جداً عندك في مصر حول المعبد لتسامحك الدينى (١٤٩) .

وفد كانت موافقة البلاط السكندرى لهونيا مبنية على أساس هذه السياسة التي شرحها لنا هونيا في كلامه للملك بهدف انضمام أكبر عدد ممكن من يهود فلسطين لمصر بل هو بسماحة لهونيا باقامة المعبد انما أراد أن يجتذب اليهود من فلسطين إلى مصر لناهضة ملوك سوريا المسيطرين على فلسطين ثم كانت موافقة الملك على تعيين هونيا كطلبة رئيساً للكهنة في معبد القدس المصرى متمشية مع سياسة مصر أن تكسب زعيماً دينياً يهودياً ذا نفوذ سياسى كبير .

وفعلاً كان لهذا الاقتراح أثره الايجابى خاصة فيما تصوره هونيا فقد تجمع اليهود واحتشدوا في هذه المنطقة وانتشروا في منطقة جوشن شرق فرع دمياط بمدنها التي تكلمت لغة كنعان وأولها مدينة ليونتوبوليس بيت المقدس المصرى والمدن الأخرى التي تنبأ بها أشعيا الذى عاش قبل ستمائة عام قبل هونيا أو تزيد كما ذكرنا وكانت مدينة الشمس التي من المحتمل أن تكون قد سميت باسم المنطقة كلها أى منطقة الشمس كلها كانت هذه المدينة لمناسبة وجود معبد المقدس الجديد والقلعة والمذبح هي التي أطلق عليها اليهود الأرثوذكس مدينة المعسكر . هذه المدينة وما جاورها في منطقة جوشن كانت أكبر « حارة يهود » في التاريخ أسست في مصر .

لقد كان لهذا المعبد الجديد في مدينة القدس الجديدة بمصر ميزتان أرادهما له رئيس الكهنة أونياس أولاهما مطابقتها التامة لمعبد القدس في فلسطين الذى بناه سليمان ولكن المعبد المصرى كان أقل من الفلسطينى حجماً ومساحة كما قال جوز يفوس ثم أنه لذلك يكون هو المعبد الذى أقيم على شريعة موسى وهذا كان شرط بطليموس الأساسى لبنائه وكما أثبتت ذلك حفائر بترى في تل اليهودية كما سنرى .

ثانياً: بناء هذا المعبد الجديد بتصریح خاص من بطليموس يتضمن توجيهاته المتشددة وتحذيره من مغبة ما قد يترتب على بنائه على غير الشريعة من آثار لخلافات اليهود فيما بينهم فكان ذلك شبه اعتراف من الملك بهم ويعطى لهونيا الشرعية السياسية في وجود معترف به وكذلك كان تعيين الملك هونيا رئيساً للكهنة في ذلك المعبد .

كذلك وجد البلاط في نبوءة أشعيا مقنعاً لليهود بضرورة تنفيذها والالتفاف حول المعبد الذى تنبأت به ولهذا كان شرط الملك بوجوب أن يكون المعبد على شريعة موسى فأنظر أى شرعية وأية حماية اكتسبها هذا الكاهن الأعظم بدهائه وتدييره ! ثم هو لا يفوته أن ينوه للملك

بالناحية السياسية المترتبة على اقامة المعبد فيستحثه على الموافقة على طلبه هذا مشيراً إلى أن اليهود المقيمين في مصر إذا ما تألفوا في وفاق حول هذا المعبد يخدمون مصالح الملك (١٥٠) .

وقد كان هونيا بطموحه يصبو إلى ذلك فيجمع اليهود جميعاً في أنحاء مصر تحت رياسته وقد كانوا كثيرين غير من صحبوه في رحلته من فلسطين إلى مصر في أحياء مدنها الكبيرة أى حاراتهم اليهودية وكانوا يتوافدون على مصر كما يقول الأستاذ الكبير جوجيه من أقدم العصور وقد كان انتشارهم فيها أبْتداء من العصر الصائى كما ذكر في كتاب تشنية الاشتراع Deuteronomie وقد هاجر منهم عدد كبير بعد أن استولى بختنصر

Nabuchodnosar على القدس في ٥٩٦ ق . م . وكما تذكر البرديات الارامية من

فيلاي Philae كانت هناك جالية عربية يهودية وكان لها معبد ليهوا

Jahiya وكان يحترمه قبيز وكذلك كانت في الأقصر جالية من جنود يهود كانوا

تابعين لأحد حكام الاسكندر في طيبة ثم في الفيوم أيضاً وكذلك اكتشفت في مدافن الابراهيمية القديمة في الاسكندرية مقابر يهودية من عهد البطالمة الأول ويقول هونيا في طلبه الذى قدمه للمملك لبناء معبده كما يخبرنا جوز يفوس ، أن جميع هذه الجاليات لم تكن معظم معابدها مقامة وفق الشريعة اليهودية كما يجب أن تكون عليه ولذا فهم متنافرون غير متفقين (١٥١) .

وقد صدق هونيا في مقارنته انشقاق اليهود على بعضهم بسبب تعدد معابدهم غير الشرعية بما قد لاحظته بين المصريين كذلك فكثرة المعابد للمصريين واختلاف آرائهم حول العبادة وأشكالها قد جعلهم غير متفقين (١٥٢) أصاب هونيا في خطته هذه إذ قد أجمع كل المؤرخين اليونانيين الذين زاروا مصر من قبله ومن بعده من هيرودوت إلى ديودوروس على ذلك فكما يقول بلوتارخوس فيما ذكرناه أن كل مديرية في مصر كانت تقدر حيواناً وتتعصب له وقد وصل الأمر فيما بينهم بسبب ذلك إلى حد التورط في الاقتتال وأنزل بعضهم ببعض أضراراً كبيرة (١٥٣) ثم يذكر ذلك أيضاً سترابون ثم يأتى ديودوروس و يفسر ذلك الاختلاف في العبادات فيقول أن أحد الملوك اشتهر بالذكاء فقسم البلاد إلى أقسام وأمر كل جزء أن يقدسوا حيواناً خاصاً بهم وأن يمسكوا عن بعض الأطعمة المعينة وكان القصد من ذلك أن كل مجموعة تعبد ما عندها ... الخ وبذلك « لا يمكن لسكان مصر جميعهم أن يجتمعوا على رأى » (١٥٤) ظاهر مهما كان هذا الرأى أن أجمع كل المؤرخين على اختلاف المصريين فيما بينهم بسبب العبادات .

لذلك كان يريد هونيا اعتبار معبده صورة طبق الأصل من معبد القدس الفلسطينية قاصداً بذلك أن يترك اليهود معابدهم الخاصة لكل جالية منهم في مصر ويحجون إلى معبد يلتقون و يلتفون و يأتلفون حوله في مدينة ليونتوبوليس في مديرية الشمس (١٥٥) فاعتبار معبده هو الأصل على الشرعية دعوة لتجمع اليهود في مصر حوله في قدسه الجديدة حتى لا ينظرون إلى قدس فلسطين الذى دنسته الهيلانية وكان ذلك رداً على سياسة المقدونيين من حكام سوريا إزاء بيت المقدس

ورؤساء الكهنة فيه من حزب اليهود الهيلانيين وقد كانت هذه السياسة موافقة لسياسة البلاط السكندري مما جعل رد الملك على طلب هونيا يوصيه فيه أن يكون معبده وفق الشريعة اليهودية كما ذكرنا ثم يذكّر جوزيفوس أن الملك في رده على هونيا قد حمّله مسؤولية أي خطأ أو مخالفة لقانون الشريعة و يعلن أن كل خطأ يقع على رأس هونيا (١٥٢) .

والواقع فعلاً أن بطليموس كان شديد الاهتمام بأن يكون تجمع اليهود على حدود مصر الشرقية بمثابة وجود فلسطين كلها في قبضته ، فلسطين أورثوذكسية لا فلسطين الهيلانية الثائرة المنشقة أحزابها على بعضها البعض ، فالواقع أن التنازع على فلسطين بين ملوك مقدونيا في مصر جنوباً وسوريا شمالاً قد خلق موقف اليهود الجديد في جوشن أي أرض هونيا وهو الذي أوحى إلى مصر بسياسة تشجيع تجمع اليهود والمضطهدين في فلسطين على يدى انتيوخوس ابيفانيس Epiphanes . فقد قبل البلاط السكندري العمل بسياسة جميع العناصر المناهضة الشائرة الغاضبة من اليهود الأرثوذكس من محاولة ملوك سوريا فرض الهيلانية عليهم وتحويلهم عن دينهم ومطاردة المتشددين من الأرثوذكس المستمسكين بشريعتهم والرافضين الخروج عليها وقد أدت سياسة هؤلاء الملوك السوريين إلى قيام حزب من اليهود الهيلانيين وآخر من اليهود الأرثوذكس وقد تهاافت حزب الهيلانيين منهم على السلطة في القدس وقد انضم اليه رؤساء الكهنة الهيلانيين أيضاً وفي ١٧٥ ق . م قدم Jeshua . يشوا اخوهونيا الثالث وكان اسمه الهيلانى Monelaus (أنظر جوزيفوس ١٢ ، ٢٣٧ ولويب ملاحظة

(١٤٤) كما ذكرنا للحصول على منصب رئيس الكهنة رشوة بلغت ثلثمائة تالنت من الفضة ومعها ثمانين تالنت أخرى جزية وتبرع بمبلغ مائة وخمسين تالنت لإنشاء جناز يوم للشباب اليهود وقد أهمل بشكل واضح المعبد محترقاً إياه ولم يقدم أصحاب الكهنة إلى كل ما يهتم به الهيلانيون من أعياد وألعاب هيلانية وأرسلت القرابين في أعياد ألعاب هرقل الخمسية في مدينة صور فيما ذكره بترى (أنظر ٣١ ص ٩٧) ولكن مينلاوس يخدع أخاه يشوا الذي بعثه بالجزية إلى انتيوخوس فأزاد عليها ٣٠٠ تالنت وحصل على منصب رئيس الكهنة ثم استولى على أواني المعبد الذهبية وكنوزه وقدم جزءاً منها رشوة ثم باع الجزء الآخر ثم ذبح أخاً له كان صاحب الحق في ولاية رياسة الكهنة قبل أخيه يشوا فقامت على أثر ذلك حرب أهلية مروعة بين الأخوين اليهوديين يشوا ومينلاوس تمكن انتيوخوس من اخادها بعد مذبحه رهيبه في القدس وأوقف استباحة المدينة وأخذ منها ١٨٠٠ تالنت كما يقول بترى (٣١ ص ٩٨) .

بعد ذلك تحول المقدس إلى معبد لزئوس أوليمبيوس واحتفل اليهود الهيلانيون المتوجون بأكاليل الغار بأعياد الديونيسيا وأصبحوا يأكلون اللحم على غير قواعد الدين وكان كل من يتمسك من اليهود بعادات السبت Sabbath . وعادة الطهارة جزاؤه الاعدام .

تلك كانت رزايا الهيلانية فيهم ومعاناتهم منها في فلسطين انشقاق حتى بين حزب الهيلانيين

اليهودى الواحد بسبب السلطة وشقاق بين هذا الحزب المنشق على نفسه وبين حزب اليهود الأرثوذكسى وزاد فى فرفة هؤلاء الفرقاء وفى تدهور الموقف كله فى القدس الأطماع السياسية الخارجية ، بينما كان فى مصر تشجيع لتجمعات اليهود الأرثوذكس بقيادة هونيا الرابع وتسامح وعطف دينى لم يعرفه اليهود وحرص على وحدتهم ومراعاة وحفاظ على اليهودية الحقنة وحرص البلاط السكندرى عليهم من التنازع حتى أدى كل ذلك إلى قيام هونيا فى جوشن إن جاز أن تسمى هذا التجمع حول القدس الجديداً فى ليونتوبوليس بمنطقة عين شمس فكان هونيا كما أراد أن يكون ذلك اليهودى الذى سخرته الأقدار كموسى لتجمع دينى يهودى جديد كما ورد فى نبوءة أشعيا وكما يوردها جوزيفوس تلك النبوءة التى شجعت هونيا على تصميمه على إقامة معبد فى مدينة مقدس مصرية جديدة ومذبجاً جديداً وقلعة أى فى مدينة ليونتوبوليس والكل مماثل تماماً وبدقة لبيت المقدس الأولى فى فلسطين و يكون هونيا كما يقدمه لنا جوزيفوس تعصباً وزيادة فى تحيزه (الرجل اليهودى الذى على يديه بنى معبد تل اليهودية) حسب نبوءة أشعيا كما ذكرنا .

هذا هو اليهودى الذى خلف موسى فى جمع اليهود من جديد فى مصر على أرض غير القدس الفلسطينية وعلى البقعة من الأرض المصرية التى جمع عليها موسى اليهود برسالته قبل الخروج من مصر ويشير جوزيفوس إلى تلك الاختلافات الدينية بين اليهود فى الاسكندرية التى حدثت بين فرقهم المتنابهة ممن يعتقدون أن بيت المقدس هو الوحيد الذى بنى على شريعة موسى ولا يجوز استبداله بغيره وبين السامريين الذين يتمسكون بمعبدهم المقام على جبل جارىزين Garirein . والذى باعترافهم أن آباءهم بسبب الجفاف الذى كان يصيبهم ولاعتقادهم فى بعض الخرافات القديمة اعتادوا أن يحافظوا على اليوم الذى يسمى عند اليهود السبت Sabbath ثم أقاموا معبداً فوق جبل جارىزين دون أن يسموه — وكان ذلك فى عهد الاسكندر — و يقدمون فيه الأضاحى المناسبة (١٥٧) .

فعلى ذلك يكون معبد هونيا بمطابقته التامة لمعبد أورشليم هو الوحيد الذى بنى على شريعة موسى كما يؤكد بعض اليهود فى قول جوزيفوس (١٥٨) رغم أن بعض الحاخامات يعتبرون معبد هونيا هذا غير كامل الشرعية (ملاحظة ١٣٦ ص ٢٩٩) .

وكما يقول الأستاذ بترى الذى قام بالكشف عن هذا المعبد فى حفائره بتل اليهودية أن آثار هذا المعبد وجدت فوق تل صناعى مرتفع حوالى ٦٠ قدماً كما ذكرت النصوص وأن رجوع اليهود لاجئين إلى مصر مرة أخرى بسبب اضطهاد انتيوخوس ايبفانيس لهم فى فلسطين ظاهرة آثاره فى تل اليهودية أى مدينة ليونتوبوليس القديمة التى تبعد عن القاهرة بنحو عشرين ميلاً إلى الشمال وأن وجود هذا التل فى تل اليهودية يتفق اثرياً فى كل التفاصيل مع موقع معبد بيت المقدس وأن بلدة تل اليهودية هى حقيقة مدينة ليونتوبوليس (١٥٩) .

أما مطابقة الأبحاث الأثرية والحفائر التي قام بها في القدس فلندرس يترى
Flinders Petrie مع أورشلیم فتثبت صحة ما ورد في جوز يفوس عن مطابقة

معبد هونيا بالقدس الجديدة لمعبد سليمان في بيت المقدس بفلسطين كما ذكرنا فكان أول ما ظهر
في حفائر بترى بتل اليهودية هو التل الذي قام عليه المعبد تماماً كما هو الوضع في قدس فلسطين
والتل الصخري الطبيعي الذي أقيم فوقه المعبد ولكن مع فارق واحد أن المعبد في القدس تله من
الصخر كما ذكر ذلك سترابون فيما سبق ذكره في حين أن التل الذي وجد في مدينة أونياس أو
القدس الجديدة كان تلاً اصطناعياً من الرمال و يقول بترى أنه لذلك كان من اللازم أن تكسى
جوانب هذا التل الاصطناعي الرملی بجدران من الأحجار الضخمة حتى يمكن بناء المعبد الجديد
عليه ليكون مطابقاً تماماً للوضع في أورشلیم فيكون صورة طبق الأصل منه كما فعل موسى كقول
سترابون وقد وجد بترى هذه الجدران الحجرية على جوانب التل الرملی في تل اليهودية وكانت
بنفس الارتفاع الذي ذكره جوز يفوس أي ٦٠ قدماً وقد تراءى له عند زيارته للموقع في زمانه
بشكل برج وكان الوضع كله مخالفاً لشكل معبد القدس (١٦٠) .

كان هذا هو الوضع الذي وجد عليه المعبد في مدينة أونياس فالتل ليس برجاً وإنما اقتضت
طبيعة أرض التلین المختلفة في القدس على أرض فلسطين الصخرية وفي ليونتوبوليس على رمال
الصحراء الشرقية في مصر فكما يرى الأستاذ بترى أنه يجب أن تحاط جوانب التل في مصر بهذه
الجدران ذات الأحجار الضخمة البيضاء فيتماسك التل ولا تنهار رماله عند إقامة المعبد عليه فبدأ
التل للناظر وكأنه يربحاً مرتفعاً كما خيل لجوز يفوس وهذا رأى شيخ الاثريين كما ظهر له في
الحفائر بتل اليهودية لا كما بدأ لجوز يفوس ولا كما ظن لويب أن هذا الجزء من كتاب تاريخ
جوز يفوس إنما هو تذييل صحيح فيه المؤرخ وصفه لمعبد أونياس فالواقع أنه لم يدرك حقيقة الوضع
الذي كان عليه معبد أونياس فقد قام على أرض ليونتوبوليس الصحراوية باقليم الأونيون أو
أرض أونياس أو جوشن القديمة منطقة تجمع اليهود المتزمتين المتشددین أي الأرثوذكس وكان هو
البديل لمعبد القدس بعد أن صار معبداً لزيرس أو ليمبيوس .

ولكن قيام هذا المعبد كان مدعاة للأسف عند بعض اليهود المخلصين لمعبد سليمان في
فلسطين وخاصة في نجاح منافسة معبد أونياس لمعبد سليمان وطبعاً كان هذا دليل واضح على أن
اليهود وجدوا فيه حصناً حمى اليهودية من المارقين عليها في فلسطين . وقد أراد الملك وهوليس
يهودياً بالطبع أرضاء اليهود الأرثوذكس في مصر الخاصين للحزب اليهودي الهيلاني في فلسطين
من أنصار البيت المالک في سوريا فكانت احتياطات البلاط السكندري وتشده ونصائحه
وحرصه على أن يلقى على عاتق أونياس نفسه مغبة كل خطأ أو مخالفة للشرية كما ذكرنا عن
جوز يفوس وأن يقيم أونياس معبده على شريعة موسى وكان ذلك من البلاط المصري بزراعة
سياسة لجذب كل المنشقين من اليهود على سوريا وسياستها إلى جانب مصر وكان أونياس من

جهته بعدما آل معبد المقدس إليه من سوء حال مصمماً على أن يجدده في مصر بإقامته معبده
متشجعاً بنبوذة أشعيا مما يعطيه تعصيذاً دينياً في نظر اليهود وكان الملك أيضاً حريصاً على هذا
فكان لكليهما ما أراد والتف حول هذا المعبد الذي وصفه Bauché.

Lealerq بوشيه لوكليرك (١٦١) بأنه معبد منشق - Schism
atique التفت حوله تلك الجالية اليهودية الأرثوذكسية الكبيرة في جوشن القديمة أي
أرض أونياس الحديثة الموالية لمصر تحت رئاسة الكاهن الأكبر أونياس الرابع وكما ذكرنا كانت
هذه الجالية أكبر حارة يهود حتى أنهم لكثرتهم أمكنهم أن يوقفوا باحتشادهم على حدود مصر
الشرقية أمكنهم إيقاف القوات التي أتت لمساعدة قيصر فيا بعد في زحفها إليه في الاسكندرية
وقد كان ولاء هونيا لبطليموس محب أمه شديداً وخدماته كبيرة للملك والملكة بعده حتى أن
الملك أسند إلى هؤلاء اليهود مناصب خطيرة في الدولة وهونيا بالذات أسند إليه قيادة الجيوش
البطلمية مما يدل على تأكد بطليموس من إخلاصه له وما اكتسبه أونياس من ثقة الملك والملكة
معاً وكان من هذه السياسة أن ضمن الملك وقوف جانب كبير من يهود فلسطين إلى جانبه ضد
انتيوخوس رغم اغتصابه فلسطين من مصر فكانت سياسة البلاط المصري ذات أثر فعال
فأصبحت مسيطرة على فلسطين وجعلتها شوكة في جانب خصومهم في سوريا وأصبح يهود
الأونيون حامية على حدود مصر الشرقية ضد سوريا .

ليت الملك قد تركهم جميعاً فدخلوا في الهيلانية وحال بينهم وبين أن ينزلوا بأنفسهم مرة
أخرى إذن لكانوا قد استؤنسوا وتحضروا وزال عنهم انطوائهم وما غرس في نفوسهم من عقد ولما
توجسوا الشر من غيرهم ولما تحفزوا دائماً ضد الآخرين ولما تعصبوا لأنفسهم ضد سائر البشر
والأديان حتى أصبح شعارهم الآن أننا حلوا أنهم « يهود قبل كل شيء » فتوحشوا ونفروا من
الناس أجمعين فسخر منهم العالم وأصبحوا أينما وجدوا منعزلين كما عزلوا أنفسهم في أرض أونياس
أكبر حارة لليهود في التاريخ .

هكذا أثرت المسألة اليهودية مرة ثانية في مصر وتجددت مشاكلها بشكل آخر بعد موسى بطل
الخروج في الأول ولكن كان للسامية في المرتين الأولى والثانية وجهان ففي عهد موسى بطل
الخروج كان يطلب النجاة لقومه ودينه من نير فرعون الذي تمسك بمنعهم من الخروج من أرض
مصر ولكن موسى حاول ونجح في الخروج بل بالهرب بقومه ودينه طالباً النجاة والأمان خارج
مصر بعيداً عنها .

وفي المرة الثانية كان بطلها هونيا أو أونياس الرابع فهو بطل العودة إلى مصر والتجمع اليهودي
الثاني فيها بلجوثه إليها مستغيثاً ببطليموس فيلوميتور مستنجداً ومستجيراً ليحميه وقومه ويهوديته ،
أن يغنيه من عبث العابثين بدينه وذل عسفهم واغراء المارقين من اليهودية بالتحول عن شريعته
فتغنيته مصر متساعمة كريمة وتحميه ودينه وشعبه وتيسر له المكان لاستقرارهم باستيطانهم في جزء

من أرضها وإقامة معبد جديد وإنشاء قدس جديدة في مدينة من مدنها وتوفير لهم عبادة آمنة مطمئنة وحرية إقامة شعائرهم وطقوسهم على طريقة آبائهم الأولين وقد اعترف بذلك مؤرخوهم بما يؤكد كتابهم المقدس كما ورد في نبوءة أشعيا (٢١ / ١٩) « فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم و يقدمون ذبيحة وتقدمة و يندرون للرب نذراً و يوفون به » فلا خوف ولا اضطهاد ولا قهر بل بعث جديد لهم ومحافظه على يهوديتهم وما يعتقدون .

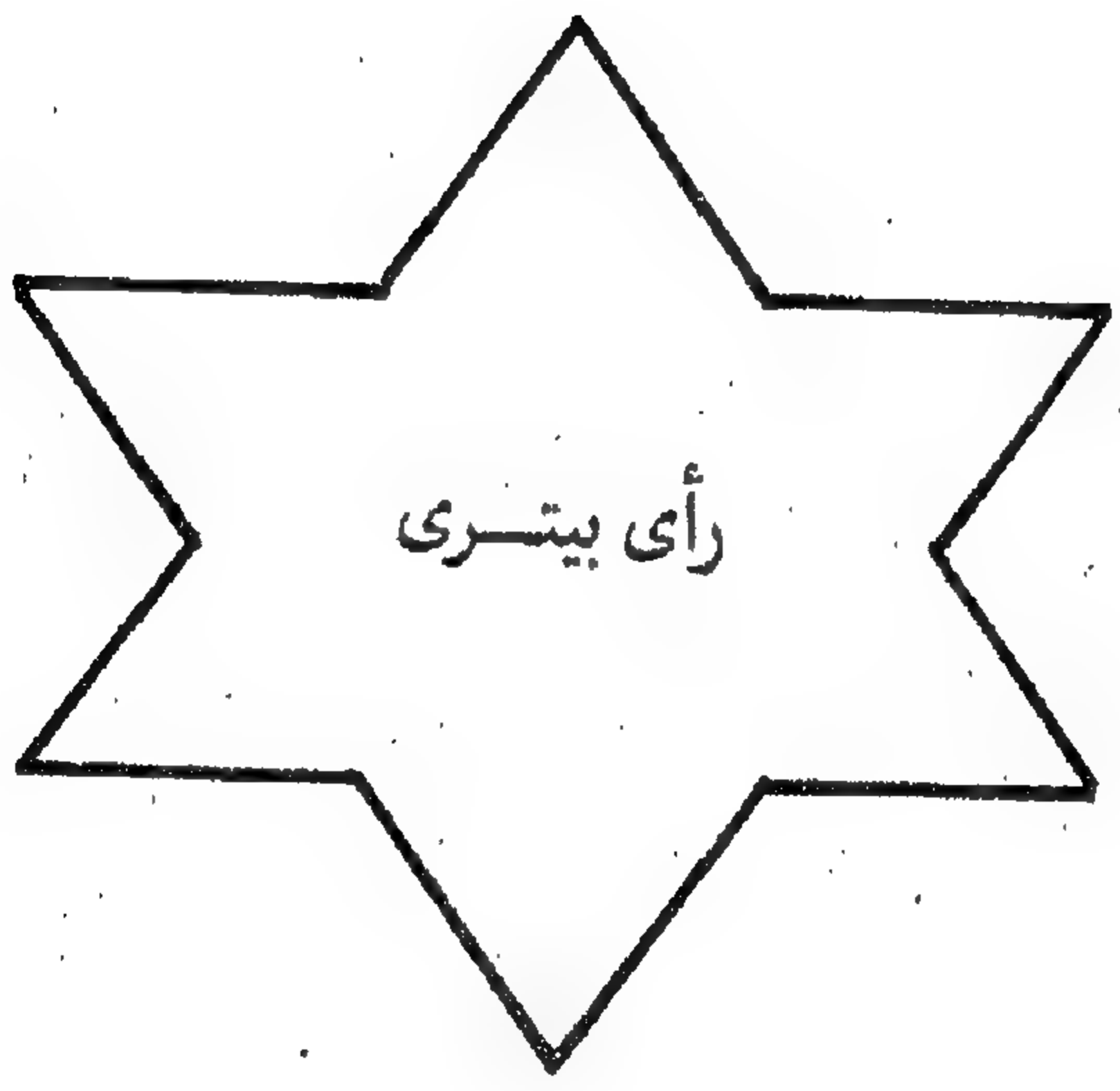
ولكن لما حان وقت اختبار ولائهم واستمساكهم بالوفاء للعائلة التي آوتهم وآمنتهم مما يخافون تبين أن الوفاء والولاء أوهى وأضعف ما عندهم ففيا بعد عندما كان قيصر يحارب في الاسكندرية بعد مطاردته خصمه يومبي وكانت قوات له مساعدة من اليهود في طريقها إلى الاسكندرية لشد أزره تمكنت هذه الجالية في أرض أونياس كما كانت تسمى تمكن هؤلاء المقيمين بأرض أونياس أو هونيا أن يقفوا في وجهها ويمنعوها (١٦٢) فإلى هذا الحد يمكن أن نتصور مقدار هذا الحشد من السكان اليهود في هذه المنطقة أو الدويلة اليهودية من حيث القوة العددية ولكن انتيباتيروس القائد اليهودي الذي كان على رأس جنود النجدة لقيصر في هذه اللحظة أمكنه أن يغري هؤلاء اليهود الأونيين على حدود مصر الشرقية لينضموا إليه بما ذكرهم به من صلة القرابة والدم بين كل اليهود عامة (١٦٣) أي أن انتيباتيروس قد أثار فيهم عنصريتهم التي نشأوا عليها واتخذوا اليهودية لها سلاحاً عنصرياً فهي موضع الخطر والتقلب والتلون والخيانة القاتلة .

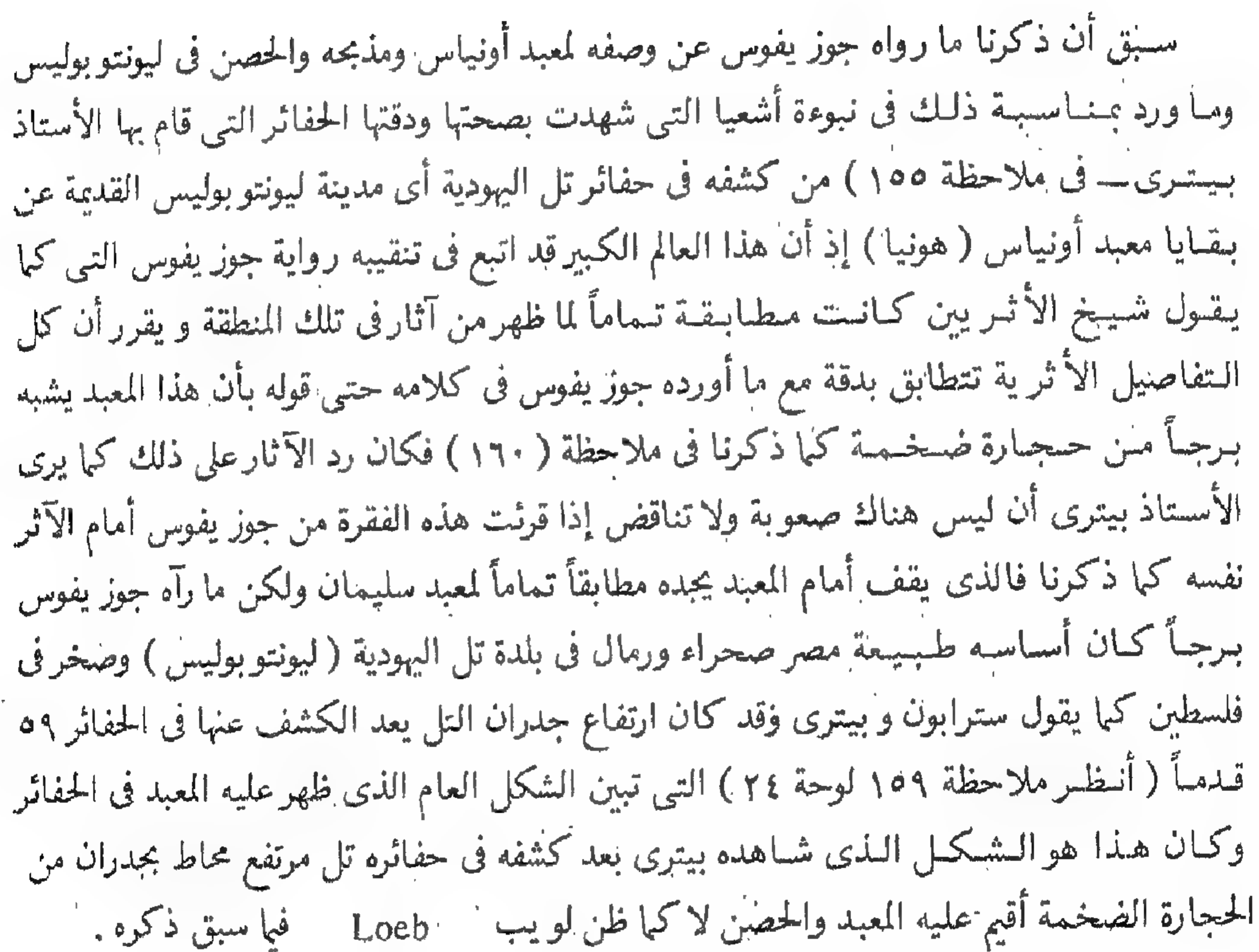
انقلب الأونيون اليهود إلى جانب القوات العسكرية اليهودية التي أتت لنجدة قيصر لاسيما عندما أراهم انتيباتيروس خطاب رئيس الكهنة في المقدس الفلسطيني Hyrkannos هيركانوس وفيه يحث اليهود مخاطباً العنصرية فيهم أن يكونوا جميعاً على صداقة لقيصر وأن يستقبلوا قواته بالكرم ويمدونها بكل احتياجاتها (١٦٤) .

هكذا أضاعت فيهم العنصرية والسياسة قيم الصداقة والاعتراف بالجميل لعائلة البطالمة وما كان لها من فضل عليهم واستجابوا لمن كانوا يخشون على دينهم منهم المارقين من اليهودية من اليهود الهيلانيين في فلسطين الذين عانوا من ملوك مقدونيا السوريين على عكس الأونيين الذين حظوا بصداقة وكرم البطالمة في مصر وهم الأقوياء الذين يمكن أن يكونوا محايدين ولكنهم بتلك العنصرية القبلية القائمة على قرابة الدم واليهودية مها كان اختلافهم لم تؤثر فيها أية صداقة أو فضل عليهم يأتي من غير يهودي فأخضعتهم السياسة وأذعنوا لعنصريتهم فأطاعوا رغبات انتيباتيروس ورئيس الكهنة (١٦٥) كذلك انضم أسوة بهم جاليات يهودية قرب منفيس إلى القائد اليهودي الآخر ميثريداتس إذ أنهم لما أن سمعوا أن الأونيين قد انضموا إلى قيصر دعوا بدورهم ميثريداتس فأتاهم وضمهم إليه (١٦٦) .

هكذا كان الأونيون أسبق المستعدين على مصر بمجودهم أفضالها عليهم وخانوا العائلة التي آوتهم وجمعتهم وحميتهم بدينهم من أعدائهم وأعدائه بدلاً من أن يكون غيرهم من اليهود الذين لم يحفظوا بمثل ما ناله الأونيون من كرم ومودة وعطف وامتنياز ورغم ما غمرتهم به مصر من خيراتها بوجودهم بأرضها وحماتها كان فريق أونياس أو هونيا البادئين بل وسار على حذوهم في النكران والتنكر اليهود الآخرون فخانوا بلداً أكلوا عيشه واستظلوا بحمايته ودانوا له بحياتهم فقابل كل يهود مصر من أونيين وغير أونيين السماحة والكرم بالكفر والعدوان فسرعان ما انقلبوا إلى عدو في أرض يعيشون بين أهلها ويد لعدوان العادين عليها فكان طبعهم غلاب وتعصبهم لعنصريتهم أقوى وأنانيتهم ومصلحتهم أشد وأكبر من أن يثبتوا على عهد أو أن يعترفوا بجميل فإنضم الجميع إلى القائد اليهودي وعسكره من اليهود وسعوا معه لنصرة المعتدين من أبناء روما البلدة الهيلانية الصغيرة الناشئة الطموحة الحاقدة على الاسكندرية أم الدنيا وأكبر مدن العالم إذ ذاك وحاملة مشعل الحضارة بعد أثينا الخالدة أم القرى وقد كان فضلها على اليهود عظيماً لا ينكره إلا اليهود أنفسهم .







198

التي أقيم عليها التل عدداً كبيراً من أفران عيد الفصح صفتت في خطوط ومجموعات ومبنية من الطوب الأحمر سعة الواحد منها قدامان وارتفاعه قدامان ونصف القدم و يضيق الفرن كلما ارتفعت نحو الفوهة وكأنه خلية نحل مفتوحة من أعلا (٣١ ص ١٠٥) ووجد بهذه الأفران رماد وقود الخشب وقد أوقدت هذه الأفران كلها حتى إجماع الجزء الذي يحيط بها على سطح الأرض تحت الأفران وحولها وقد وجدت فوق الرماد بداخل الأفران بعض عظام أرجل الخراف وقد طابق هذه كله مراسم احتفال عيد الفصح تماماً فوق هذه الأفران يشوون الخراف (١٢ / ٣ سفر الخروج) ثم أن هذه الأفران تدل على أنها قد استعملت جميعها لفترة معينة ولم تكن للاستعمال العادي للطبخ فقد وجدت كلها على مستوى سفح التل الرملي تدفن جميعاً في وقت واحد عند تكديس رمال التل عليها . و يفسر بترى ذلك بأنه عندما تأسس هذا المقدس الجديد دعى أونياس إلى اجتماع ضخيم من رؤساء القبائل والعائلات اليهودية في مصر فحضروا إلى هذا المكان من كل أنحاء مصر التي انتشروا فيها (ملاحظة ١٥٥ ص ٢٢) وعلى أرض مدينة الشمس أي القدس الجديدة تراصت الأفران مجموعات لكل قبيلة في خطوط تماماً كما يجري في عيد الفصح (الخروج ١٢ / ٣ وما بعده) وبعد غروب الشمس مباشرة توقد الأفران و يعلو اللهب من آلاف الأفران هذه وتذبح الخراف أيضاً بعد الغروب مباشرة وتشوى على نيران الأفران في هذا الاحتفال المهيب وبعد الانتهاء من الأكل يقوم الجميع فيهيلون الرمال على الأفران الموقدة فتخمد اللهب وهكذا كانوا يبدأون تأسيس المدينة الجديدة بأن يميئوا نيران الأضاحي (١٥٩ ص ١٠١) وفي هذا معنى عميق كما يقول بترى ومغزى بالغ الأهمية رغم أن هذا العمل ليس صواباً تماماً ولا حلالاً صرفاً إذ كانت العادة عند الكنعانيين أن يضحوا بولد (أنظر فؤاد حسنين ملاحظة ٢٠) يضعونه تحت أساس ما يبنون أما في العصر اليهودي فقد تغير هذا الأمر فقد استعوض عن التضحية بآدمي بالتضحية بالنار فقد عثر في فلسطين في أساس أحد المباني على مصباح كان مضاء وغطى بإناء وهكذا تطور الأمر « فأخذ النار وإماتها أصبح عوضاً عن قتل وإخماد أنفاس آدمي » فالروح نارية .

والبواقع أن الأستاذ مونتيه P. Montet قد كشف عن مثل هذه الضحايا الآدمية في حفائره بتانيس أو صان الحجر (أنظر ملاحظة ٢٩ ص ٩٨ - ٩٩) إذ وجد قدرين من الفخار كتابوتين يحتويان كل على هيكل عظمي واحد منها تحت الأبنية والآخر داخلها وفي خارج تانيس أيضاً وجدت الضحايا الآدمية في وادي التوميلات Toumilat . وهو مكان لخط القوافل من فلسطين إلى مصر وكذلك يقرر الاثريون أن مثل هذه الضحايا الآدمية وجدت في كنعان وفي مجدو وفي جزر جيذر Gezer ثم يقول مونتيه أنه رغم احتجاج الأنبياء اليهود من أهل هذه البلدان فإن الاسرائيليين المرابطون في فلسطين كانوا يذبحون الأطفال و يضعون رفاتهم في أساسات المباني وعن تانيس يقول أن هذه الضحايا الآدمية قد أخذها

المصريون عن الاسرائيليين بعد حرب الكفرة وانتصار آمون عندما أقام بسوسينس Psousenes المعبد الذى وجدت كل طوبة منه مختوم باسمه (أنظر ملاحظة ٢٩ ص ٩٨ - ١٠١) وهذه العادة كانت قاصرة على الأماكن التى يتردد عليها الساميون الاسرائيليون فقط دون أى أثر لها فى أماكن أخرى بمصر ثم أنظر أيضاً (فؤاد حسنين فيما سبق ملاحظة ٢٠) .

فوجود هذه الأفران تحت التل الرملى فى تل اليهودية بهذا العدد الهائل وعلى أوسع نطاق أى بمدينة ليونتوبوليس تحت رمال التل الاصطناعى لإقامة المعبد عليه كان مصداقاً أيضاً لنبوءة أشعيا « يعرف الرب فى مصر و يعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم و يقدمون ذبيحة وتقدمة و يندرون للرب نذراً و يوفون به » (١٩ / ٣) .

ثم يكتشف بترى أيضاً ركاماً ضخماً من عظام الأضاحى اليومية بالمعبد ملقى خارج المدينة إلى الشمال ثم قبل ذلك وجد Naville شواهد مقابر يهودية على الطريق من مدينة أونياس إلى أحد الأماكن فى الصحراء .

فكثرة هذه الأفران يشبت تماماً وبوضوح ما قصده أونياس حسب ما ذكرناه سالفاً عن جوز يفوس إلى ما كان يريد من تجميع اليهود حول هذا المعبد فجعل من رؤساء القبائل والعائلات اليهودية المستوطنين فى مصر كما ذكر بترى شركاء فى إقامة المقدس المصرى الجديد فكانوا كلهم مجتمعين ومجمعين على هذا أى إقامة قدس ومعبد ومذبح مع قلعة لله الأكبر منفذين بذلك نبوءة أشعيا .

فكل الدلائل الاثرية من وجود المعبد فوق التل الرملى المصطنع بأحجار جدرانها الشاهقة بما وجد تحته من آلاف الأفران للأضاحى تشير إلى حشد يهودى ضخم فى يوم تأسيس قدس جديدة كان يعتبر عيد فصيح للعودة إلى مصر والرجوع إليها بعد الخروج من أورشليم هرباً من نير انتيوخوس بعد أن كان عيد الفصح للخروج من مصر .

ثم أن الكشف عن تحصين قوى لهذه البلدة يخالف كل تحصين وجد فى مصر ووجود مدينة كاملة على مستوى هضبة مرتفعة صمم مكان المقدس فيه بنفس نسب معبد سليمان فى القدس الفلسطينية أمامه صالة داخلية وخارجها صالة خارجية وكان اليهود يشتركون فى بنائه بتقديم الطوب مهمتهم القديمة فى عهد الفراعنة التى كانوا يحيدونها وكانت هى سبب شقاوتهم كما ثبت من العثور على شقفة الحجر كما ذكرنا والتى تحمل اسمين يهوديين لشخصين يعملان فى ذلك مع وجود آلاف من أفران الأضاحى فى أساس التل لإنشاء المعبد فوقه ثم ركام العظام المحروقة للأضاحى اليومية خارج مدينة ليونتوبوليس ثم وجود شواهد المقابر اليهودية ثم ما وجد خارج المدينة من آثار تشير فى دلالة ثابتة إلى وجود القدس الجديدة وإنشائها فى مدينة الشمس أو

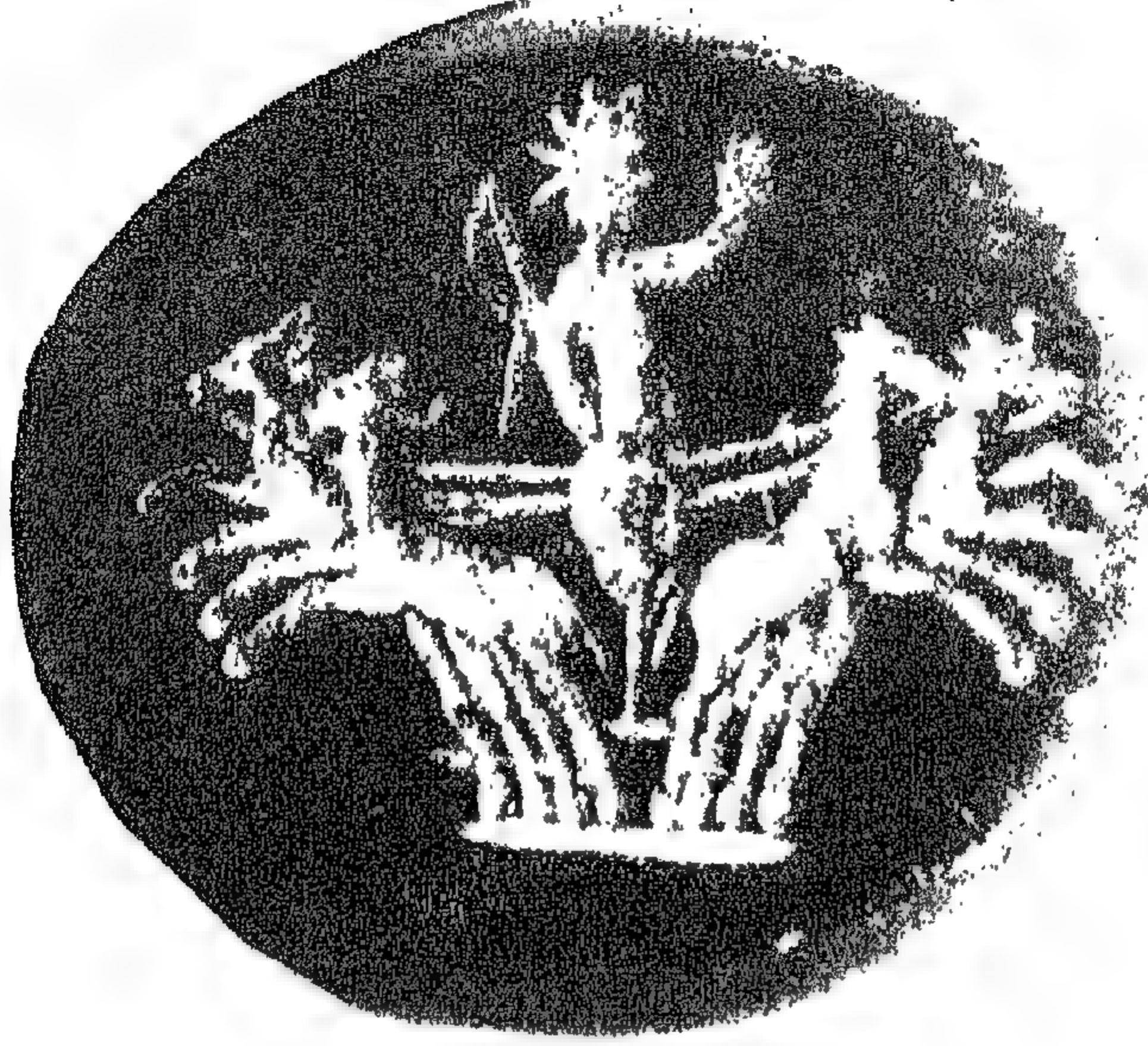
ليونتبوليس المصرية يشير كل هذا إلى أنها كانت مدينة مقدسة صورة صادقة شكلاً وسمة لمدينة القدس في فلسطين .

هكذا كانت العودة إلى مصر بقيادة أونياس رئيس الكهنة الصالح الأرثوذكسي بعد موسى الذي قاده الخروج من مصر قبله وكان كلا الخروج والرجوع من مصر إليها والمقدس الجديد المصري حماية لليهود واليهودية !!

* * *

• • • • •





لوحة (١)

(أ)

هذا مثل ظاهر الدلالة على تأمل المصريين في وقت فراغهم وتفرغهم وقد مثل على فصي
خاتم من عقيق بيشاوى (٧=٩ مم) جسدوا فيه الحكم المطلق فجعلوا رمزه إله الشمس
[صول Sol] المهيمن أى الكوموكراتور واقفاً في عربة كونية تجرها جياذ أربعة وعلى رأسه تاج
الشمس المشع ورافعاً يده وبالأخرى يمسك بمقود الخيول الأربعة التى تمثل العناصر الأربعة
المكونة للكون وهى أشهر الأضداد ومن هيمن عليها جعلها تتسق مع بعضها البعض فيسود
العالم الأمان والاعتدال والتوازن والهارمونية الكونية ومن هنا نشأت نظرية حكم الفرد
الصالح.



لوحة (أ)

(ب)

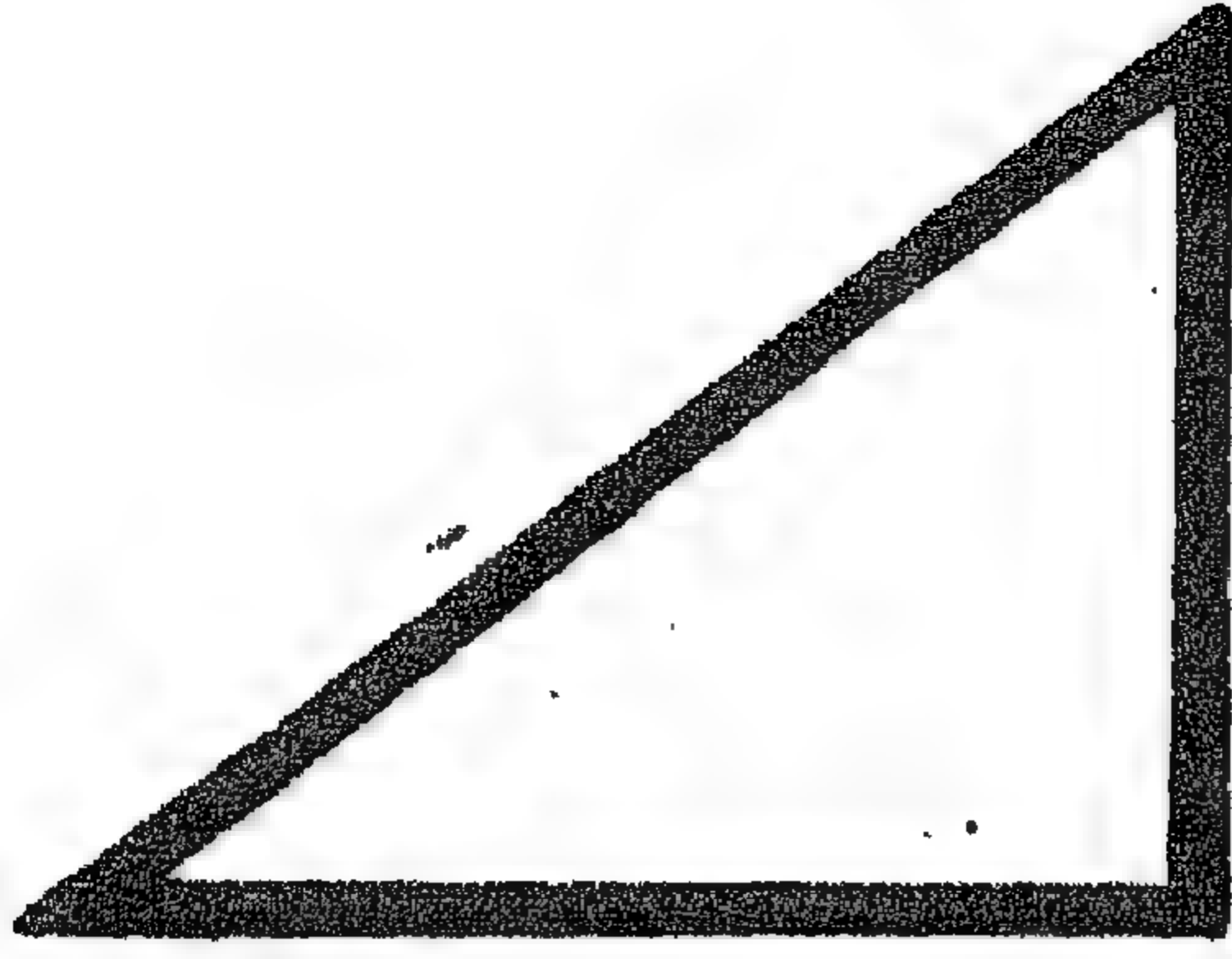
انتشرت عبادة التمساح مرتبطة بعبادة أوزيريس وحورس في أراضي المستنقعات في الدلتا كما كانت في مدينة الفيوم على بحيرة موريس (قارون) وقد اختلط التمساح في الباشيون المصري بشخصيات الآلهة اليونانية الرومانية فمثل على نقود مديرية مينيلاييتوبوليس Menelaïtopolis في الدلتا التي ضربها الامبراطور تراجانوس (القرن الثاني م.) وقد اندمج في الشكل النقدي على الظهر التمساح في حورس كانوبوس عاصمة الاقليم فكان نصفه الأعلى بشكل حورس الآدمي وسابته في فمه وحاملاً قرن البركة على كتفه والنصف الأسفل بشكل تمساح - وكان كنه عبادة التمساح مشابهته للإله الأول في مميزاته وخصائصه كما ورد في بلوتارخوس قوله أن «عبادة التمساح لا تخلو من سبب معقول» - أنظر ملاحظة (٣٤).



قطعة نقود من البللون (فضة غير نقية) من مجموعة النقود الرومانية المسماة نقود الاسكندرية (مكان ضربها) وهى النقود الخاصة بمصر دون بقية الاقاليم الرومانية واستمر ضرب هذه النقود طوال الثلاثة قرون الأولى الميلادية.

على ظهرها: مثل الإله سراجيس الأحد (Heis) وقد توحدت فيه كل الآلهة الأخرى وجمعت الصورة كل رموز هذه الآلهة - فعلى رأسه الموديوس (Modius) مكيال للقمح رمز خصوبة الأرض كما وزيريس ثم على رأسه أيضا قرن الكبش رمز الإله آمون والتاج المشع لزيوس إله الشمس أى هيليوس Helios وخلف ظهره آثار لقرن البركة Cornucopia رمز النيل وأمامه الحربة ذات الثلاث شعب Trident كإله البحر Poseidon بوسيدون اليونانى أو Neptune نبتون الرومانى وعلى ساق الحربة التف ثعبان رمز الإله اسكليبيوس Asklepios إله الشفاء - وتاريخ هذه القطعة من عهد الامبراطور هادريان فى القرن الثالث م.

وهذا تمثيل أيضا كالوحدانية التى ذكرها سترابون على لسان موسى ان الله يشملنا جميعا ويشمل السماء الذى نسميه الكون ويشمل الأرض والبحار.



لوحة (٤) مثلث الخلق

مثلث قائم الزاوية:

العمود - طوله ٣ سم وهو أول عدد فردى فى الاعداد بعد العدد (١) وقد وصفه بلوتارخوس (بالكامل) وهو المذكور هنا يرمز الى اوزيريس اى الاصل .

القاعدة - طولها ٤ سم العدد الذى يساوى مربع العدد (٢) اول عدد زوجى فى الاعداد وهو المؤنث ويرمز هنا الى ايزيس قاعدة الانتاج او المادة المستقبلية .

الوتر - طوله ٥ سم اى خورس اوهاربوكراتس ابن اوزيريس وازيس وطوله مكون من (٣) اى الاب اوزيريس ثم (٢) المؤنث اى الام ايزيس .

وحسب نظرية بيتاجوراس (فيثاغورث) فالمربع القائم على وتر المثلث القائم الزاوية يساوى المربعين القائمين على الضلعين الآخرين وهذا يعنى أن الكل فى واحد والواحد يشمل الكل (انظر بلوتارخوس ايزيس وازيريس 56,344) .

أى الثالث الذى لا يمكن فصل اعضائه عن بعضها فوحدتهم لا تنقسم .



لوحة (٥)

قطعة نقود من مجموعة نقود الاسكندرية من عهد الامبراطور هادريان (القرن الثالث م)؛
على ظهرها: شكل يمثل ثالوث الاسكندرية السماوي، اريس وسراپيس (اوزيريس) وبينهما
الابن هورس أو هاربوكراتيس والكل على ظهر نسر طائر يمثل السماء (برونز).



لوحة (٦)

-١-

(١) فص خاتم من حجر الشيست Schiste مستطيل (٨×١٠ سم) منقوش عليه بالحفر الغائر
عجل ابيس الاله وعلى جانبه الهلال علامة انتسابه للقمر وفوق رأسه نقشت كلمة يونانية
Phylaxai ومعناها احفظنا أو احنا.

العصر اليونانى الرومانى - المتحف المصرى.



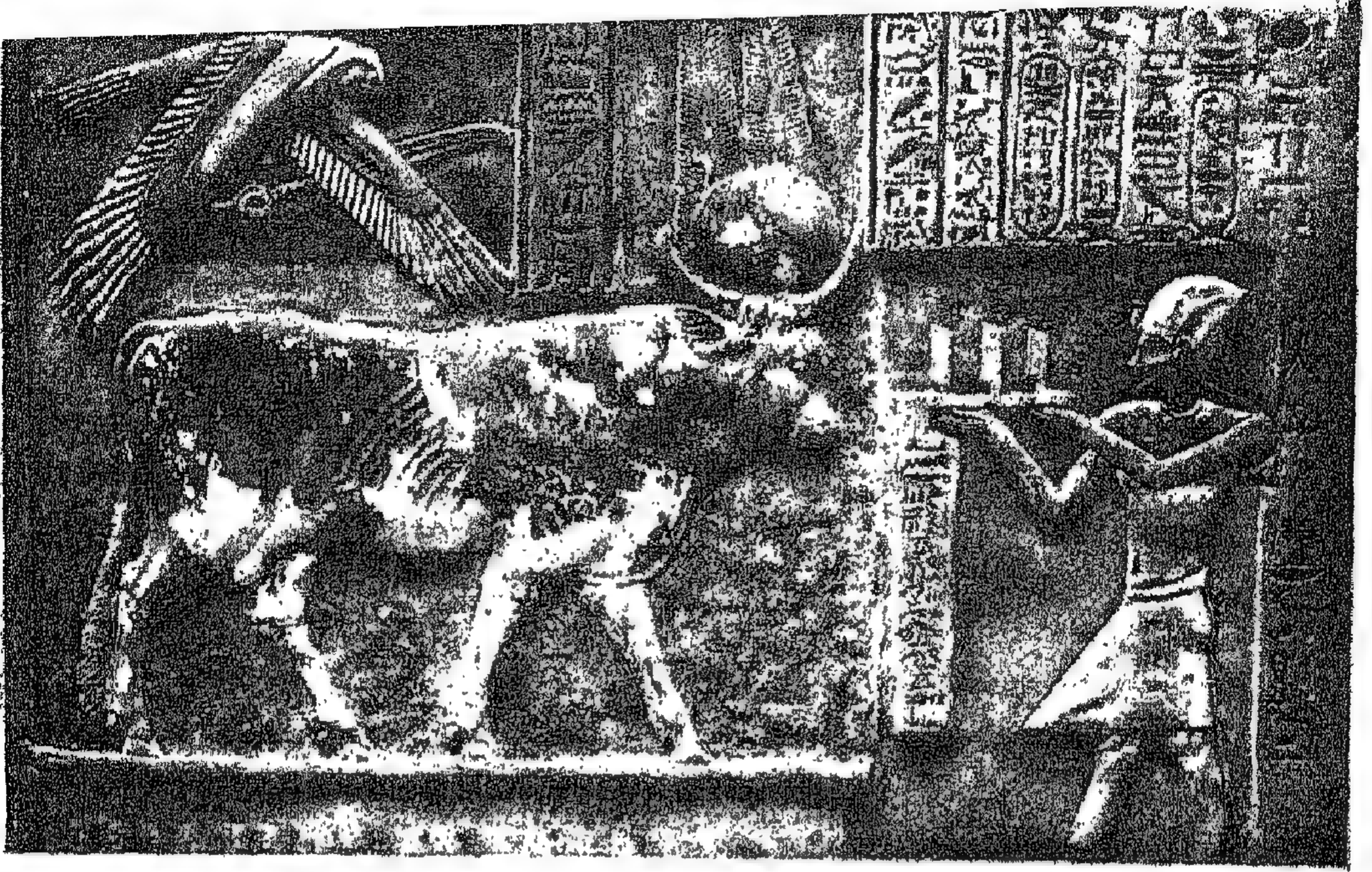
لوحة (٦)

-٢-

لوحة جنائزية من الحجر الجيري اكتشفها الأستاذ مريت Mariette في الباستوفوريون Pastophorion بسقارة لأحد الكهنة من مفسري الاحلام من غير سلك الكهنوت الرسمي بالمعبد، رسم عليها عجل ايبس الإله بالوانه التقليدية الاسود والابيض واقف وامامه مذبح وفوقه نص يوناني:

«افسر الاحلام هبة من الله حظا سعيدا، ومفسر الاحلام هذا رجل من كريت».

وكل عناصر هذه اللوحة مصرية فعلى تاجى العمودين الإلهتان المصريتان ازيس ونفتيس وقد أרך الأستاذ مريت هذه اللوحة في العصر البطلمي (القرن الثاني ق. م.).
المتحف المصرى



لوحة (٧)

هذا الثور أحد العجول المقدسة كاييس وقد تقمصته روح الإله مونثيس Monthis الذي كان حاميًا للملوك الأسرة الحادية عشرة واتحد بعد ذلك بآمون إله الشمس وقد تقمص الإله مونثيس هذا العجل المقدس الذي سمي في العصر المتأخر بوكيس Buckis في مدينة هيرمونثيس Hermonthis (أرمنت) وقد حفر على لوحة من الحجر الجيري حفرًا بارزًا وغطى جسمه كله بالذهب وخلفيته زرقاء بلون السماء وفوقه الصقر (هورس) رمز السماء ويقدم له الحاكم في معبده لوحة عليها ثلاث رش (معت) رمز العدل والحقيقة فهو الإله الحق العادل الذي يهب الحاكم نعمة العدل والحق يعيش بها حياته - برج الثور (الشمس في برج الثور) .



لوحة (٨)

عجل ابيس الإله بالمتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية وتدل صورته بوضوح على أنه ملك الحيوانات كما كان يعتبره المصريون وغيرهم من الرعاة والفلاحين وبن قرنيه قرص الشمس وعليه الحية.

من عهد الامبراطور هادريان (القرن الثالث) متحف الاسكندرية.



لوحة (٩)

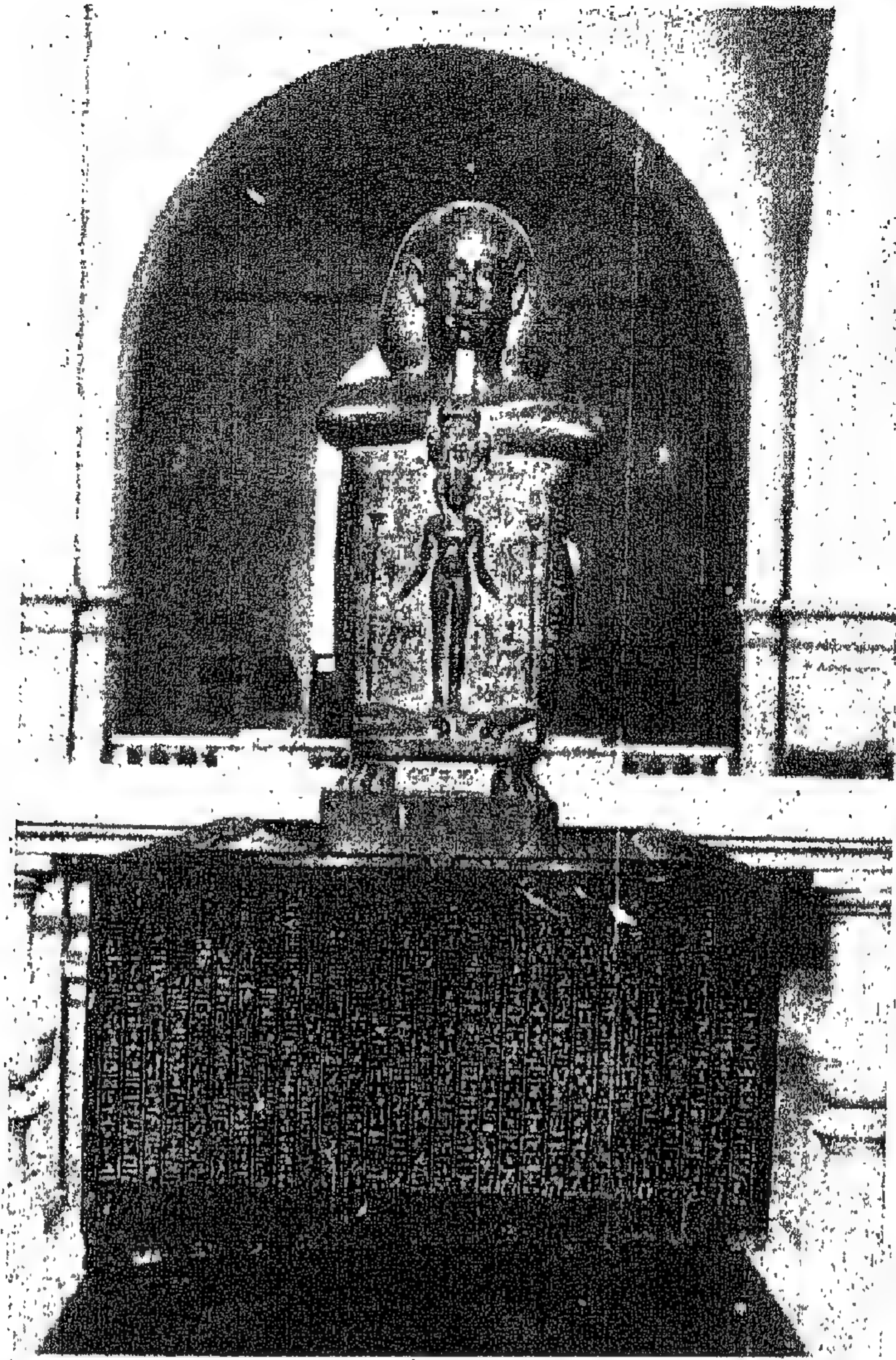
الإله مشرا الفارسي بصرع الثور ويذبحه بسكين في يده ويتعلق برقبة الثور كلب مشرا إله الرعاة
ثم نحت العجل ثعبان يمثل الأرض التي تترى من دم الثور فتخصب وتخضر.

ومشرا على رأسه الكاب ينظر إلى السماء يستلهم الأمر يذبح الثور من إله الشمس - تمثيل
فلكى يرمز إلى الربيع حسب الأبراج الشمسية فتخضر الأرض وتزدهر الدنيا وتدب الحياة فيها
بتضحية العجل - المتحف المصري.



لوحة (١٠)

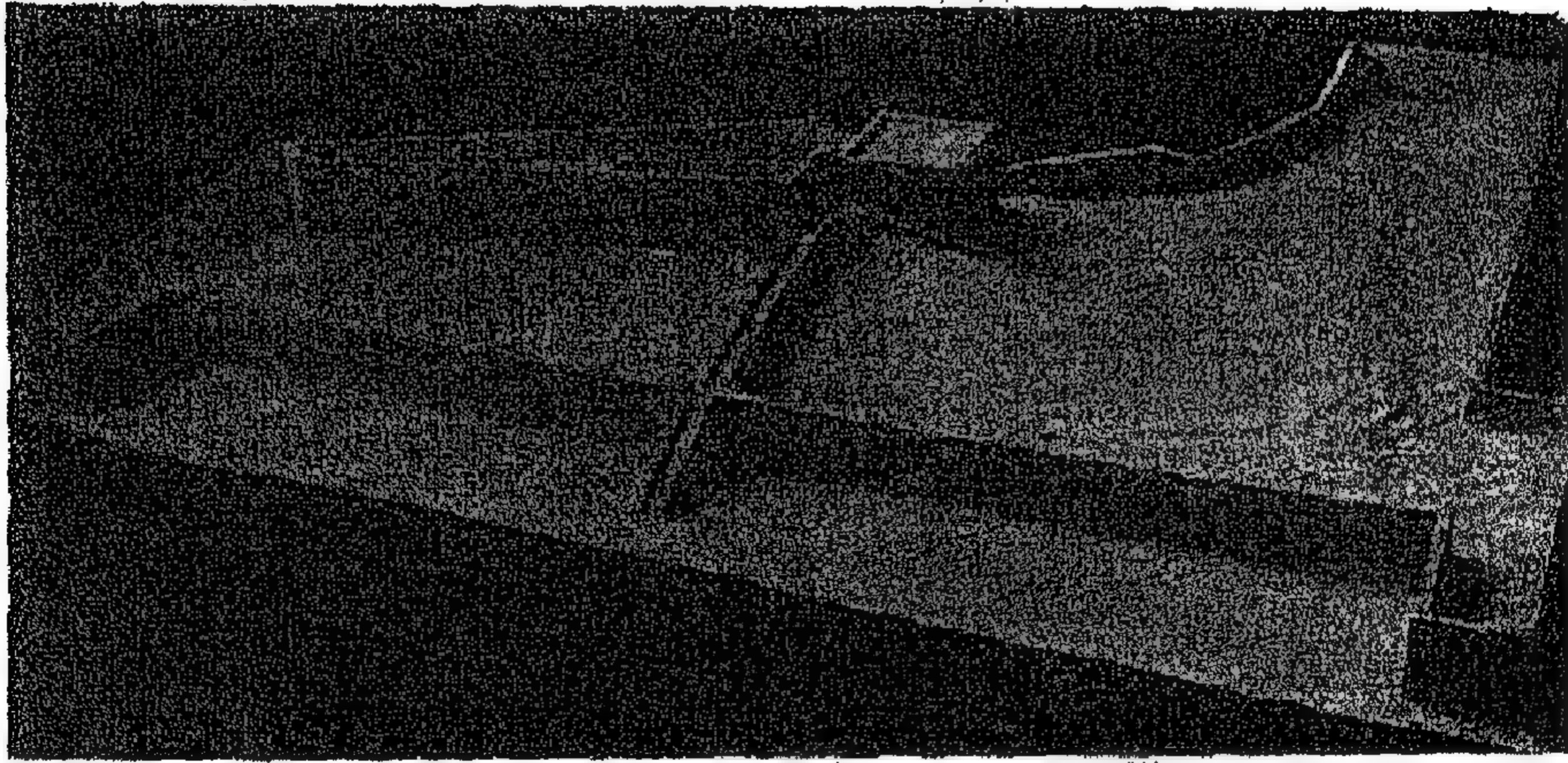
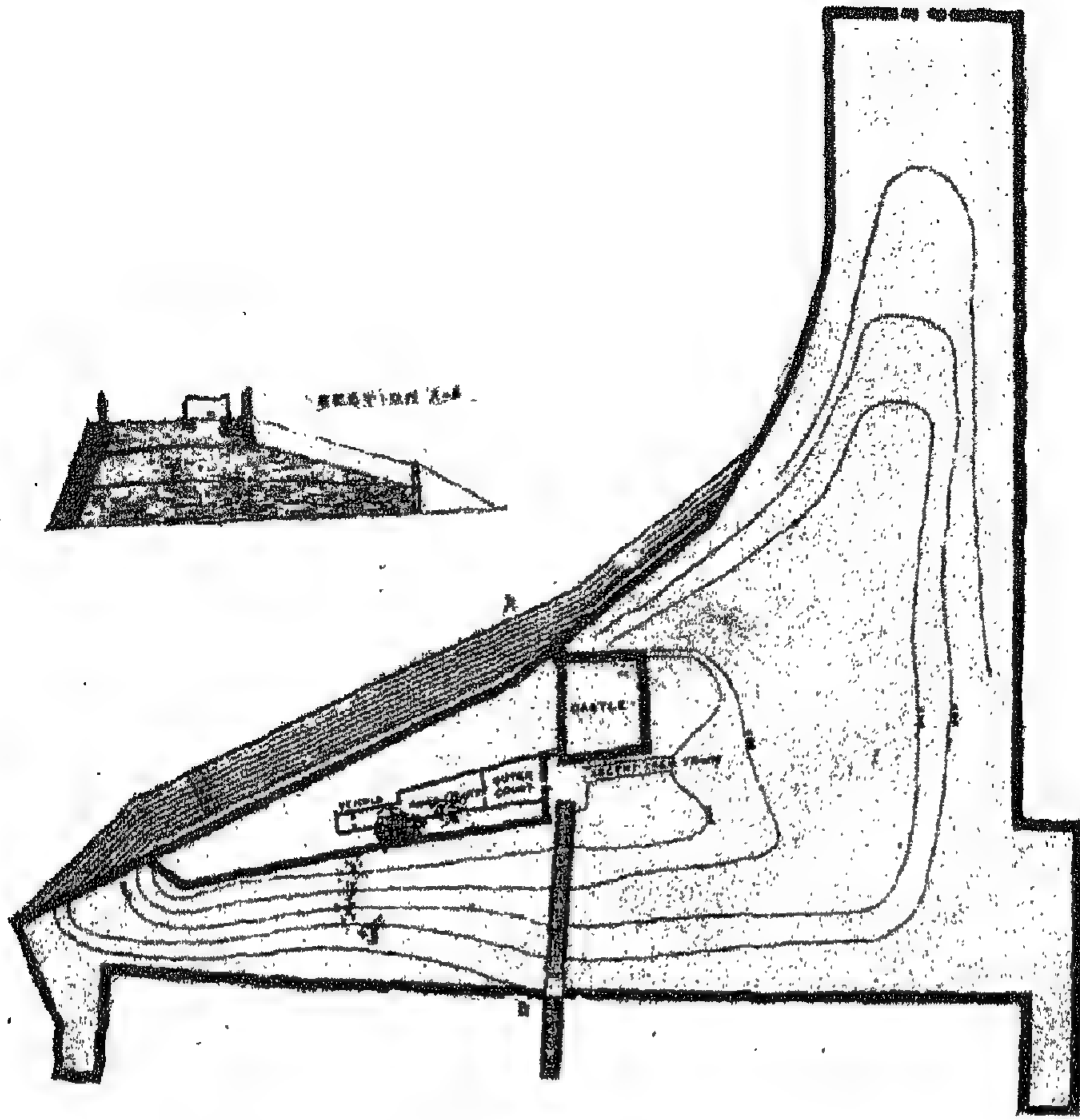
الإله مشرا الفارسي بنفس التكوين في صورة (٩ المقابلة) ولكن رأس مشرا مهشمة إلا أنه واضح تماما كيف يصرع الإله الثور وكيف يمسك بفمه ليذبحه وركبته فوق ظهر الثور وهو يقاوم الإله والكلب متعلق برقبة العجل والنعبان واضحان تماما. المتحف المصري.



لوحة (١١)

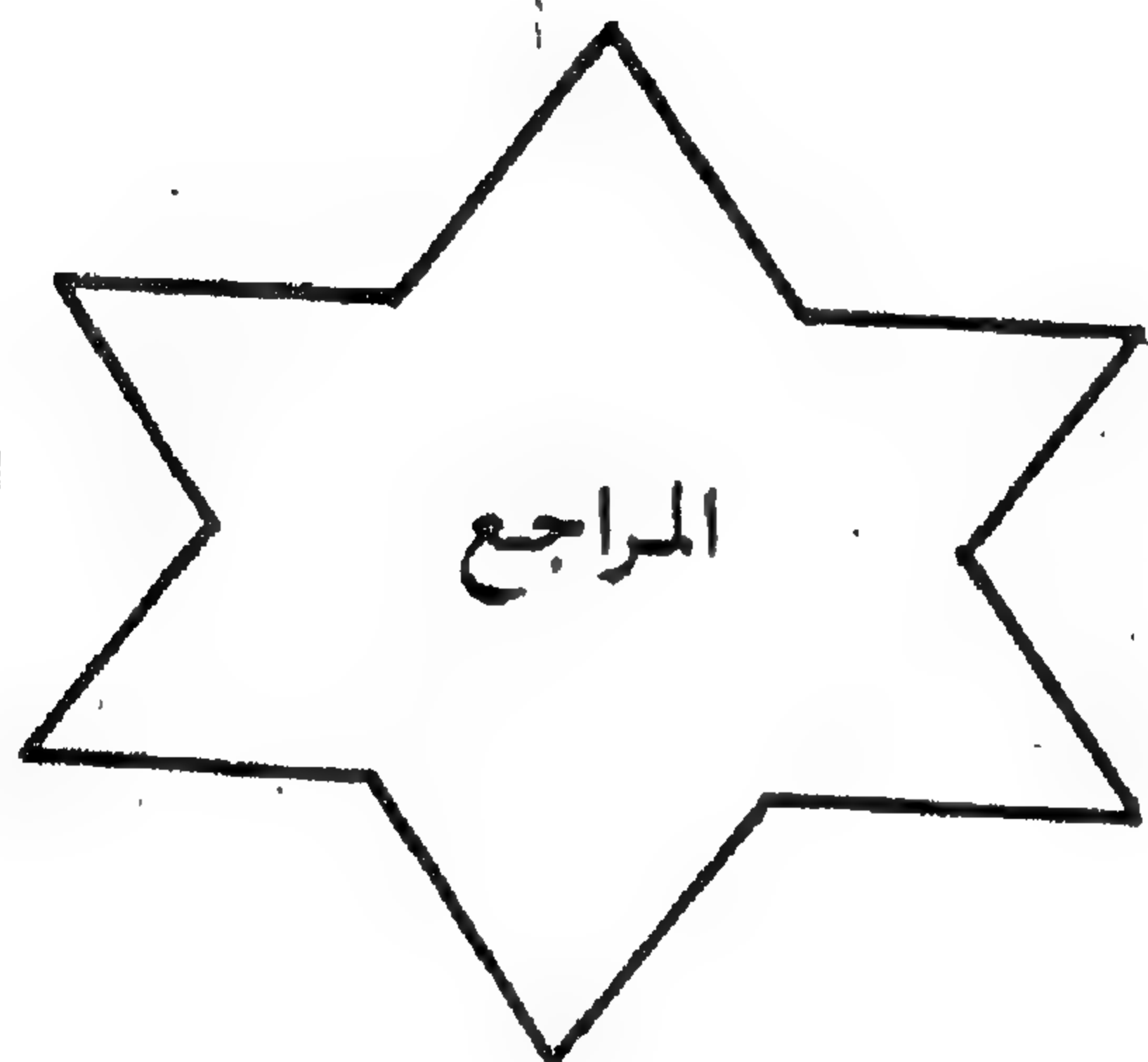
لوحة شفائية تمثل الكاهن جد حر Zed Her جالسا القرفصاء وبين رجله لوحة عليها حفر بارز للإله حورس الطبيب ممسكا بيديه ثعبانين وعقارب واسد وغزال وواقف على تمساحين وفوق رأسه صورة للإله بس (Bes) والتمثال كله يحمل كتابات هيروغليفية سحرية من تعاويذ وبعض الرسوم الرمزية وفي الاسفل على القاعدة حوض صغير تتجمع فيه المياه التي ترش على التمثال فتكتسب قوة سحرية شفائية من الكتابات والتعاويذ والرسوم التي سكبت عليها مع الحيوانات المؤذية المنقوشة كلها على التمثال، يشرب منها كل من لدغه عقرب او ثعبان او عضه تمساح أو فزع من اسد قابله أو غزال جرحه فيشفى ويقف مفعول السم في جسده وهذا هو أصل طاسة الخضة الآن عندنا.

عهد الاسكندر الاكبر وقد وجدت في اثريس (بنها) - المتحف المصري.



لوحة (١٢)

تصميم ورسم نشرهما الاستاذ فلندرز بترى F. Petrie بينان شكل المعبد اليهودى الذى بناه الكاهن الاعظم هونيا اليهودى فى مدينة الشمس بالصحراء الشرقية أوبيت المقدس الجديد فى عهد بطليموس السادس - القرن الثانى ق.م.



المراجع

- Strabon XVI, 2, 37. (١) سترابون
- Strabon XVI, 2, 37. (٢) سترابون
- ἐκ τῶν τυραννίδων, τὰ ληστήρια.
- Cerny (Jaroslav): The Greek Etymology of the name Moses- (٣) تشيرنى
Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, t. XLI
p. 349-354.
- Philo, De Vita Moyses. I, 17. (٤) فيلو
- Josephus, Jewish Antiquities, 11, 228. (٥) جوزيفوس
- ثم يرد معنى المقطع الثانى من اسم موسى بمعنى (الذى انقذ من الماء كما يقول المصريون) فى قاموس
اللسغة اليونانية لاستفانون
Stephanon P. Lexikon:
هم المنقذون من الماء كما يسمونهم المصريون - Uses
- Jos., Contra Apionem, 1, 286. (٦) جوزيفوس:
- Clement of Alexandria, Strom. I, 23 (٧) كلمنت السكندرى
- Str. 16, 2, 35.: (٨) سترابون
- Μωσῆς γὰρ τις τῶν Αἰγυπτίων ἱερέων ἔχων τι μέρος τῇ κάτω
καλοῦμένης χώρας.
كان موسى, احد كهنة المصريين على جزء فى الارض السفلى (مصر السفلى) كما يسميها المصريون.
- Strabon, 16, 2, 35. (٩) سترابون
- Str. 16, 2, 35. (١٠) سترابون
- Str. 16, 2, 35. (١١) سترابون
- Τιμὸν ἔδους χωρὶς. أن يعبدوا الله بدون صورة
- Dr. El-Khachab, Τὰ Σαραπειῖα. (١٢) د. عبد المحسن الخشاب
à Sakha et au Fayum - ou les bains thérapeutiques- Supplet. des
A.S.A.E. No.25.
- (١٣) دكتور عبد المحسن الخشاب- الـثيـاترو القديم.

Str. 16, 2, 35;

(١٤) سترابون

ἐγκοιμᾶσθαι δέ καὶ αὐτοὺς ὑπὲρ ἑαυτῶν καὶ ὑπὲρ τῶν ἄλλων ἄλλους
τούς εὐονείρους.

Str. 16, 2, 36.

(١٥) سترابون

Str. 16, 2, 36.

(١٦) سترابون

Str. 16, 2. —37

(١٧) سترابون

Str. (idid)

(١٨) نفس المرجع

Mac Dormet Violet, The Cult of Seer in the Middle East

-(١٩)

A Contribution to Current Research on the Hallucinations drawn
from Coptic and other Texts (1971) p. 11, f.

(٢٠) الدكتور فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ- في البدء .

Jos. Jewish Antiquities, II, 236;

(٢١) جوزيفوس

وكان اليهود يعلقون عليه آمالا كبيرة بالنسبة للمستقبل

Ἑβραίοις ἐπὶ αὐτῷ παρῆν ἐλπίς περὶ ὅλων.

ὑποψίας δ' εἶχον Αἰγύπτιοι. بينما كان المصريون ينفذون ان نشأته نظرة شك :

فهذا تصوير يمثل الواقع الذي يشعر به المسئولون في مصر من تبني العائلة المالكة لموسى العبراني .

Mayam, sur l'origine de Goshen - Rev. d'Hist.

(٢٢) مباد

et de Philosophie Relig. (1955) p. 58.

Jos. Jewish Ant. II, 241.

(٢٣) جوزيفوس

Drioton, Aperiou - Rev. d'Hist. et Philosophie

(٢٤) دريوتون

Relig. (1955) p. 47

Philo; Moses I, 40.

(٢٥) فيلو

(٢٦) فيلو — كان موسى معتبرا ابنا لبنت الملك و يأملون ان يكون على : لاغلب خليفة لجدته في الحكم

فكانوا ينادونه بالملك الجديد .

Philo, Moses I, 32

Philo; Moses I, 41.

Philo; Mos

(٢٧) فيلو

καὶ ἦν εὐαγὲς τὸν ἐπ' ὀλέθρῳ ζῶντα ἀνθρώπων ἀπολλύσθαι.

وكان عدلا أن يحطم من عاش على تحطيم ارواح الناس .

Philo Moses I, 38.

(٢٨) فيلو

بعد نجاته من المعركة أصبح أباً لهيروسوليموس و يودايوس :

γεννήσαι παῖδας Ἱεροσόλυμον καὶ Ἰουδαῖον .

ومن هنا فالتقائلون بأن ست نجي من المعركة وخلف ولديه هيروسوليموس و يودايوس ارادوا بوضوح أن يدخلوا المسألة اليهودية الى الخرافة المصرية .

κατάδηλοι τὰ Ἰουδαῖκα παρέλκοντες εἰς τὸν μῦθον .

Plut. ibid.

(٣٠) بلوتارخوس

Plut., 50,3:

(٣١) بلوتارخوس

Philp. Moses I, 175

(٣٢) فيلو

P. Montet, L'Egypte et la Bible - Cahier

(٣٣)

d' Archeologie Biblique No. 11 - Ptah Hotep,

vers 48 - 50 , p. 114. Amonemope (XXXIV, 9 - 14) p. 116.

P.Montet: Le Fruit defendu, (Kemi, XI, pp 109 et 856).

ثم انظر ايضا :

كما ذكر فانسنت في كتابه (Vincent (Al.); La Religion Judéo arameens d'Elephantine)

حسب ما ورد في بردى ستراسبورج (٢٧) (Pap. de Strasbourg (27) الذى يذكر هدم المعبد اليهودى فى ٤١٠ ق.م. وقد اعتمد عليه مونتيه فى كتابه (ملاحظة ٣٣ ص ١٠١) إذ يقول أن سكان الشلالات قد هدموا معبد ياهو Yaho بسبب الثورة التى اعتملت فى نفوس المصريين ضد الفرس ولسبب أقوى من ذلك هو ذبح خروف عيد الفصح فى مناطق كان فيها الإله خنوم هو المعبود المسيطر عليها و يذكر ماورد فى السخروج (٢٢/٨-٢٣) أن موسى كان على علم بكل المتناقضات الموجودة بين الديانة اليهودية والديانة المصرية. و يقول فانسنت Vincent أن تدخل يهوا فى خروج اليهود من مصر ونجاتهم من المصريين كان سبباً فى احتفال اليهود بعيد خروجهم (الفصح Paque) ففى بنود بردى ستراسبورج (٢٧) من سنة ٤١٠-٤١١ ق.م. يعدد هذا البردى الحوادث كما وقعت فى بنوده ففى بند (٦) يروى أن معبد الإله ياهو Yaho الموجود فى المدينة الحصينة جب (Jeb) قد أزيل وبعد ذلك يقول أن فيدرناج Widernag حاكم المدينة أرسل خطاباً إلى ابنه قائد حامية أسوان يخبره بذلك وفى المادة (٥) يقول البردى أن كهنة خنوم اتفقوا مع ويدرناج على ذلك وفى بند (٨) يقول ثم بعد ذلك قاد ابنه نيفيان Nephian المصريين الذين كانوا فى مدينة جب مع بعض الجنود أتوا إلى جب بأسلحتهم وفى رقم (٩) يقول البردى أنهم صعدوا إلى المعبد وأزالوه من أساسه وفى رقم (١٣) يقول أن «إخواننا» بنوا هذا المعبد فى قلعة جب ولما أن أتى قمبيز إلى مصر ويكمل البردى القول فى (١٤) أن بعد وصول قمبيز ظل المعبد قائماً وكل المعابد فى مصر هدمت إلا هذا المعبد فلم تمتد إليه يد أى شخص بسوء .

ثم يقول فانسنت ص ٣٧٢ أن يهوا كان إله السماء ورب الجنود ولكن المعبد كان مقر يهوا الإله القومى Le dieu national وقد كان هدم هذا المعبد سبباً فى حزن الطائفة . فحتى لاعادة بنائه لم يكن عندهم من المال ما يقيمهم وفى ص ٣٧١ يقول أن معبدهم هذا كان يحظى باحترام قمبيز.

وظل قائما وذلك لأن قمبيز تذكر فضل يهوا الذي في ارض بين النهرين وكان إلها يشبه اهورا مزدا ثم ان اليهود كانوا مساعديه في مقاومة المصريين ثم انهم في الفنتين كانوا قوة لصد الاثيوبيين وقد وافق قمبيز اعترافا بوفائهم له هذا أن يعطيهم بعض المزايا ولم يكن عند اليهود أفضل من الامتيازات الدينية فكان آنذاك غير ممكن ان تقدم على مذابحهم اضاحى الهولوكاوست (holocaustes) وكما ورد في سفر الخروج (Ex. 8/ 216) أن موسى كان على علم بكل المتناقضات بين الديانة اليهودية والمصرية وهو ما ظل حقيقة دائما. ويذكر فانست أنه في انحاء كثيرة في مصر كان الكباش والجدى مقدسين ولذلك لم يكن للمصريين أن يضحوا بهما وقد زاد الأمر حرجا ان الفنتين كلها كانت تحت سيطرة عبادة خنوم ثم هذا المعبد هو الذي كان موضع احترام قمبيز بينما قد هدم كل المعابد المصرية ثم ايضا الحرية الكاملة! للعبادة بالنسبة لليهود (ص ٣٧٣) ثم في بند (٣٨) من بردى ستراسبورج (٢٧) (يذكر أن خنوم كان ضدنا (قول اليهود) منذ أن أتى هنانيش (Henanish) رسول اسرائيل اتي من عند ملك الفرس ومعه أمر بتضحية الخروف؛ (٤١٢-٤١١ ق. م.) وهذا الذكر كان من عند كهنة خنوم الاله الكباش يلاحظ المؤلف الآ تفسير لذلك القول إلا بسبب التعصب الديني Fanatisme religieux وان الذي زاد في إثارة كهنة خنوم الدينية ايضا ان وجود الحامية الاجنبية قد اثار في نفوسهم النعرة الوطنية اذن فالمؤلف يشير ايضا الى ان بجانب هذا التنافر الديني بين اليهود والمصريين ثورة كامنة في النفوس وطنية سياسية حركتها الديانات كما اشار الى ذلك مونيه (ص ١٠١ ملاحظة ٣٣) وفي ص ٣٧٩ يقول فانست ان ذروة الخلاف والمشكلة كان بسبب ذبح الحامية اليهودية الارامية judeo araméens الخروف الذي كان كهنة خنوم يعتقدون أن روح خنوم قد تجسدت فيه ثم في ص ٢٥٧ يقول فانست معلقا على ذلك بقوله «ان ليس هناك شيء سبب هذا كله غير ذبح خروف عيد الفصح (l'agneau pascal)» فكان ذلك اثباتا لما ورد في بلوتارخوس (انظر ملاحظة ١٥٣).

Philo, Moses I, 174

(٣٤) فيلو

Petrie (Flinders), Egypt and Israel p.118-119.

(٣٥) فلنדרز بيتري

Plut. 32 — 363.D

(٣٦) بلوتارخوس

Plut., 33 — 363 F.

Diogenes Laertius, Lives and Opinions -

(٣٧) ديوجين لايرتيوس

Eminent Philosophers,

XIII, 35.

Plut 75 — 381B.

(٣٨) بلوتارخوس

Plut 75 Z 381 BEur. Tro. 887-8.

ثم في ذكره ليوربيدس : أنظر

Plinii, Naturalis Historia, XXXVII, 89.

(٣٩) بلينيوس

Plut. 10 — 355.- 74 — 381.

(٤٠) بلوتارخوس

- (٤١) بلوتارخوس
Plut., 74 — 380 f. 67 — 378.
- (٤٢) بلوتارخوس.
Plut., 76 — 382.
- (٤٣) إيرمان
Erman (Adolph), La Religion des Egyptiens p. 192 -193.
- (٤٤) جريفيث تم جاردنر
J.E.A., XII p. 228 Griffith; and Gardiner, Egyptian Grammar p. 197.
- (٤٥) داراسي
Annales de Serv des Ant. 1918, t. XVIII Daressy; Inscr
Tentyrites, p. 189;
- الحشاب
El-Khashab, Cocks, the Cat and the Chariot of sun-
Zeitschrift fur Papyrol. u. epigraphik, 1984.
- (٤٦) ديفوت
E. Devaut, Les maximes de Ptah-Hermitage (No. 1116 A Pap.
- Trad. et commentaire par Scharf 1936 - Die Literatur der
Aegyptier p. 294 - 302 (N.51).
- ديودوروس
Drioton (E), La Religion Egyptienne, l'Histoire des Religions
Strabon, XVII, I, 46.
- (٤٧) سترابون
Griffith - Plut. 19 — 358 D.
- (٤٨) بلوتارخوس في جريفيث
Budge, (Wallis) The Gods of the Egyptians p. 350
- (٤٩) بادج
Diodorus I, 88, 4 - 5.1,90,2.3.
- (٥٠) ديودوروس
O. Gueraud, Sphinx composites au Mus. du Caire,
- (٥١) جيروود وادجار
J. No. 37538 A, S.A.E. 1935 p.6 sq., Edgar, Greek Sculpture No
25754 p. 59 and pl. XXVIII.
- ثم أنظر فرانسوا دوماس في (MEFR) (2-1977) ص ٤٣٦ «الملك إله معدود بين الناسوع» نص
محفور في معبد سيتي الاول الاسرة (١٩) قرب مناجم ذهب الريديسية بوادي ميا Mia
- (٥٢) بيردريزيه
Perdrizet, La terre-cuites grecque d'Egypte p. 80.
- (٥٣) تيرنر
Eric Turner, "My Lord Apis"- Recherches de Papyrologies
II, p. 118:
- παρά τῷ κυρίῳ Ἀπιδι.
- (٥٤) الحشاب
EL:-Khashab, Ὁ ΚΑΡΑΚΑΛΛΟΣ ΚΟΣΜΟΚΡΑΤΩΡ.
(J.E.A. t 47 1961)
Plut 9 — 354 D
- (٥٥) أن لفظ آمون تعنى حسب رأى مانيتون الحقاء كما يقول بلوتارخوس
ثم يقول ومن هنا كانوا يعتقدون أن
الإله الاول الأعظم الذي هو في كل مكان
آمون الذي ينادونه كالخفي الذي لا يرى
- τὸ κεκρυμμένον. — — καὶ τὴν κρύφιν.
διὸ τὸν πρῶτον θεὸν ὄν παντὶ

Strabon XVII, I, 40.

Diod I, 87, 2.

Diod I, 87, 2.

Diod I, 87, 2.

Diod I, 87, 2.

Diod I, 87, 3.

Diod I, 87, 7.

Diod I, 87, 7.

Diod I, 89, 2.

Plut. 75 — 38 B.

Plut. 75 — 381 B.

Brugsch (Heinrich), Religion und Mythologie der Alten

Aegyptier, p. 315. Cf. Bibliotheca Orientalis - Jahrgang XXIV

No. 5/6 Sept. 1967-Otto (Eberhard), Gott und Mensch nach den

ägyptischen Tempelschriften der griech - römischen Zeit

Abhandlungen der Heidelberger Akademie der Wissenschaften,

Phil-hist. klasse. Par F. Daumas (1967).

Plut. 21 — 359 D.

Plut. 21 — 359 D.

Plut. 21 — 359 D.

Plut. 70 — 379

Plut. 70 — 379

Plut. 70 — 379 B.

Plut. 31 — 362

Plut. 22 — 359 B.

Plut. 31 — 363 B.

οὕτως ἀκριβῆ ποιούμενοι παρατηρήσιν ὥστε καὶ μίαν ἔχει τριχὰ

μέλαιναν, ἢ λευκὴν αὐτὸν ἡγεῖσθαι, θύσιμον γὰρ οὐ φίλον εἶναι

θεοῖς.

نقومون بالفحص الدقيق حتى اذا وجدوا فيه (العجل) ولو شعرة بيضاء أو سوداء كان في

تفرد لا يصلح له سحبة فالتضحية لا تكون بما تحب الآلهة.

(٥٦) سترابون

(٥٧) ديودوروس

(٥٨) ديودوروس

(٥٩) ديودوروس

(٦٠) ديودوروس

(٦١) ديودوروس

(٦٢) ديودوروس

(٦٣) ديودوروس

(٦٤) ديودوروس

(٦٥) بلوتارخوس

(٦٦) بلوتارخوس

(٦٧) بروجش هاينريش

ثم دوماً في

(٦٨) بلوتارخوس

(٦٩) بلوتارخوس

(٧٠) بلوتارخوس

(٧١) بلوتارخوس

(٧٢) بلوتارخوس

(٧٣) بلوتارخوس

(٧٤) بلوتارخوس

(٧٥) بلوتارخوس

(٧٦)

τούς δέ πυρρούς βοῦς συγχωρηθῆναι θύσιν θία τὸ δοκεῖν τοιοῦτον τῷ
 χρώματι γενόμεναι, Τυφῶνα τὸν ἐπιβουλεύσαντα μὲν Ὀσίριδι, τυχόντα
 δὲ τιμωρίας ὑπὸ τῆς Ἰσιδος διὰ τὸν τάνδρός φόνον.

دیودوروس: فالشیران الحمراء يمكن التضحية بها فالمعتقد أن ذلك اللون هو لون ست الذي تأمر ضد
 اوزيريس فعاقبته اوزيريس لقتل زوجها.

Herodotus II, 38.

(۷۸) هيرودوتوس

τρίχα ἦν καὶ μίαν ἴδεται ἐπεοῦσαν μέλαιναν οὐ καθαρὸν εἶναι νομίζει.

فاذا رأوا حتى ولو كانت به شعرة سوداء واحدة حكموا عليه انه غير نقي.

Herod. II, 38:

(۷۹) هيرودوتوس

δίξεται δὲ ἐπὶ τούτῳ τεταγμένας τῷ τις ἱερέων καὶ ὀρθοῦ ἑστεῶτος

τοῦ κτήνεος ὑπτίου

لفحص ذلك عين احد الكهنة لهذا العمل فكان يوقف العجل ثم يلقيه على ظهره (يبحث عن شية) ثم
 يخرج لسان الحيوان فاذا كان نقيا يذبحه.

ἀσήμενον δὲ θύσαντι θάνατος ἢ ζημὴ ἐπικεέται.

ثم انه يقول بان عقوبة الموت هو جزاء من يذبح عحلا لا يحمل علامة الاذن بذبحه
 انظر بقية العلامات الخاصة بالعجل في هيرودوتوس ۲-۲۸ ثم ملاحظة (۱۱۱).

Plut. 31 — 363 B:

(۸۰) بلوتارخوس

τόν δέ μέλλονται θύεσθαι βοῦν οἱ σφραγισταὶ λεγόμενοι τῶν ἱερέων
 κατεσημαίνοντο, τῆς σφραγίδος ὥς ἱστορεῖ Κάστωρ, γλυφὴν μὲν
 ἐχούσης ἄνθρωπον εἰς γόνυ καθεκόντα ταῖς χερσὶν ὀπίσω περίηγμέναις,
 ἔχοντα κατὰ τῆς σφαγῆς ξίφος ἐγκείμενον.

والعجل الذي سيقدم ضحية يعلم بواسطة من يسمون بين الكهنة بالختامين وكما يقرر كاستور يحمل
 هذا الخاتم نقشا لرجل يجلس على ركبتيه و يدها مربوطتان خلف ظهره وغائر في رقبته سيف).

Plut. 31 — 363 B:

(۸۱) بلوتارخوس

ἀλλὰ τοῦναντίον, ὅσα ψυχαῖς ἀνοσίφων ἀνθρώπων καὶ ἀδίκων εἰς
 ἕτερα μεταμορφουμένων σώματα συνείληχε.

وهذه الضحية على عكس غيرها تحتوى على اى تقمص لروح رجل (لا رواح رجال) شريرين فاسدين

خلف اجسام اخرى.

Plut. 31 — 363:

(۸۲) بلوتارخوس

διὸ τῇ μὲν κεφαλῇ τοῦ ἱερείου καταρассаμενοι καὶ ἀποκόψαντες εἰς
 τὸν ποταμὸν ἐρρίπτουν πάλαι, νῦν δὲ τοῖς ξένοις ἀποδίδονται.

ولهذا كانوا يستمطرون عليها اللعنات وكانوا يقطعونها فيما سبق و يرمونها في النهر اما الآن (أى في عصر بلوتارخوس) يبيعونها للأجانب . (رأس العجل) .

Plut. 33 — 364 B.

(٨٣) بلوتارخوس

Plut. ibid 33 — 364 B;

(٨٤) بلوتارخوس

Plut. 33 — 364 B.

Aelianus - Animals XI, 10.

(٨٥) ايليانوس

Brugsch (Heinrich), Religion und Mythologie

ثم بروجش

der Alten Aegypter n. 657

Griffith, (Plut), De Osiride et Iside p. 443

سم ايضا جريفيت عن بلوتارخوس .

Plut. 43 — 368 C.

(٨٦) بلوتارخوس

انظر ايضا ملاحظة (١٠٠)

Plinius, op. cit. VIII, 184.

(٨٧) بلينيوس

Plut 52. — 372 D.

(٨٨) بلوتارخوس

Plut: 43 — 368 C.

(٨٩) بلوتارخوس

Plut. 52 — 372 D.

(٩٠) بلوتارخوس

Plut. 52 — 372 D.

(٩١) بلوتارخوس

Plut. 43 — 368 C.

(٩٢) بلوتارخوس

Plut. 43 — 368 D.

(٩٣) بلوتارخوس

Aelianos, XI, 10.

(٩٤) ايليانوس

انظر ايضا ملاحظة (١٣٥)

Aelianos, XI, 10.

(٩٥) ايليانوس

Aelianos, XI, 10.

(٩٦) ايليانوس

Aelianos, XI, 10.

(٩٧) ايليانوس

Aelianos, XI, 10.

(٩٨) ايليانوس

Aelianos, XI, 10.

(٩٩) ايليانوس

Aelianos, XI, 10.

(١٠٠) ايليانوس

Herod. III, 38.

(١٠١) هيرودوتوس

Aelianos, XI, 10.

(١٠٢) ايليانوس

Plinius, VIII, 184.

(١٠٣) بلينيوس

Herod. 28.

انظر ايضا هيرودوتوس

Brugsch (H.) Religion und Mythologie

(١٠٤) بروجش

der Alten Aegypter p. 315.

Brugsch (H.) ibid.	(١٠٥) بروجش
Plut. 21 — 359 C.	(١٠٦) بلوتارخوس
Brugsch p. 657.	(١٠٧) بروجش
Brugsch p. 94.	(١٠٨) بروجش
Brugsch p. 406.	(١٠٩) بروجش
Str. XVII, I, 31.	(١١٠) سترابون
Str. XVII, I, 31.	(١١١) سترابون
	انظر ايضا هيرودوتوس (٢٨، ٣) ملاحظة (٧٩)
Str. XVII, I, 31.	(١١٢) سترابون
Aelianus XI, 10.	(١١٣) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١١٤) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١١٥) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١١٦) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١١٧) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١١٨) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١١٩) ايليانوس
Aelianos, XI, 10.	(١٢٠) ايليانوس
Plut. 56 — 374 B.	(١٢١) بلوتارخوس
(Wallis) Budge, The Gods of Egyptians - Study in Egyptian Mithology - Vol. II, p.349	(١٢٢) بادج
Cf also Ammianus Mar. op. cit. XXVI 714 (7.-17)	ثم انظر ايضا أميانوس
Plinius, VIII, 184.	(١٢٣) بلنيوس
E. Drioton, Hist. de Rel. Eg.	(١٢٤) دريوتون
Str. 17, I, 31.	(١٢٥) سترابون
Str. 17, I, 31.	(١٢٦) سترابون
Plinius VIII, 185.	(١٢٧) بلنيوس
Plinius VIII, 185.	(١٢٨) بلنيوس
Plinius/VIII, 185.	(١٢٩) بلنيوس
Plinius LXXI, 185.	(١٣٠) بلنيوس
	(١٣١) عبد المحسن الخشاب-التياترو القديم.
Plinius LXXI, 186.	(١٣٢) بلنيوس

Plinius LXXI, 186.

(١٣٣) بلينيوس

Turcan (Robert) Mithras Platonius-Recherches sur

(١٣٤) توركان

l'hellenisation philosophique de Mithra p. 88 et note 195.

(Bouklops) et p. 93 n.27 et p. 94; p. 111 n. 46; et p. 115 n.66

Bidez, La vie de l'Empereur Julien p. 221. et p. 224.

ثم أنظر أيضا :

Turcan p. 121 note 114. et n. 121.

ثم أنظر توركان

Aussi p.87 et Clemen C., Fontes historiae religionis persicae,

76, 26 S. aussi note (183).

et Aussi p. 117 et p. 118 n. ٩٠.

ثم أنظر

Chr. Lacombrade (edit.) de Jul, Discours II p. 94.

Aelianos, XI, 10.

(١٣٥) ايليانوس

Conad (J. Randolf) The Horn and the Sword-The Hist. of Bull

(١٣٦) كونراد

as symbol of power and Fertelity p. 84. p.201-Cooke (Harold),

Osiris study in Myths, Mystries and Religions:

فيه ذكر ان اليهود بعد ان رحلوا عن مصر كانوا تواقين الى أن يرجعوا الى عبادة ابيس المصري - وهذا
مصدق لقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم (سورة البقرة ٩٢).

انظر مراجع اخرى في كونراد ص ١١٢.

ثم انظر كونراد (ايضا ص ٢٠١-٢٠٢).

Budge (Wallis) and Meek, from Fetish to God in Anc. Egypt.

بادج

(Henry) P. Smith, In Rel. of Israel

ثم ايضا :

وكل هؤلاء الكتاب يتفقون على أن هارون النبي كان في مصر قبل اليهودية وانه كان كاهنا لعجل
ابييس ولذا قلم يعتبروه هرطقيا عندما صنع تمثالا لعجل ابيس من الذهب.

Daremberg et Saglio (Alekyryonen Agonis)

(١٣٧) في مقاله

Aelianus; Varia Hist. II, 28.

ثم أنظر ايضا : ايليانوس

Lucian. De Gymn., 37.

ثم أيضا لوكيانوس

Grant (Michael) , The World of Rome p. 176.

(١٣٨) جرانت

Jos. Jewish Ant. XIII, 68.

(١٣٩) جوزيفوس

Bevan, A Hist. of Eg. under Ptol. D, n. (1936) p. 286 f.

(١٤٠) بيغان

Jos. J. Ant. XIII, 77-78.

(١٤١) جوزيفوس

Jos. J. Ant. XIII, 63.	(١٤٢) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 63.	(١٤٣) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 383 - 385.	(١٤٤) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 71.	(١٤٥) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 71.	(١٤٦) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 72.	(١٤٧) جوزيفوس
Jos. Jewish War VII, 424.	(١٤٨) جوزيفوس
Jos. J. War. VII, 425.	(١٤٩) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 67-68.	(١٥٠) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 65.	(١٥١) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 66.	(١٥٢) جوزيفوس
Plut. 72 — 380 B.	(١٥٣) بلوتارخوس
Diod. I, 89 (5).	(١٥٤) ديودوروس
Herod. 35, II, 69.	ثم انظر ايضا هيرودوتوس
فيما يخص حديثه عن اختلاف المصريين في تقديمهم التماسح في اقليم واعتباره عدو في اقليم آخر.	
Jos. J. Ant. XIII, 65.	(١٥٥) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 69.	(١٥٦) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XII, 259 - 260.	(١٥٧) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIII, 74.	(١٥٨) جوزيفوس
Petrie (F). Hyksos and the Israelite Cities p. 2-School of Archeology in Egypt and Egyptian Research Accounts Vol.(79).	(١٥٩) فلندرز بيتري
Jos. J. War, VII, 427-428.	(١٦٠) جوزيفوس
Bouché Leclercq, Hist. des Lagides II, p. 41.	(١٦١) بوشيه لوكليرك
Jos. J. Ant. XIV, 131.	(١٦٢) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIV, 131.	(١٦٣) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIV, 131-132.	(١٦٤) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIV, 152.	(١٦٥) جوزيفوس
Jos. J. Ant. XIV, 132.	(١٦٦) جوزيفوس
Wroth, Brit. Mus. Cat. Byz.C.-Barthis.	(١٦٧) وروث
Ammianus M. XVIII. 6/5, XVII. 5/3.	(١٦٨) اميانوس

Str. XV, 3, 13.	(١٦٩) سترابون
Cumont, Les Religions orientales dans le Paganisme romain p. 236 n. 2.	(١٧٠) كيمونت
Plut. 46 — 369 E.	(١٧١) بلوتارخوس
De antro Nympharum-J.R. Harris, The Oriental Cults in Roman Britain—Etudes preliminaires aux Religions orientales dans l'Empire romain, p.7,S;cf. Turcan p.85 n.173 et p 134 n.173.	(١٧٢) توركان -
Corpus inscriptionum et monumentorum religionis mithracae; Vermaseren I-II. Cf. Turcan p. 85 n. 172.	ثم أنظر أيضا :
Jahrbuch für Antike und Christentum 1960 p. 34; Der letzte Apisstier par (Alfred) Hermann.	(١٧٣) هيرمان
Otto (Eberhard), Beiträge zur Geschichte der Stierkulte in Aeg. (1938).	(١٧٤) اتو
Vermaseren and Karter Sibbes, The monuments of the Hellenistic Roman period from Egypt - Apis II - (II pl. CCVII No. 576)	(١٧٥) فيرماسيرن
Plut. 56 — 373 E.	(١٧٦) بلوتارخوس
Plut. 56 — 373 F.	(١٧٧) بلوتارخوس
Plut. 56 — 373 E.	(١٧٨) بلوتارخوس
Plut. 56 — 373 E.	(١٧٩) بلوتارخوس
Plut. 56 — 373 E.	(١٨٠) بلوتارخوس
Plut. 56 — 374 .	(١٨١) بلوتارخوس
Plut. 56 — 374 .	(١٨٢) بلوتارخوس
Plut. 56 — 374 .	(١٨٣) بلوتارخوس
(Isidore) Epstein, Judaism-A Historical presentation (Caballah) , p. 277 f.	(١٨٤) ابشتين

(185) Rene Guenon, Symboles Fondamentaux de la science Sacree.

Ch. VI, p.68f. La Science des Letters

(علم الحروف Ilmu Huruf)

تحليل وتعليق

يرى الأستاذ جينون Guenon في بحثه هذا أن ادعاء اليهود بأن لديهم في لغتهم عناصر أصيلة من اللغة الطبيعية الأزلية يرى في ذلك ادعاء غرور *pretention illusoire* فلا يجد الإنسان فيما يدعون إلا بقايا عناصر منقوصة وتشويه لا دلالة ولا معنى لهما ثم يفترض المؤلف احتمال أن اللغات المقدسة تنفرع من لغة قدسية *hieratique* كونها الموحى اليهم بها وأما التأكيد على اعتبار اللغة العبرية هي التي نزل بها الوحي الأول الأزلي فليس له إلا وضع فلسفي عام عندهم في تقاليدهم وليس من صميم المذهب القابالي اليهودي أي فلسفة *exoterique* وعنده أن الدليل على هذا وجود مثل ذلك التأكيد في التقاليد الأخرى غير القابالية بالنسبة للغاتها وإذن فلا يجب أن يؤخذ التأكيد اليهودي بمعناه الحرفي أو أن نسلم به ففي اللغة العربية وهي لغة سامية أيضاً كاللغة العبرية نجد أن هذا الرأي يتردد في كل مكان تستعمل فيه اللغة العربية أي أن اللغة العربية هي اللغة المقدسة أو اللغة الأصلية للبشر ولكن ذلك أيضاً غير حقيقي فالقرآن يذكر أن لغة آدم هي اللغة السورانية *syriaque* وليست اللغة العربية وعن هذا الذكر القرآني للغة البشر الأول يرى جينون فيما يخص القول بأن اللغة العبرية هي اللغة الأولى التي نزل بها الوحي الأول للإنسان كما يقول H. Warrain « أن الفرض القابالي بأن اللغة العبرية هي التي علمها

الله الانسان الأول» يرى جينون أن هذا الرأي المتداول السائر بين الناس ليس له أساس ولا سند ثابت و يتعارض تماماً مع تعاليم الإسلام الواضحة التي تقول بأن لغة آدم هي اللغة السورانية langue syriaque وأن هذه اللغة السورانية لا تمت بصلة ما إلى اقليم سوريا الحالي ولا أن اسم هذا الإقليم يمت بسبب إلى أى لغات قديمة ثم يقول إنه حسب ترجمة معنى اسم سوريا معناه في اللغة السنسكريتية senscite « شمس اشراقية » وكما يفسر ذلك illumination solaire (ص ٦٩) وعنده أن هذا الاسم حقيقة سنسكريتي وربما أتى من كلمة (سير sur) السنسكريتية التي تعني (الضوء) ثم أنه يرجع هذا الاسم إلى جزيرة سيريا أو سوريا التي تكلم عنها هومر والتي تقع في اقليم أوجيجي Ogygie مما يحتمل أنها كانت جزيرة ثولا أو تولا Tula في أقصى الشمال القطبي hyperborreenne أي فيما بعد الرياح الشمالية وكانت عاصمتها تسمى مدينة الشمس (هيلوبوليس) [أنظر أيضاً فصل XII صفحات ١١٦ — ١١٩] وإلى هذه الجزيرة حيث تتطور الشمس وهذا ما يعتبره جينون ظاهرة مبهمة غامضة وربما ترجع هذه التطورات الشمسية هذه إلى طبيعة التطورات الشمسية في هذه الأرجاء القطبية وفي نفس الوقت يجد في ذلك إشارة إلى مسار الأبراج أو دورة الشمس على هذه الأرض القطبية فيما حول القطب (ص ١١٦) .

وهكذا يرجع قوله هذا إلى أن هذه الأرجاء القطبية يستمر فيها ضوء الشمس فترة طويلة (٦ أشهر) ومن هنا أتى وصفها (شمس اشراقية) ثم يقول أن سيريا هو الاسم السنسكريتي للشمس « Syria est le nom senserit du Soleil » (ص ٦٩) . ثم يذكر أنه إلى هذه الجزيرة تولا Tula ينتمي طائر الفنكس Phenix الرمز الفلكي symbole Cyclique وهكذا يذكر الأستاذ « Stuart Poole » عالم النقود في كتابه (نقود الاسكندرية بالمتحف البريطاني) صفحات LVI ثم ص LXXXVI في بحثه الأبراج ضمن مجموعة النقود الفلكية في عهد الامبراطور Antoninus Puis القرن الثاني الميلادي تمثيل طائر الفنكس Phoenix على قطع نقود البللون لهذا الامبراطور مضمحوباً بكلمة aiwv اليونانية بمعنى قرن أو عصر رمزاً لابتداء الدورة الفلكية في مصر التي تسمى بالدورة الثوصية Thosiac المصرية (أنظر الخشاب — النقود في مصر القديمة) .

وعند جينون أن رمز مدينة الشمس الفلكي (وهي غير مدينة الشمس On المصرية التي سميت فيما بعد بهذا الاسم) هو طائر الفنكس وهو ما يسمى في التقاليد العربية بالرخ (Rokh) أو الفنكس الذي لا يهبط إلى الأرض إلا على جبل قاف (Qaf) وهو جبل في المنطقة القطبية و يقول جينون أن من هذا الجبل كما ورد في التقاليد الهندية والفارسية باسم غير اسمه العربي قاف يأتي السوما soma أو الامبرواز ambroisie أي غذاء الآلهة (ص ١١٨) .

ثم أن اسم مدينة الشمس القطبية هذه قد أطلق فيما بعد على مدينة هون On المصرية كما أن اسم مدينة طيبة كان أولاً اسماً لعاصمة اقليم أوجيجي Ogygie القطبي ومن هنا يرى جينون

أن تنقل هذه الأسماء القديمة المتوالى على مر الدهور أمر هام فيما يتعلق بإنشاء المراكز الروحية الثانية أو الجديدة في العصور المتتالية و يقول أن تأسيس مدن المراكز الجديدة هذه له صلة وثيقة بوجود اللغات المختلفة التى استعملت وسيلة أو أداة للتعبير عن أشكال التقاليد أو الديانات المنزلة للشعوب وهذه هى اللغات التى يسميها المؤلف باللغات المقدسة والتى هى **ترجمات للغة الإلهية الأولى** وأن هذه التسمية عنده هى التى اتخذتها الأساليب القابالية **Kabalistique** للتفرقة بين اللغات المقدسة وغير المقدسة أى كما يقول اللغات **profanes** أو **vulgaires** كما نجد ذلك أيضاً فى اللغات الأخرى غير اليهودية .

وانى أعتقد أن هذا أمر طبيعى فانظر ما حدث بعد ذلك فى العصور الحديثة من ترجمة الكتب السماوية إلى اللغات الحديثة غير تلك اللغات الأولى اليهودية والعربية للتوراة والقرآن فالتوراة قد ترجم من اليهودية إلى اليونانية فى عصر فيلاديفوس وهى لغة العالم القديم الهيلانى وفى الاسكندرية بالذات المركز الأول الروحى الثقافى فى عالم ما بعد الاسكندر الأكبر ثم أن الاسكندرية هى البلد الهيلانى والمدينة الذهبية التى ورثت أثينا أكبر وأهم المدن فى العالم القديم اليونانى أم القرى ومنازة الحضارة اليونانية قبل الاسكندرية ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة اللاتينية لغة العصور الوسطى وانتصار المسيحية على الوثنية نهائياً وفى روما بالذات المركز الروحانى لكل العالم المسيحى حتى الآن ثم بعد ذلك كتبت التوراة بلغات العالم المسيحى الحديثة كلها بعد قيام القوميات المتعددة وانهيار الامبراطورية الرومانية السياسية فى الغرب وقيام سلطة الكنيسة المسيحية الدينية حتى لقد أطلق على التوراة صفة **polyglotte** أو ذواللغات العدة .

ثم ترجم القرآن من العربية إلى لغات المراكز الاسلامية غير العربية الكثيرة المنتشرة فى كل أنحاء العالم الحديث بلغاته العديدة وهذه اللغات الحديثة لا تعتبر بالتأكيد لغات مقدسة فهى لا تصل إلى قداسة اللغة الأصلية التى ترجم بها الوحي أولاً بواسطة من أوحى اليهم به من الأنبياء والمرسلين بدليل أن هذه اللغات الأولى المقدسة كالعربية يتعلمها ويدرستها بالأزهر مركزها الهام الأول المؤمنون الحديثون غير العرب و بقيت مع لغاتهم القومية دائماً .

ثم أن نظرية جينون هذه لتأسيس المراكز الروحية الجديدة وعلاقتها الوثيقة باللغات المقدسة تنطبق تماماً على ما أوردناه فيما سبق عندما طلب الكاهن اليهودى الأعظم هونيا الرابع من الملك بطليموس السادس (محب أمه) طلب منه السماح له بتأسيس معبد قدس جديد فى مصر بمدينة عين شمس بعد أن دنست بيت المقدس القديم بفلسطين سياسة الملوك السلوكيين اليونان حكام سوريا وفلسطين فسمح له الملك محب أمه بإنشاء معبد قدس ثانى جديد بمصر فى مدينة الشمس المصرية بشرط أن يكون هذا المعبد الثانى المصرى مطابقاً لشريعة موسى وصورة طبق الأصل من معبد القدس الفلسطينى القديم الأول وكان ذلك على أساس ما ورد

بالشعيرة في نبوءة أشعيا (١٦ / ١٨-١٩) إذ يقول « في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم لغة كنعان وتحلف برب الجنود يقال لاحداها مدينة الشمس ، في ذلك اليوم يكون مذبح للرب وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخيمها » وهكذا أقام هونيا الرابع معبده طبقاً لشريعة موسى وعلى غرار معبد بيت المقدس القديم الأول بفلسطين .

كما أن جينون يرى أن كل مركز روحي ثانى جديد بعد المركز الأول (الأقدس) يعتبر صورة من المركز الروحي الأقدس الأول أى supreme et primordiale فكل لغة مقدسة hieratique يمكن اعتبارها صورة أو انعكاساً للغة المقدسة الأولى الأصلية par excellence أى التى يسميها باللغة المفقودة الضائعة التى غابت عن الأجيال المظلمة فيما بعد وكذلك بالنسبة للمركز الأقدس قد أصبح بالنسبة لهذه الأجيال المظلمة أيضاً خفياً لا يمكن الوصول إليه — لا كما يدعى اليهود فالأمر لا يتعلق هنا ببقايا عناصر منقوصة وتشويه لا معنى ولا دلالة لهما بل على العكس فذلك تطبيق عادى حتمته وأوجبه ضرورة ظروف زمنية خاصة بمواقع هذه المراكز تبعاً لما يقوله سيدى محيى الدين ابن عربى فى القسم الثانى من كتابه الفتوحات المكية : أن كل نبي أو مرسل « revelateur » كان عليه أن يستعمل لغة مفهومة بالنسبة لهؤلاء الذين يتجهون إليهم بالرسالة أو الوحي ولذا يجب أن تناسب هذه اللغة عقلية هذه الشعوب .

هذا رأى صائب بالنسبة للغات التى تستعمل أداة للتعبيرات المختلفة عند الناس وهذه إذن اللغات المقدسة التى تعتبر بحق من عمل الموحى إليهم وبدونها يعتبرون غير جديرين بالقيام بدورهم .

ثم يقول جينون أن رأى عنده بالنسبة للغة الأولى أنها أصلاً غير بشرية « non humaine » كما هو الأصل فى التقليد الأزلى وأن الكتابات التقليدية ليست إلا ترجمة باللغات البشرية لهذه اللغة الأولى وقد ثبت هذا فى Veda الهندية والقرآن .

ثم أن كل لغة مقدسة تشترك فى الوضع أو الطبيعة فيما يخص مبانيها ومعانيها كصدى أو انعكاس للغة الأولى الأزلية وأن ذلك يمكن أن يعتبر ترجمة بأشكال مختلفة لهذه اللغة الأزلية فبالنسبة للغات المقدسة تتجانس فيها مباني تلك اللغات أى الشكل الرمزي لعلامات كتابتها (الحروف) « la forme symbolique des signes employes pour l'écriture » [أنظر ما يذكره جينون ص ٧٠ ملاحظة (١) من تغيير علامات الكتابة العبرية] ؛ ثم على الخصوص بالنسبة للغتين العربية والعبرية تتداخل علاقة الإعداد بالحروف و بالتالى علاقة الإعداد هذه بالكلمات التى تتكون من هذه الحروف صدى للغة الأزلية .



رمزية دور الدم المحيى

IX. Les Fleurs Symboliques

في الباب التاسع ص ٩٦ باب الزهور الرمزية « les Fleurs Symbliques » يذكر الأستاذ جينون بمناسبة رمزية دور الدم الحيوى أمثلة خاصة برمزية هذا الدور وكلها ترمز إلى أن للدم دور مؤثر بالنسبة لمبدأ البعث وخصاب الأرض وأحيائها فيقول أن سيلان الدم وأثره الحيوى المخصص كما حدث لأدونيس (Adonis) في الأسطورة اليونانية يظهر في الرمزية المسيحية للدم مستشهداً بذكر الأستاذ شاربونولا ساي « Charboneaux Lassay » لمنظر من القرن الثانى عشر يرى الانسان فيه « حربة يقطر منها دم الشهيد المصلوب قطرات تتحول إلى ورود » كذلك في منظر آخر من القرن الثالث عشر ممثل على زجاج كتدرائية « Angers » انجرس « يسيل فيه الدم المقدس في مجرى و يتفتح وروداً » ثم يقول جينون أن هذا له صلة مباشرة بمبدأ الحيوية للدم الذى ينتقل إلى عالمنا و يتمثل في نظام دنيانا : « avec le principe vital transpose » « ici dans l'ordre cosmique » ثم أنه حسب النظرية القابالية Kabalistique فإن تساقط نقط الدم هذه يشبه الندى الذى ينزل من السماء والذى مبعثه وفقاً لهذه النظرية القابالية « شجرة الحياة « Arbre de Vie » بما له من تأثير حيوى منعش . فأتى هذا المطر من تساقط نقط الدم المحيى الرمزية له صلة بفكرة تجدد الحياة والبعث والخصاب وهو ما يتطابق تماماً مع الفكرة المسيحية في الفداء والبعث « Redemption » ثم يشير جينون بمناسبة رمزية الدم هذه وخصابه الأرض وانباتها الزهور إلى أسطورة أدونيس Adonis اليونانى الذى اشتهر بحسن جماله إذ هاجمه خنزير وحشى وأحدث بخرطومه جرحاً مميتاً في جنبه أسال دمه على الأرض فأحياها فأنبئت زهرة حلوة ثم أنه يرى أن رمزية الزهرة هنا ترتبط بالخلق خاصة : soit repporte uniquement à la production de la manifestation وأن البراكريتى Prakriti (الطبيعة) تتمثل أكثر بنفس الأرض التى يحييها الدم (ص ٩٦) (et que la parkriti soit plutot

أفليس الدليل على صحة قول هذا العالم الفيلسوف وصدق نظر القدماء لرمزية وحيوية الدم ما نجده عندنا اليوم من أن هذه الرمزية للدم وحيويته تصبح حقيقة واقعة لفاعلية هذا الدم المحيى وانعاشه وانقاذه للبشر فعلاً إذ نستعين به على انقاذ الحياة وانعاشها واسعاف من أصابتهم الأخطار بالعلاج به للخلاص من الخطر بنقل الدم إلى أوعيته الداخلية في الجسم وله عندنا وفي العالم كله بنوك لهذا العنصر المحيى المنقذ للحياة المحدد لها يتبرع لبنوكه الخيرون بدمائهم انسانية ورحمة بمن يحتاجونه منهم . وكان الناس لا يعرفون قديماً للدم هذه الطرق العلاجية فكانوا يشربون دم العجل في المناسك الميثوية ودم عجل أبيس الفدو العظيم بمصر وقريباً كان عندنا بمصر في مراسم الزار تشرب المريضة جسمانياً أو نفسياً من دم الضحية الذى يراق عليها وهى جالسة في طشت بشياها اعتقاداً منهم في الدم ودوره وقوة تأثيره الشفائي من الذبيحة التى يوصى بذبحها الأسياد كما كان يفعل العابدون في مراسم دخولهم عبادة مثراً ايماناً بدور الدم هذا كما قدمنا كذلك الذين كانوا يبشرون منهم ببعث الأرواح التى يرمز إليها بالنحل تنبعث من ذبح العجل الميثوى ولكن عند التضحية لم يظهر هذا النحل رمز الأرواح ولم يكن له وجود بل هو دم العجل الذبيح الذى يخرج منه فتسعى لشربه الأرض ممثلة ثعباناً لتخصب وتنبت وتزدهر أما الأرواح فلم تكن إلا رمزاً للنتاج البشرى والازدهار والوفرة .

رقم الايداع : ٨٩/٢٥٤١

ترقيم دولى : ٢-١٢٧-١٣٣-٩٧٧

فهرس الكتاب

المقدمة	صفحة
١ - اليهود فى مصر والخروج منها	١١
٢ - موسى	١٩
٣ - أصل اليهود فى التقاليد المصرية	٣٧
٤ - الأمثال المصرية واليهودية	٤٣
٥ - فترة الفراغ والتفرغ	٥٣
٦ - لوحة التوحيد	٧٥
٧ - وسع كرسى السماوات والأرض	٩٥
٨ - عجل ابيس	١١١
٩ - ثور كريت	١٥٣
١٠ - الثالوث والتثليث	١٦٧
١١ - ثالث الخلق عند الفرس	١٧٧
١٢ - التجمع الثالث لليهود أو العودة بعد الخروج بقيادة الكاهن الأعظم هوتيا أو أونياس باليونانية	١٨١
١٣ - رأى بترى	١٩٧
١٤ - اللوحات	٢٠٣
١٥ - المراجع	٢٣١
١٦ - رينيه جينون - علم الحروف	٢٤٣
١٧ - رمزية الدم المحيى لنفس المؤلف	٢٤٧

صفحة	السطر	التصويب
٢٣	١١	Adklepiades
٢٤	١١	Asklepios
٣٧	٢٠	يودايوس
٦٢	٢٨	الكالدانيين
٧٩	١٥	Cynopolis
٧٩	٢٢	الرموز
٨٨	٢١	Cuneiform
٨٩	٢٠	الوحدانية
٩٦	٢٢	Epaphos
١٠٥	١٦	Jahwism
١٠٥	٢١	Jeroboum
١١٦	٢٠	Macrocosme
١٢٥	٢٦	Bouphonia
١٢٧	١٨	و يتوسلون اليه
١٣٢	١٠	Hochschaetzung
١٣٢	١٦	Themistocles
١٣٢	٢٦	Labyrinthos
١٣٥	٢٤	Thot
١٣٥	٢٨	أبيس
١٣٨	١١	Hegemonikos
١٣٨	١٢	ألقاب الديميجورج في مجموعة
١٤٦	٢	Cnostiques
١٤٨	٧	Aries Walbrook
١٥٣	١١	Pasiphae
١٥٦	٢٩	Cornucopiae Evans
١٥٨	٨	Steatite
١٧١	٢٩	Guenon glyphe
١٧٨	٢٥	Dynamis
١٩٠	٥	إلى قيام دولة هونيا
٢٤٧	١٩	et que Prakriti soit plutot representee par le meme sol pue le sang vivifie

اليهود في مصر والخروج منها

لما أمر الله موسى باخراج اليهود من مصر كما ورد في ذكر الله الحكيم « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخف دركاً ولا تخشى غرقاً طه (٢٠) / ٧٦ - ٧٧ صدق الله العظيم .

وفي التوراة الخروج ٣ : ٧ - ١٠ « فقال الرب اني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخرهم اني علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة و واسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، إلى مكان الكنعانيين والحيتيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين والآن هوذا صراح بنى إسرائيل قد أتى إليّ ورأيت أيضاً الضيقة التي يضايقهم بها المصريون فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بنى إسرائيل من مصر » .

كان الخروج إذن بتدبير من موسى عليه السلام بأمر من الله وكما بين الكتاب المقدس فقد كان اليهود في وضع غير ملائم أتوا إلى مصر وكانوا منغزلين عن الناس وخرجوا من مصر - غير مبالين بل كانوا فرحين بذلك - إلى سيناء ، وقد طلب موسى إلى فرعون أن يبعد بقومه عن العاصمة المصرية مسيرة ثلاثة أيام ليكون بعيداً عن المصريين حتى لا يغضب الناس إذا ماضى اليهود بأضحية يتعارض ذبحها مع التعاليم المصرية (الخروج ٨ / ٢٧ - ٢٨) .

كان اليهود فعلاً في ضيق شديد من أمرهم ، فهم قبل رسالة موسى يخالفون المصريين في عبادتهم فبينما المصريين يعبدون أوزيريس وإيزيس وحورس كانوا هم من عبدة « ست » كما سنرى .

مكتبة مذبول

٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١

MADBOULI BOOKSHOP

6 Talat Harb SQ, Tel: 756421